بلاد الجزيرة

في أواخر العصر العباسي

Bibliotheca Alexandrina
0030343

دكتور / عصام عبد الرؤوف الفقي

دار الفكر العربي

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
تم الاهداء :
رقم التسجيل :
5119

دكتور عصام الدين عبد الرؤوف
المدرس بكلية الآداب بالمنيا
جامعة أسيوط

بلاد الجزيرة
فى أواخر العصر العباسى

956.9
ع ب

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وبعد ،

فهذا بحث يتناول دول أتابكة الموصل والجزيرة ، يتجلى لنا فيه الموقف السياسي الداخلي فى بلاد الجزيرة ، وموقف أتابكة الموصل والجزيرة من حكام البلاد الإسلامية المجاورة ، والجهود التى بذلها الأتابكة لدرء الخطر الصليبي عن البلاد الاسلامية وعلاقة الأتابكة بالمغول، والتنظيمات الإدارية والمالية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة، وماطرأ عليهامن تغيرات.

لما حل الضعف بالدولة السلجوقية بعدوفاة السلطان ملكشاه استقل كل أمير بولايته ، فانقسمت الدولة السلجوقية إلى دويلات مستقلة ، واتخذ كل أمير من أمرائها قائدا تركيا يقوم بتدريب أبنائه على فنون الحرب والقتال، وأساليب الادارة والحكم ، يسمى أتابك ، أى الأمير الوالد ، فلما تقرر تعيين عماد الدين زنكى أتابكا على الموصل . كان مؤدبا لصغيرين من أولاد السلطان السلجوقى محمود ، غير أنهما لم يقوما بادارة شئون البلاد .

طغى نفوذ الأتابكة على الأمراء بسبب ما كانوا يتمتعون به من سلطة أبوية ، ومما ساعد على ازدياد نفوذهم أن الأتابك كان يتزوج من أم الأمير السلجوقى المتوفى ، ويتزوج الأمير الجديد من ابنة الأتابك . وقديسر ذلك للأتابك إقامة أسرات حاكمة مستقلة فى بلاد الموصل والجزيرة، فحكم الأراتقة أتابكيات ماردين وحصن كيفا وخرتبرت فى ديار بكر. على حين حكم عماد الدين زنكى وبنوه أتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر .

حرص الأتابكة على توطيد سلطانهم ، فبادروا بالقضاء على حركات التمرد -

والعصيان التى قامت ضدهم ، واستعانوا برجال تمكنوا من معاونتهم
الوقوف فى وجه أعدائهم ومنافسيهم فى السياسة والحكم .

على أن أتابكة الموصل والجزيرة كانوا لا يعهدون لأحد بالحكم
بعدهم ، مما أدى إلى حدوث نزاع حول تولى السلطة بعدوفاتهم. وعلى الر
من أن كثيراً منهم عهد لمن يخلفهم ، فان بعض الأمراء تطلع للحكم ،
ترتب عليه حدوث اضرابات داخلية ، أضعفت من شأن هذه الدول .

ومما أدى إلى ضعف هذه الدول وانهيارها فى النصف الثانى من ال
السابع الهجرى تعرضها للغزو المغولى ، فاستولى المغول على الموصل
٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) ، ونكلوا بسكانها ، كما استولوا على سنجار أثناء حصا
الموصل وأغاروا على إربل واحتلوها أثناء حصارهم بغداد . أما أتابـ
ماردين ، فقد أرغمها هولاكو على الدخول فى طاعته . على أن أتابـ
جزيرة ابن عمر لم تتعرض للغزو المغولى ، فقد استولى عليها سلاجقة الروم
٦٦٠ هـ — (١٢٦٢ م) .

أظهر أتابكة الموصل والجزيرة الطاعة والولاء للخلفاء العباسيين
بغداد ، على الرغم من حدوث بعض الخلافات بينهم، كما ظلوا على و
للسلاطين السلاجقة حتى نهاية عهدهم . على أن هذا الأمر لم يقف
بين أتابكة الموصل والجزيرة وبين تحقيق سياستهم الرامية إلى توسيع
دولتهم فاتسعت أملاك عماد الدين زنكى بن آقسنقر حتى أصبح سيداً
شمال العراق وأطراف آسيا الصغرى وبعض مدن الشام ، كما أن
الدين كوكبورى — أتابك أربل — كان يقدم على كثير من المخاطر
والمغامرات فى سبيل توسيع رقعة دولته .

على أن بنى أيوب عولوا على السيطرة على بلاد الموصل والجز
فأرغم صلاح الدين يوسف بن أيوب أتابكة الموصل وسنجار
وجزيرة ابن عمر على الدخول فى طاعته، كما أن خلفاءه حرصوا على ال

على هذه البلاد ، وامتد نفوذهم إلى أتابكيات ديار بكر .

لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهداً فى دفع الخطر الصليبى عن البلاد الإسلامية ، فنى بداية أمرهم تمكنوا من صد هجمات الفرنجة المتوالية عن الشام والعراق ، ولما علا شأن الأتابكة وقوى بأسهم ، وكثر جندهم ، تحول موقفهم من الدفاع إلى الهجوم ، فأغاروا على الإمارات الصليبية، بل وانتزعوا مدن الفرنجة ، كما حدث فى عهد ايلغازى بن أرتق — أمير ماردين — وعماد الدين زنكى بن آقسنقر — أتابك الموصل .

ويمكن القول بأن موقف أتابكة الموصل والجزيرة من الصليبيين بعد بداية للجهود التى بذلها الأيوبيون والمماليك من بعدهم فى سبيل إجلاء الصليبيين نهائيا عن البلاد الإسلامية .

قامت أتابكيات الموصل والجزيرة فى ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر نسبة إلى القبائل العربية ربيعه ومضر وبكر التى نزلت إقليم الجزيرة قبل الإسلام . وكانت كل من هذه الأتابكيات ينقسم إلى عدد من البلدان ، على أن هذا التقسيم لم يكن ثابتا بل تعرض للتغيير من وقت إلى آخر ذلك ، لأن الأتابكة دأبوا على توسيع ممتلكاتهم على حساب الدول المجاورة لهم .

استعان الأتابكة فى إدارة دولهم بعدد من الموظفين، نخص بالذكر منهم النائب والوزير والوالى والشحنة، كما وزعوا الأعمال الإدارية على عدة دواوين ومن أهمها ديوان الرسائل، وديوان الجيش، وديوان البريد . وعنى الأتابكة إلى جانب ذلك بزيادة موارد دولهم المالية ، وتنظيم إنفاق هذه الموارد .

وقد بدأت البحث بتمهيد أوضحت فيه العوامل التى أدت إلى قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة ، كما عنيت ببحث الحالة السياسية فى بلاد الموصل والجزيرة خلال العصر الأتابكى ، فأشرت فيه إلى سياسة الأتابكة فى توحيد

سلطانهم ، والأحداث الداخلية فى دول الأتابكة والعوامل التى أدت إلى ضعف هذه الدول وانهيارها .

كذلك تناولت بالبحث علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بالخلفاء العباسيين وبالسلاطين السلاجقة ، والجهود التى بذلها الأتابكة فى سبيل توسيع ممتلكاتهم ، وأوضحت علاقة الأتابكة ببنى أيوب حتى دخولهم فى طاعة السلاطين والأمراء الأيوبيين .

ومن الموضوعات التى عنيت ببحثها ، العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، أوضحت فيها الجهود التى بذلها أتابكة الموصل والجزيرة لدرء الخطر الصليبى عن بلاد الشام ، كما أشرت إلى عدم استطاعة الأتابكة التصدى لخطر المغول ، بل ودخولهم فى طاعتهم ، وسقوط بلادهم فى أيدى المغول ، البلدة تلو الأخرى .

وكان لتطور النظم الإدارية والمالية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة نصيب كبير من عنايتى ، فتحدثت عن التقسيم الإدارى فى هذه الدول . والدواوين التى اختصت بالشئون الإدارية ، كما تحدثت عن الموارد المالية لهذه الدول ونظام إنفاق هذه الموارد على مصالحها .

وأخيرا أجد لزاما على أن أتوجه بالشكر إلى أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة على ما بذله من جهد ، وأنفقه من وقت فى توجيهى الوجهة العلمية السليمة ، وإننى أعتز بل وأفخر بأن أكون من تلاميذ مدرسته .

والله أسأل أن يوفقنى لمتابعة البحث فى تاريخ الإسلام وحضارته ؟

المؤلف

بحث فى مصادر الكتاب

من الكتب الهامة التى أفادتنى فى موضوع بحثى كتاب « التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل — لعز الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ ﻫ ، وتنحصر أهميته فى أن مؤلفه ينتمى إلى أسرة التحقت بخدمة أتابكة الموصل فكان ابن الأثير - والد عز الدين - رئيس ديوان خراج جزيرة ابن عمر فى عهد قطب الدين مودود - أتابك الموصل . كما أن مجد الدين أبو السعادات ، وضياء الدين وهما أخوة هذا المؤلف وليا ديوان الإنشاء لبعض أتابكة الموصل ؛ ومن ثم فإن كتاب « التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية » يمدنا بمعلومات قيمة عن قيام أتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر ، والأحداث الداخلية فى هذه الأتابكيات كما يوضح سياسة أتابكة الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر فى توطيد سلطانهم كذلك تناول بإسهام علاقة هؤلاء الأتابكة بالخلفاء العباسيين والبلاد الإسلامية المجاورة . ولم تقتصر أهمية هذا الكتاب عند هذا الحد . بل أفادنى فى دراسة موضوع الوظائف والدواوين الإدارية لهذه الأتابكيات كما أوضح لى الموارد المالية لهذه الأتابكيات ومصارفها .

يأت بعد ذلك مصدر ذو أهمية خاصة اعتمدت عليه فى بحثى عن أتابكيات ديار بكر ، وهو كتاب « الكامل فى التاريخ » لعز الدين بن الأثير فقد أفادنى هذا الكتاب فى دراسة قيام أمراء بنى أرتق بحكم أتابكيات حصن كيفا وماردين وخرتبرت ، وعلاقة هذه الأتابكيات بأتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر وإربل . وأمدنى إلى جانب ذلك بمعلومات قيمة عن الجهود التى بذلها أتابكة الموصل وديار بكر لإجلاء الصليبيين عن بلاد الشام .

وهناك كتاب آخر رجعت إليه له أهمية كبيرة فى بحثى وهو كتاب « مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب » لابن واصل المتوفى سنة ٦٩٧ ﻫ وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه أرخ للدولة الأيوبية منذ قيامها إلى نهايتها فى تفصيل واف ، وتحقيق شامل دقيق ، فاتصل بمعظم ملوكهم

فى الشام ومصر ، وبكثير من علماء وأدباء هذه الدولة . وقد أمدنى هذا الكتاب بمعلومات وافية عن علاقة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بأتابكة الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر وإربل ، ودخول هذه الأتابكيات فى طاعته . كما أفادنى هذا الكتاب فى دراسة موقف الملك العادل ابن أيوب وغيره من سلاطين بنى أيوب ، من أتابكة الموصل والجزيرة . كذلك اعتمدت على هذا الكتاب فى دراسة موقف نور الدين محمود بن زنكى من أتابكة الموصل ، وموقف أتابكة الموصل من الإمارات الإسلامية والصليبية فى بلاد الشام .

كذلك رجعت إلى كتاب « الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية » لأبو شامه المتوفى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) فى دراسة العوامل التى أدت إلى قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة والسياسة التى اتبعها هؤلاء الأتابكة فى توطيد سلطانهم ، وعلاقتهم بالأيوبيين ، كما أمدنى ببعض المعلومات عن موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصارفها .

ومن المصادر التى رجعت إليها فى دراسة العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، كتاب « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسى الذى ولى بعض الوظائف الرئيسية فى مدينة دمشق ، عاصر خلالها الحروب الصليبية الدائرة على أرض الشام ، لذلك اشتمل هذا الكتاب على أخبار هذه الحروب ، ودور أتابكة الموصل وديار بكر فيها ، ويتضمن هذا الكتاب مقتطفات من كتاب التاريخ المنسوب للفارقى الذى عاش فى ديار بكر ، وعاصر فترة من حكم بنى أرتق فيها . لذلك رجعت إليه فى دراسة قيام أتابكيات كيفا وماردين وعلاقتها بالبلاد المجاورة .

كذلك رجعت إلى كتاب « زبدة الحلب فى تاريخ حلب » لكمال الدين ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢م) فى دراسة علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بالبيزنطيين والصليبيين . ولم تقتصر أهمية هذا الكتاب عند هذا

الحد ، بل أفادنى فى دراسة العلاقات السياسية لدول أتابكة الموصل والجزيرة بالبلاد الإسلامية المجاورة .

يأتى بعد ذلك كتاب له أهمية خاصة فى دراستى لموضوع « علاقة الخلفاء العباسيين بأتابكة الموصل والجزيرة وهو كتاب « المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم » لابن الجوزى .

ومن الكتب التى رجعت إليها فى دراسة دخول بلاد الموصل والجزيرة تحت لواء السلاجقة ، وعلاقة ذلك بقيام نظام الأتابكة ، كتاب راحة الصدور وآية السرور « للراوندى ، المتوفى سنة ٥٩٩ هـ ، وكتاب « تاريخ دولة « آل سلجوق » للبندارى ، وكتاب « أخبار الدولة السلجوقية » المنسوب إلى ناصر الحسينى من كتاب القرن السابع الهجرى .

أما سبط بن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ صاحب كتاب « مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » فقد أمدنى بمعلومات وافية عن علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بالبلاد الإسلامية المجاورة ، كما تضمن إشارات عن التنظيمات الإدارية والمالية لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، ومما يذكر لهذا المؤلف أن كتابه يقع فى أربعين مجلداً ، نقل فيه الكثير عن جده ابن الجوزى ومصادر أخرى .

ومن بين الكتب التى رجعت إليها كتاب « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » لبدر الدين محمود العينى المتوفى سنة ٨٥٠ هـ . وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن صاحبه نقل عن مؤرخين بعض كتبهم اندثر ومن بينهم ابن الجوزى وابن العميد . وقد أفادنى هذا الكتاب فى دراسة علاقة دول أتابكة الموصل والجزيرة بالبلاد الإسلامية المجاورة وبالأيوبيين وموقف هؤلاء الأتابكة من حركة الجهاد التى خاضها المسلمون ضد الصليبيين .

ولكتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر » لابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ أهمية خاصة لموضوع بحثى ، فقد أفرد ابن خلدون فى هذا الكتاب فصلا عن بنى أرتق ، أوضح فيه الأحداث التى أدت إلى قيام أتابكيات بالبلاد

الإسلامية المجاورة ، كما أفادنى هذا الكتاب فى دراسة العوامل التى أدت إلى ضعف أتابكيات الموصل والجزيرة وزوالها .

أما أبو الفدا ، المتوفى سنة ٧٣٢ هـ فقد اشتمل كتابه « المختصر فى تاريخ البشر » على معلومات غزيرة أفادتنى فى موضوع بحثى ، فاعتمدت عليه عند دراسة السياسة الداخلية لدول أتابكة الموصل والجزيرة وعلاقة الأتابكة بالخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة ، وموقف بنى أيوب من الأتابكة ، وعلاقة الأتابكة بالبيزنطيين وسعيهم إلى إجلاء الصليبيين عن بلاد الشام .

ومن الكتب الهامة التى اعتمدت عليها فى دراسة علاقة المغول بأتابكة الموصل والجزيرة ، وخضوع هذه البلاد لسلطان المغول ، كتاب « تاريخ المغول » ، لرشيد الدين فضل الله ، فقد شغل منصب الوزارة فى الامبراطورية المغولية فى فارس فترة من الوقت ، لذلك ألم هذا المؤلف بالكثير من أخبار المغول ، ومما يذكر لرشيد الدين أنه اشتغل بتصنيف كتب فى الفلسفة والطب والتاريخ . توفى سنة ٧١٦ هـ (١٣١٦ م) .

كذلك أفادنى كتاب ذيل مرآة الزمان « لقطب الدين البعلبكى » فى موقف أتابكة الموصل والجزيرة من الخطر المغولى والظروف التى أدت إلى خضوعها للمغول . وأفادنى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ فى دراسة بعض جوانب الحياة السياسية فى بلاد الموصل والجزيرة فى العصر الأتابكى ، فقد تضمن هذا الكتاب تراجم لأتابكة ووزراء هذه البلاد . أوضح فيها نشاطهم السياسى ، والجهود التى بذلوها لتنظيم إدارة بلادهم .

ومن أهم الكتب التى أفادتنى فى دراسة التنظيمات الإدارية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة ، كتاب معجم البلدان لياقوت ، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فقد وصف إقليم الجزيرة الذى قامت فيه دول الأتابكة وصفاً دقيقاً ، وأوضح أسماء المدن والبلدان الواقعة فى هذا الإقليم وقد أفادنى ذلك عند دراسة التقسيم الإدارى فى دول الأتابكة .

تمهيـــد

قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة

فى أواخر العصر العباسى

الباب الأول

الموقف السياسى الداخلى فى دول أتابكة الموصل والجزيرة

١ ــ سياسة أتابكة الموصل والجزيرة فى توطيد سلطانهم .

٢ ــ الأحداث الداخلية فى دول الأتابكة .

٣ ــ انحلال دول أتابكة الموصل والجزيرة وزوالها .

تمهيد

قيام دول أتابكة الموصل الجزيرة في أواخر العصر العباسي

انتزع السلاجقة بلاد الموصل والجزيرة من أمراء بنى عقيل، كما استولوا على ديار بكر التى كان يحكمها بنو مروان، ففى سنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م) سير السلطان السلجوقى ملكشاه عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير إلى الموصل للاستيلاء عليها، فحاصرها حتى طلب أميرها — شرف الدولة مسلم ابن قريش العقيلى الأمان فى مقابل تسليم المدينة(١)، فأمنه القائد السلجوقى، واستولى على أموال وذخائر الأمير العقيلى، غير أن السلطان ملكشاه مالبث أن أعاد الموصل إليه(٢).

اعترض السلطان ملكشاه على تولية إبراهيم بن قريش الموصل بعد مقتل أخيه مسلم، وأسند ولايتها إلى أبى عبد الله محمد بن مسلم، وأضاف إليه الرحبة وحران وسروج وبلد والخابور، غير أن بنى عقيل رفضوا تدخل السلاجقة فى تنصيب أمير عليهم، وأبقوا على إبراهيم بن قريش حتى سنة ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م)، فاستدعاه ملكشاه، واعتقله، وأنفذ وزيره فخر الدولة بن جهير إلى الموصل حيث استولى عليها (٣).

لما توفى السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) أطلق سراح إبراهيم ابن قريش بشفاعة زوجته صفية عمة السلطان السلجوقى(٤)، وسارت مع

---

(١) كان الأمير قسيم الدولة آقسنقر — والد عماد الدين زنكى — أحد قادة هذا الجيش، وانضم إليه الأمير أرتق بن أكسب — جد أمراء بنى أرتق — على رأس جمع كبير من التركمان، ولما اشتد الحصار على أهل الموصل أرسل إليهم ينصحهم بالدخول فى طاعة السلطان، ويحذرهم من عاقبة العصيان، فقبلوا نصحه، وسلموا الموصل إلى القائد السلجوقى.

(ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥)

(٢) تاريخ الفارقى، ص ٢٢١

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٢٧٠.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٢٣.

ابنها على بن مسلم إلى الموصل ، فنازعه أخوه محمد فى حكمها ، ودار بينهما قتال انتهى الأمر فيه بهزيمة محمد ، ثم انتزع أخوه على الموصل من ابن جهير وتولى حكمها(١).

على أن على بن مسلم سرعان ما نزل عن حكم الموصل لعمه إبراهيم ابن قريش . وبذلك امتد نفوذه إلى سائر بلاد بنى عقيل، لكن السلاجقة عولوا على استعادة الموصل ، فطلب تاج الدولة تتش من صاحبها أن يقيم الخطبة له(٢) . ولما رفض إبراهيم بن قريش ، توجه تاج الدولة إلى نصيبين(٣) ، واستولى عليها عنوة من نائب صاحب الموصل(٤)، ثم قصد الموصل، واشتبك فى معركة مع إبراهيم بن قريش انتهت بهزيمته ومقتله ، وأعاد السلطان السلجوقى الموصل وأعمالها سنة ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) إلى على بن مسلم(٥).

لكن الأمور فى الموصل لم تستقر لبنى عقيل ، فحدث نزاع بين محمد ابن مسلم العقيلى — صاحب نصيبين — وعلى بن مسلم — أمير الموصل — فاستعان محمد بن مسلم على أخيه بالأمير السلجوقى كربوقا(٦) ، فسار إلى حران واستولى عليها ، ثم توجه إلى نصيبين ، وغدر بصاحبها وانتزعها

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٢٧٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٨٦ هـ

(٣) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على الطريق من الموصل إلى الشام وفيها وفى قراها بساتين كثيرة .

(ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٩٢)

(٤) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٥

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٢ .

(٦) كان ملكشاه قد أقطع مدينة دمشق وأعمالها وما جاورها كطبرية وبيت المقدس لتاج الدولة تتش ، فلما توفى ملكشاه طمع تاج الدولة فى السلطنة، فسار إلى حلب وأخذها ثم عاد إلى الشام ، واشتبك فى قتال مع بركياروق — ابن أخيه — بالقرب من حلب ، انتصر فيه تتش ، واعتقل قواد بركياروق ومن بينهم الأمير كربوقا الذى ظل معتقلا حتى أفرج عنه الملك رضوان بعد قتل أبيه تاج الدولة .

(أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٦)

منه (١)، واتجه بعدذلك إلى الموصل فحاصرها (٢)، ولم يستطع الأمير العقيلي الدفاع عنها، ففارقها، واستولى عليها كربوقا سنة ٤٨٩ هـ (١٠٩٥م). وبذلك آلت الموصل وأعمالها إلى الدولة السلجوقية (٣).

كذلك عمل السلاجقة على انتزاع ديار بكر من الأمير أبي المظفر منصور بن مروان منذ أن وليها سنة ٤٧٢ (٩٧٠م (٤))، فأمر السلطان ملكشاه وزيره فخر الدولة بن جهير بالاستيلاء على ديار بكر، وإقامة الخطبة له، ونقش اسمه على السكة، فسار إليها سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥م) وضم السلطان إليه جيشاً بقيادة الأمير أرتق بن أكسب، فمضى الأمير المرواني إلى شرف الدولة مسلم — صاحب الموصل وطلب منه أن يعاونه ضد من يحاول مهاجمته (٥)، على أن يسلم إليه آمد، فأجابه إلى طلبه، واتفقا على محاربة فخر الدولة، واشتبك الفريقان فى قتال على مقربة من آمد انتهى الأمر فيه بانتصار القائد السلجوقى وعاد شرف الدولة منهزماً إلى بلاده (٦).

امتد نفوذ ابن جهير إلى آمد ثم ميافارقين، كما استولى على أموال بنى مروان، وأرسلها إلى السلطان السلجوقى (٧)، ثم أنفذ جيشاً إلى جزيرة ابن عمر — وهى لبنى مروان — فضمها إلى حوزته، كما بسط نفوذه على

---

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٨٩ هـ

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ١٧

(٤) أول من حكم ديار بكر من بنى مروان أبو على الحسن عقب مقتل خاله باذ الكردى — سنة ٣٨٠ هـ أثناء محاولته الاستيلاء على الموصل، تزوج الأمير المروانى من امرأة خاله، وتوجه إلى حصن كيفا، وحكمه ثم بسط نفوذه على سائر ديار بكر ولما توفى تعاقب بنوه على حكم ديار بكر حتى استولى عليها السلاجقة سنة ٤٧٨ هـ (ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٨٠ هـ، ٤٧٨ هـ)

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١٢

Ency: of Islam: Art Marwanids.

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١٢

(٧) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٨

معظم قلاع وحصون ديار بكر ، وقد أحسن ابن جهير إلى أهلها ، ورفع عنهم ما كانوا يعانونه من المظالم(١) .

لما حل الضعف بالدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه، استقل كل أمير بولايته . فانقسمت الدوله السلجوقية إلى دويلات مستقلة . ومع ذلك ظل أمراؤها يظهرون الولاء والطاعة للسلطان السلجوقى .

اتخذ كل أمير من هؤلاء الأمراء قائداً تركياً يقوم بتدريب أبنائه على فنون الحرب والقتال ، وأساليب الإدارة والحكم ، يسمى أتابك . أى الأمير الوالد(٢) ، فلما عين عماد الدين زنكى أتابكا على الموصل . كان مؤدباً لصغيرين من أولاد السلطان السلجوقى محمود(٣) ، غير أنهما لم يقوما بإدارة شئون البلاد(٤) .

أستأثر الأتابكة بالنفوذ دون الأمراء بسبب ما كانوا يتمتعون به من سلطة أبوية ، ومما ساعد على ازدياد نفوذهم أن الأتابك كان يتزوج من أم الأمير السلجوقى المتوفى ، ويتزوج الأمير الجديد من ابنة الأتابك . وقد يسر ذلك للاتابكة إقامة أسرات حاكمة مستقلة فى بلاد الموصل والجزيرة(٥) .

فى الموصل مكن السلاجقة عماد الدين زنكى من حكمها . ذلك أن أباه قسيم الدولة آقسنقر كان مملوكا تركيا من مماليك السلطان السلجوقى ألب أرسلان ، ثم صار من أعيان دولة ابنه السلطان ملكشاه وأكابر أمرائه وبلغ من علو منزلته عنده أن لقبه قسيم الدولة(٦) . ثم عهد إليه بولاية

---

(١) تاريخ الفارقى ص ٢١٦ .
(٢) أتا معناها بالتركية أب وبك أمير .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، حـ ١ ص ٣٠٥
(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٧
(٥) Cambridge Medieval History. Vol. 4. P. 316
Gibb . Damascus Choronicle of Crusaders. P. 23
(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥

بعد جلب أن زال سلطان بنى عقيل عنها سنة ٤٧٩(١) هـ (١١٨٣ م).

لما توفى السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ (١٠٩٢ م)، خرج آقسنقر على طاعة السلطان السلجوقى تاج الدولة تتش، لكنه مالبث أن قضى عليه سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م)، واستولى على أملاكه. وبذلك حرم عماد الدين زنكى ابن آقسنقر من أملاك أبيه(٢).

اجتمع مماليك آقسنقر حول عماد الدين زنكى(٣)، وأحاطه الأمير كربوقا — الذى استولى على الموصل — برعايته، وضم مماليكه إلى جنده وأقطعهم الإقطاعات واستعان بهم فى حروبه، واشترك عماد الدين مع كربوقا فى غزو آمد(٤). ولم يزل زنكى فى خدمة كربوقا حتى وفاته سنة ٤٩٦ هـ (١١٠٢ م)(٥).

ذاع صيت عماد الدين زنكى لما أبداه من الشجاعة أثناء قتال الصليبيين فقد اشترك مع مودود — أمير الموصل — فى مهاجمة طبرية(٦)، وقاتل الفرنجة على باب هذه المدينة(٧)، وكافأه السلطان السلجوقى محمد، بأن أسند إليه شحنكية(٨) البصرة وواسط سنة ٥٠٧ هـ(٩) (١١١٣ م).

---

(١) أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٥ — ٦٦

(٢) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك. القسم الأول. ج ١ ص ٣٣

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٨٩ هـ.
Lane Poole: Saladin. P. 35.

(٤) أعظم مدن ديار بكر، وأجلها قدراً، وأشهرها ذكراً وهو بلد حصين ركين يحيط به دجله بشكل شبه مستدير كالهلال.

(٥) لما هاجم كربوقا آمد واشتد القتال وكثرت جموع التركمان ألقى كربوقا عماد الدين زنكى بين أرجل الخيل، وقال لجنده: «قاتلوا عن ابن صاحبكم» فمن أذن اشتد قتالهم، وقوى حماسهم وانتهت المعركة باستيلاء كربوقا على آمد.
(أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٦

(٦) Lane-Poole: Saladin. P. 37

(٧) Zoe Olden Bourg. Les Croisades. P. 278

(٨) الشحنة: رياسة الشرطة، أو الأمير المشرف على حراسة المدينة أو محافظها.
المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٣٥.

(٩) ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٢٤.

ولما ولى السلطان محمود الحكم أقر أخاه الملك مسعود مع أتابكه جيوش بك فى إمارة الموصل ، غير أنه مالبث أن خرج على السلطان بتحريض من أتابكه الذى خطب له بالسلطنة ، مما ترتب عليه قيام حرب بينهما حلت فيها الهزيمة بمسعود وأتابكه(١) . ثم عفا السلطان عنهما ، وولى آقسنقر البرسقى على الموصل سنة ٥١٥هـ(٢) (١١٢١م) وأضاف إليه الجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها من أعمال الموصل(٣) .

اشترك عماد الدين زنكى فى الحروب التى دارت بين آقسنقر البرسقى(٤) ودبيس بن صدقه (٥) صاحب الحلة — وانتهت بهزيمة (٦) دبيس . ولما استقر رأى آقسنقر على العودة إلى الموصل طلب من عماد الدين زنكى أن يصحبه فى المسير إليها لكنه رفض وقال لأصحابه : « قد ضجرنا مما نحن فيه ، » كل يوم قد يملك البلاد أمير ، ونؤمر بالتصرف على اختياره وإرادته ، ثم تارة بالعراق . وتارة بالموصل وتارة ببلاد الجزيرة ، وتارة بالشام(٧) ، ثم قدم على السلطان محمود . فأكرم وفادته ، وتوثقت بينهما عرى الصداقة ، كما اتصل فى نفس الوقت بالخليفة المسترشد واكتسب وده واحترامه(٨) .

---

(١) Setton : A Hist. of the Crusades. Vol. I. P. 170

(٢) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٣

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٠

(٤) كان الأمير آقسنقر البرسقى فى خدمة السلطان محمود ناصحا له ، ملازما له فى حروبه كلها وهو الذى أصلح بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ، ولما ولاه السلطان الموصل أمره بمجاهدة الفرنجة ، وقد أصلح أمر الموصل فى فترة ولايته عليها .
(ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ) .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٠

(٦) نشبت حرب بين دبيس بن صدقة وبين الخليفة العباسى المسترشد سنة ٥١٦ هـ ، نضم فيها البرسقى — صاحب الموصل — وعماد الدين زنكى إلى الخليفة العباسى ، فانهزم دبيس ، وذهب إلى البصرة ، ودخلها ونهبها وهاجها ، فأمر الخليفة البرسقى بحفظ البصرة فسار إليها وانتزعها من دبيس ، وولى عليها عماد الدين زنكى :
(Zoe Olden Bourg : Les Croisades. P. 276)

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٢٧

(٨) Lane Poole . Saladin. P. 35

لما هاجم أنصار دبيس بن صدقة صاحب ـ الحلة ـ البصرة . وعاثوا فيها فساداً ، أعاد السلطان تولية زنكى شحنة لها ، فسار إليها ، واستطاع أن يصد المغيرين عنها ، ويعيد الأمن إلى نصابه ، فعظم شأنه عند السلطان وأسند إليه شحنكية العراق ، وفوضها إليه مضافة إلى ما لديه من الإقطاع(١)

أما فيما يتعلق بامارة الموصل : فانه بعــد مقتل البرسقى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) خلفه فى حكمها ابنه عز الدين مسعود ، وأقره السلطان على ممتلكات أبيه ، فضبط البلاد ، وأحسن الى الأهلين ، وكان يساعده فى الحكم الأمير جاولى ـ أحد مماليك أبيه ـ (٢) .

على أن عز الدين مسعود مالبث أن توفى ، وخلفه فى ولاية الموصل أخ له ، وظل جاولى يتولى مهام الحكم فى البلاد نيابة عنه . وأرسل إلى السلطان محمود القاضى بهاء الدين أبا الحسن على بن الشهرزورى ، وصلاح الدين محمد الياغيسيانى يطلب إقرار الأمير الجديد على ما يليه من البلاد . وبذل فى سبيل ذلك كثيراً من الأموال (٣) . بيد أن السلطان محمود كان قد أصدر مرسوما بتسليم دبيس بن صدقة الموصل ، وأعد العدة للمسير إليها ، لكن الخليفة المسترشد عارض توليته ، وترددت الرسائل بينه وبين السلطان بتولية زنكى(٤) . فلقيت هذه الفكرة قبولا من الرسولين ، ذلك أنهما كانا يخشيان جاولى ويرفضان الدخول فى طاعته ، وطلبا من أنوشروان ابن خالد ـ وزير السلطان محمود ـ تولية زنكى الموصل لأنه يستطيع الدفاع عن بلاد الموصل والجزيرة بعد أن ازدادت هجمات الصليبيين عليها(٥) ، فأبلغ الوزير ذلك إلى السلطان ، فاستدعاهما ليقف بنفسه على

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٢١ هـ .
ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج٤ ص ٦١
Zoe Olden Bourg : Les Croisades. P. 278
(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٢٤٩
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ٣٤ — ٣٥
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٩
(٥) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان ج ١٢ ورقة ٤ .

رأيهما فى زنكى ، فتحدثا عن كفايته وشجاعته ، فوافق على توليته الموصل وبعث فى طلبه حيث سلمه منشورا بذلك ، وسير معه إلى الموصل ولديه ألب أرسلان وفروخ شاه المعروف بالخفاجى ليشرف على تربيتهما (١) . ولهذا قيل له الأتابك(٢) .

سار زنكى قاصداً الموصل ، فدخلها دون أن يتعرض له جاولى بل دخل فى خدمته(٣) ، فأقطعه زنكى الرحبة وأعمالها ، وسيره إليها ، وأقام هو بالموصل ليرتب أمورها ، فجعل نصير الدين جقر نائبا له ، وصلاح الدين الياغيسيانى أمير حاجب ، وبهاء الدين الشهرزورى قاضيا لقضاة بلاده مكافأة لهم على جهودهم فى توليته الحكم(٤) .

ظلت سنجار تتبع أتابكية الموصل حتى وفاة صاحبها قطب الدين مودود سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) ، إذ استقل بها ابنه الأكبر عماد الدين زنكى ، ذلك أن أباه لم يعهد له بالحكم ، إنما عهد إلى ابنه الآخر سيف الدين غازى ، فسار عماد الدين زنكى بن مودود إلى عمه نور الدين محمود فى بلاد الشام ليعينه على أخذ الملك لنفسه ، فاستجاب له ، وسار إلى بلاد الجزيرة حيث ضم الرقة إلى حوزته ، ثم زحف إلى الخابور وفتحه ، كما استولى على نصيبين وسنجار(٥) ، وولى ابن أخيه عماد الدين زنكى ابن مودود على هذه البلاد التى استولى عليها(٦) .

كذلك تمكن نور الدين محمود من الاستيلاء على الموصل وأقر أتابكها

---

(١) ابن العماد الحنبلى شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٤ ص ١٢٨

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٨٠

(٣) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٦

(٤) Lane Poole ; Mohammedan Dynasties P. 162 - 163

(٥) ابن قاضى شهبة : الكواكب الدرية فى السير النورية ورقة ١٤٨

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٥٣ .

سيف الدين غازى بن مودود عليها ، وأضاف إليه جزيرة ابن عمر(١) ، واشترط عليه أن يكون طوع إرادته .

أقام عماد الدين زنكى بن مودود أتابكية مستقلة عن الموصل فى سنجار مما ترتب عليه ظهور الشقاق بين أفراد البيت الأتابكى(٢) ، وعبر عن ذلك القاضى جلال الدين الشهرزورى بقوله : « وفى هذا طريق إلى أذى يحصل للبيت الأتابكى لأن عماد الدين زنكى كبير ، لايرى طاعة أخيه سيف الدين وسيف الدين هو الملك ، لايرى الإصغاء لعماد الدين ، فيحصل الخلف ، وتطمع الأعداء »(٣) .

لما شعر سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بدنو أجله سنه ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) ، أشار عليه كبار رجال دولته ، بأن يعهد بالإمارة من بعده إلى أخيه عز الدين مسعود لكفايته وحسن تصريفه الأمور ، بدلا من ابنه معز الدين سنجر شاه الذى لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، وكان ذلك فى الوقت الذى قويت فيه شوكة صلاح الدين الأيوبى(٤) فى بـــلاد الشام ، فاستجاب له ، وأقطع ابنه سنجر شاه جزيرة ابن عمر ، فأقام بها أتابكية مستقلة ، عرفت باسم أتابكية الجزيرة سنة ٥٧٦ هـ(٥) (١١٨٠ م) .

كذلك قامت أتابكية مستقلة فى إربل سنه ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) ، كانت فى بداية الأمر ملكا لأبى الهيجاء الكردى الهذبانى ، ثم آلت إلى ورثته من بعده ، واستولى عليها السلاجقة فيما بعد ، وحكمها مسعود بن محمد بن ملكشاه صاحب مراغه — قبل توليته السلطنة . وفى سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) سار

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان . القسم الأول جـ ٢ ص ٣٨٢
(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ . حوادث سنة ٥٦٦ هـ .
(٣) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٥٢
(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٦ هـ .
(٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٨١

إليها عماد الدين زنكى ، وهاجمها وظل يحاصرها حتى قصدها السلطان مسعود من مراغة ، فرحل عنها ونزل الزاب وترددت الرسل بينهما ثم اتفقا على أن يعاون زنكى السلطان فى اقامة الخطبة له فى بغداد وسائر العراق ، فى مقابل أن يغزل له عن اربل — غير أن عماد الدين زنكى لم يلبث بعد أن آلت إليه هذه المدينة أن أقطعها للأمير زين الدين على كجك بن بكتكين (١) الذى ضم إلى حوزته بلادا أخرى ، مثل شهر زور وملحقاتها ، وقلاع الهكارية والحميدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل .

ولما تقدمت به السن وعجز عن مباشرة مهام الحكم ، نزل عن البلاد التى فى حوزته فيما عدا إربل إلى قطب الدين مودود(٢) .

انقسمت أسرة بنى أرتق إلى فروع حكمت ماردين ، وحصن كيفا ، وخرتبرت . وتنسب الى أرتق بن أكسب — أحد مماليك السلطان ملكشاه — فقد ولاه حلوان وما إليها من أعمال العراق(٣) ، ولم يستمر فى ولايته طويلا ، إذ فارق فخر الدين بن جهير — وزير ملكشاه — بعد غزوه آمد سنة ٤٧٦ هـ(١٠٨٣ م) وسار إلى الشام حيث التحق بخدمة السلطان تاج الدولة تتش ، فولاه القدس بعد أن استولى عليها(٤) .

لما توفى أرتق بن أكسب خلفه ابناه سقمان وإيلغازى فى حكم بيت المقدس ، وظلت على هذه الحال حتى انتزعها الوزير الفاطمى الأفضل ابن بدر الجمالى سنة ٤٩١ هـ(١٠٩٧ م) ، فخرج سقمان وإيلغازى إلى العراق ، فأسند السلطان محمد إلى ايلغازى شحنة بغداد ، أما سقمان ، فسار إلى الرها

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٣٥

(٢) نفس المصدر السابق .

Lane Poole : The Mohammedan Dynasties. P. 165

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٧١

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ١ ص ١٧١

وحدثت بينه وبين كربوقا — صاحب الموصل — فتن وحروب . ولما توفى كربوقا ، خلفه موسى التركمانى — نائبه على حصن كيفا(١) — ، فزحف إليه جكرمش — صاحب جزيرة ابن عمر — وحاصره بالموصل(٢). فاستنجد بسقمان ، ووعده بإعطائه حصن كيفا ، فسار إليه ، وأنقذه من جكرمش وجنده واستولى على حصن كيفا سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١ م)(٣) ، وأقام بها أمارة صغيرة توارث حكمها بنوه(٤) .

تعاقب بنو أرتق على حكم حصن كيفا حتى وليه نور الدين محمد بن قرا أرسلان سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) ، وكان حليفاً لصلاح الدين الأيوبى ، واشترك معه فى حصار الموصل ، على أن يساعده فى الاستيلاء على آمد(٥) . فعاونه فى حصارها وأخذها من وزيرها ابن نيسان سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) وضمها الى دولته(٦) . وبذلك اتسع نطاق أتابكية حصن كيفا .

أما ماردين وأعمالها فكانت تتبع السلطان بركياروق ثم أقطعها لأحد مماليكه ، ولما حاصر كربوقا — صاحب الموصل — مدينة آمد . استنجد صاحبها بسقمان — صاحب حصن كيفا — فأنجده ، واشتبك فى عدة معارك مع كربوقا ، انتهت بهزيمته ، وأسر ابن أخيه ياقوتى ، ولما اشتدت غارات الأكراد على ماردين ، وعجز صاحبها عن صدهم ، طلب ياقوتى منه إطلاق سراحه ، على أن يساعده فى صد غارات الأكراد ، فأجاب طلبه ، وشرع

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٤٩٥ هـ .

(٢) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2. P. 168.

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧

(٤) زامباور : معجم الأنساب ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ٢١٢ .

(٦) Cambridge Medieval History Vol. 4 P. 317.

ياقوتى فى شن الغارات على الأكراد، وتمكن من الاستيلاء على ماردين(١)، ولم يكتف بذلك، بل اعتزم التوسع فى منطقة الجزيرة، فسار إلى نصيبين واستولى عليها، ثم قصد جزيرة ابن عمر، لكن صاحبها جكرمش، أوقع به الهزيمة وقتله (١). على أن ماردين لم تستمر طويلا فى حوزة جكرمش فقد انتزعها منه سقمان صاحب حصن كيفا(٣) — ثم آل حكمها بعد وفاته سنة ٤٩٨ هـ(١١٠٤ م) إلى أخيه إيلغازى بن أرتق وأقام بها أتابكية مستقلة عن كيفا، توارث أبناؤه ولايته(٤).

وكان يحكم ميافارقين السلطان قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش، ثم استولى عليها الأمير سكمان — صاحب خلاط (٥) — سنة ٥٠٢ هـ(١١٠٨م) وأحسن معاملة أهلها، وخفف عنهم عبء الضرائب وعين عليها والياً من قبله.

وفى عهد هذا الوالى طمع أمراء البلاد المجاورة فى ميافارقين وانتزعوا بعض أراضيها، فرأى السلطان أن يسند ولايتها إلى حاكم آخر يدعى ايلغازى فضبط أمورها ونشر العدل بين أهلها(٦). ولما توفى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١م) ولى ابنه تمرتاش حكم ماردين، على حين استقل ابنه الآخر سليمان بحكم ميافارقين(٧).

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، حوادث سنة ٤٩٥ هـ.

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٤
لما اعتزم سقمان بن أرتق الانتقام لابن أخيه، أرضاه جكرمش — صاحب الموصل ببعض المال، على أن سقمان انتزع ماردين من على الذى خلف أخاه ياقوتى فى حكم ماردين — لدخوله فى طاعة جكرمش. وقال إنما أخذتها لئلا يخرب البيت، وأقطعه جبل جور بالقرب من ماردين. (ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٥).

(٣) Cambridge Medieval History Vol. 4 P. 317

(٤) زامباور : معجم الأنساب ج ٢ ص ٣٤٥

(٥) قصبة أرمينية الوسطى (ياقوت : معجم البلدان ج ٣ — ٤٥٣)

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧١

(٧) ابن الوردى : تتمة المختصر فى تاريخ البشر ج ١ ص ٥٨

أما عن حصن كيفا وآمد ، فان أميرهما نور الدين محمدتوفى سنة٥٨٧هـ (١١٨٥ م) وخلفه ابنه الأكبر قطب الدين سقمان على الرغم من أن عماد الدين — أخو نور الدين محمد — كان مرشحا للامارة ، إلا أنه لم يتمكن من توليتها ، لاشتراكه وقتذاك مع صلاح الدين الأيوبى فى حصار الموصل فلما بلغه ماحدث ، سار إلى حصن كيفا ، غيرأنه لم يتمكن من الاستيلاء عليه فقصد خرتبرت وضمها الى حوزته ، وكون بها إمارة . توارث أبناؤه حكمها (١) .

(١) ابن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٨ .

الباب الأول

الموقف السياسى الداخلى فى دول أتابكة الموصل والجزيرة

١ - سياسة أتابكة الموصل والجزيرة فى توطيد سلطانهم :

حرص أتابكة الموصل والجزيرة على توطيد سلطانهم، فبادروا بالقضاء على حركات التمرد والعصيان التى قامت ضدهم ، فنى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) أعلن والى حلب — سليمان بن إيلغازى بن أرتق — العصيان على أبيه إيلغازى — صاحب ماردين وحلب (١) — فلما علم بذلك أسرع فى المسير إلى حلب (٢) ، وشرع فى مهاجمتها(٣) مما حمل ابنه سليمان على الخروج إليه معتذراً(٤) ، فعفا عنه(٥) ، وقبض على المشتركين معه فى الفتنة وعادت المدينة إلى طاعته وأناب بحلب ابن أخيه عبد الجبار بن أرتق ، ولقبه بدر الدولة. ثم عاد إلى ماردين(٦).

كذلك حاول سودكين الكرجى الاستقلال عن إمارة عماد الدين زنكى صاحب الموصل — على الرغم من أن زنكى أقطعه حران سنة ٥٣٢ هـ (١١٢٨ م) كما انضم إلى الخليفة العباسى المسترشد أثناء حصاره الموصل سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢ م) ، وعين واليا من قبله على حران ، فأحبط زنكى محاولته بأن أرسل جيشاً إلى حران سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) ، تمكن من

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ.
(٢) ابن النديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ٢٠٠ — ٢٠١
(٣) Runcimau : A History of the Crusades Vol. 2 P. 161
(٤) ابن العبرى . تاريخ مختصر الدول ص ٣٥١ ١٧٩
(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٩
(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ.

استعادتها ، وانتزاع قلعتها من واليها(١) .

وفى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) خرج أهل الحديثة على طاعة عماد الدين زنكى ، فأرسل جيشاً كبيراً إليهم (٢) ، وحاصر البلدة، ولم يزل يحاصرها حتى استعاد نفوذه عليها(٣) .

لما قتل عماد الدين زنكى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) ، استرد حسام الدين تمرتاش — صاحب ماردين — مدينة دارا التى كان زنكى قد استولى عليها غير أن سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — مالبث بعد ثلاث سنوات أن تمكن من ضمها الى حوزته ، كما استولى على كثير من أعمال ماردين(٤).

سار قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — على سياسة أبيه فى القضاء على حركات التمرد والعصيان ففى سنة ٥٢٢ هـ خرجت عليه جزيرة ابن عمر(٥) ، فقد كانت إقطاعا للأمير أبى بكر الدبيسى . ولما توفى هذا الأمير ، تحصن بها أحد مماليكه ، فسار إليها قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى وحاصرها عدة شهور حتى استعادها(٦).

كان زين الدين على — نائب قطب الدين مودود — أتابك الموصل — قد أسند ولاية تكريت(٧) لغلام له ، يدعى تبر(٨) ، فلما اعتزل عمله

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٤
(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٠
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ
(٤) ابن الأثير التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٩٠
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٦
(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١١٢ — ١١٣
(٧) كانت تكريت اقطاعا لزين الدين على
(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٦٧

بالموصل ، وانتقل إلى إربل ،وآلت البلاد التى كانت فى حوزته إلى قطب الدين مودود ، امتنع تبر عن تسليم تكريت فأجاب طلبه ، خشية أن ينزل عنها للخليفة العباسى(١) .

ولما توفى تبر ، خلفه إخوته فى حكم تكريت،غير أن الخلاف والشقاق ما لبث أن وقع بينهم ، وعجزوا عن حكمها كما أن قطب الدين مودود — أتابك الموصل — لم يحاول استعادتها(٢) .

ولما آلت أتابكية الموصل إلى سيف الدين غازى بن مودود سنة ٥٦٥هـ (١١٦٩ م) ، أعلن الأمير شهاب الدين محمد بن بوزان - والى شهرزور - استقلاله لعداوة كانت بينه وبين مجاهد الدين قيماز - نائب سيف الدين غازى بن مودود أتابك الموصل - فأرسل إليه رسولا من قبله ومعه كتاب يحثه فيه على القدوم إلى الموصل ، وترك التمرد والعصيان(٣) . وكان لهذا الكتاب أثر بالغ فى نفس شهاب الدين ، فتوجه إلى الموصل ، ودخل فى طاعة أتابكها(٤) .

استعان أتابكة الموصل والجزيرة برجال تمكنوا من معاونتهم فى توطيد سلطانهم ، والوقوف فى وجه أعدائهم ومنافسيهم فى السيادة والحكم ، فقد استناب عماد الدين زنكى - أتابك الموصل - نصير الدين جقر بن يعقوب الهمذانى(٥) فسيطر على شؤونها الداخلية(٦) ، واستطاع أن يقف فى وجه الخليفة العباسى المسترشد حين هاجم بلاده سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢ م(٧)) ، كما

---

(١) نفس المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٧

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٦٧

(٣) ابن الأثير . التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٢ هـ .

(٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٢

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٥

(٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١

ضد الأكراد الذين عاثوا فساداً فى بلاد الجزيرة ، واستولى على بعض بلادهم(١).

كذلك علا شأن زين الدين علي بن بكتكين الذى جعله عماد الدين زنكى نائبا له سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) ، وامتد نفوذه إلى إربل(٢) وشهرزور وقلاعها وجميع قلاع الهكارية(٣) ، كما ضم إليه السلطان السلجوقى مسعود سنة ٥٤٤ هـ تكريت وحران وسنجار(٤).

أبقى سيف الدين غازى بن زنكى — أتابك الموصل — زين الدين على نائباً له ، واتخذ وزيراً له يدعى جمال الدين محمد بن على الأصفهانى . وظل الحال على ذلك حتى ولى قطب الدين مودود بن زنكى سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) أتابكية الموصل . فأقرهما فى عملهما(٥) ، وقد أثار ازدياد نفوذهما حقد بعض الأمراء ، فأرسلوا إلى نور الدين محمود بن زنكى — صاحب الشام — يطلبون منه القدوم اليهم ، وحكم بلادهم ، فاستجاب لهم وقصد الموصل(٦) . ولما علم قطب الدين مودود بن زنكى — أتابك الموصل — بذلك ، اعتزم الوقوف فى وجه أخيه ، فسار على رأس جيش كبير إلى بلاد الشام ، ولما اقترب هذا الجيش من تلك البلاد ، أرسل إلى نور الدين ينكر عليه محاولة الأغارة على بلاده ، ويهدد بمحاربته إن لم يرجع عنه(٧) . غير أن الوزير جمال الدين محمد بن على الأصفهانى أشار بالصلح(٨) ، واستطاع أن يصلح بين الأخوين(٩) ،

(١) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١
(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤
(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١
(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٦
(٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٦٠
(٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٤
(٧) بن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٩٩
ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ١٤٨
(٨) ابن الأثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ
(٩) [illegible] الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٩

كان الوزير جمال الدين محمد بن على الأصفهانى كثير البر والصدقات كما قام بكثير من الاصلاحات فى الموصل وسنجار ونصيبين وجزيرة ابن عمر(١)، وكانت الموصل فى أيامه ملجأ لكل ملهوف، ومأمنا لكل خائف(٢)، وبلغ من علو منزلته أن قطب الدين مودود — أتابك الموصل — جعله مشرف مملكته كلها، غير أن خواص قطب الدين مودود أوغروا صدره عليه، فأمر بحبسه، مما ترتب عليه حدوث بعض الاضطرابات فى أتابكية الموصل(٣).

كذلك استناب سيف الدين غازى بن مودود — أتابك الموصل — مجاهد الدين قيماز — وفوض إليه الحكم فى سائر أتابكيته، كما قام بادارة شؤون أتابكيتى الجزيرة واربل نيابة عن أميريهما(٤). غير أن سيف الدين غازى مالبث أن قبض عليه بتحريض من بعض خواصه، فاضطربت البلاد، وطمع فيها الطامعون(٥)، فأرسل الخليفة العباسى جيشا، استولى على دقوقا(٦)، واستقل زين الدين على بن بكتكين باربل ومعز الدين سنجرشاه بالجزيرة(٧)، ولم يستطع عزالدين مسعود — أتابك الموصل — السيطرة على أتابكيته، فأطلق سراح مجاهد الدين قيماز، وأعاده نائبا له(٨).

اتخذ سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود — أتابك الموصل — جلال الدين أبا الحسن على بن جمال الدين وزيرا له سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥م).

---

(١) سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى جـ ٨ ص ٢٤٨
(٢) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٢١٩—٢٢٠
(٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية، ص ١١٨ — ١١٩
(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ
(٥) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ١٥٤ — ١٥٥
(٦) مدينة بين إربل وبغداد (ياقوت: معجم البلدان جـ ٤ ص ١١٦)
(٧) أبو الفدا: المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٧١
(٨) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٠١

وفوض إليه كافة أمور الدولة(١) ، فأظهر كفاية فى مباشرة مهام عمله ، وإدارة البلاد غير أن سيف الدين غازى قبض عليه بتحريض من بعض أخصائه سنة ٥٧٣ (١١٧٧ م) ثم أطلق سراحه ، فذهب إلى آمد(٢) .

كما كان لبدر الدين لؤلؤ — نائب نور الدين أرسلان شاه الأول ابن مسعود — أتابك الموصل — أثر كبير فى توطيد سلطانه ، فأسند إليه إدارة الجيوش والعساكر وسياسة القبائل والعشائر (٣) ، وأوصاه بأن يدبر أمر ابنه عز الدين مسعود الثانى بعد وفاته . ولما توفى أرسلان شاه الأول تصدى بدر الدين لؤلؤ لمعاونة عز الدين مسعود الثانى فى توليته أتابكية الموصل ، ولم يمكن عمه عماد الدين زنكى — صاحب قلعتى العقر وشوش(٤) من انتزاع الحكم من الأتابك الجديد . ثم عين بدر الدين لؤلؤ نور الدين أرسلان شاه الثانى أتابكا على الموصل بعد وفاة عزالدين مسعود وحرص على عدم تحقيق أطماع أمراء البلاد المجاورة فى أتابكية الموصل(٥) ثم انفرد بحكم هذه الأتابكية وظل يلى أمورها حتى وفاته سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) ، فخلفه ابنه الملك الصالح ركن الدين إسماعيل ، وهو آخر أتابكتها(٦) .

كذلك حرص أتابكة حصن كيفا على الاستعانة برجال أكفاء تمكنوا بمعاونتهم من توطيد سلطانهم ، فاستعان فخر الدين قرا أرسلان — أتابك

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٥٤
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧١ هـ
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٢٠٣
(٤) إحدى قلاع الموصل .
(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ١ ص ٢٥٧
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٦٩ .
(٦) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ — تاريخ المغول المجلد الثانى جـ ١ ص ٣١٧

حصن كيفا — بنور الدين محمود — صاحب لشام — فى صد المغيرين على إمارته . ولما عهد إلى ابنه محمود ، اعتزم أن يؤمنه فى دولته بعد توليته الحكم ، فأوصى نور الدين محمود بأن يصد الأعداء عن أبنه(١) فأجاب طلبه(٢) .

على أن بعض أتابكة الموصل والجزيرةلم يقبل سيطرة النواب والوزراء على شؤن الحكم ، فلما توفى إيلغازى الثانى بن الى بن تيمورتاش — صاحب ماردين سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) ، خلفه ابنه بولق أرسلان — وكان طفلا صغيرا — فقام بتدبير أمور أتابكيته وزير أبيه — نظام الدين — ولما توفى بولق خلفه أخوه الأصغر — ناصر الدين أرتق — ، فظل تحت وصاية الوزير نظام الدين حتى سنة ٦٠١ هـ(٣) (١٢٠٤ م) ، حيث عول على استعادة نفوذه وسلطانه فى إمارته ، فدبر مؤامرة للتخلص من نظام الدين ، كما حارب أنصاره ، وأوقع بهم الهزيمة . وتمكن بذلك من أن يصبح الحاكم الفعلى فى أتابكيته(٤) .

٢ — الأحداث الداخلية فى دول الأتابكة

كان الخلاف والنزاع كثيراً ما يظهر فى دول الأتابكة حول الحكم مما أضعف من شأن هذه الدول . . فبعد مقتل عماد الدين زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل (٥) — اضطرب الجنـــد ، وقصدوا خيمة الملك ألب

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٥٣ — ١٥٤
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٢ هـ
(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٨ — ٢١٩
(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الثانى ج ٨ ص ٥١٨
(٥) كان عماد الدين زنكى أتابكا له

أرسلان بن محمود(١) ، ونادوا به أميرا على الموصل(٢) ، لكن وزراء زنكى بذلوا قصارى جهدهم للاحتفاظ بالملك فى بيته . وأنهى وزيراه جمال الدين محمد بن على الأصفهانى ، وصلاح الدين الياغيسيانى العداوة التى كانت بينهما (٣) ، وأرسل جمال الدين إلى صلاح الدين يقول ، : « إن المصلحة أن نترك ما كان بيننا وراء ظهورنا ، ونسلك طريقا يبقى به الملك فى أولاد صاحبنا ، ونعمر بيته جزاء لإحسانه إلينا . فاستجاب صلاح الدين له ، وتصافيا ومن ثم إستطاعا الحيلولة دون تولية ألب أرسلان الموصل ، وتنصيب سيف الدين بن عماد الدين زنكى ، أتابكا عليها(٤) وقد أشاد ابن الأثير(٥) بالدور الذى قام به جمال الدين محمد بن على الأصفهانى وزير زنكى — لإبقاء حكم الموصل فى بيته ، فقال : « فانظر إلى فعل جمال الدين وحسن عقله وكمال مروءته ، ورعايته لحقوق مخدومه وإحسانه وهذا المقام الذى ثبت فيه ، يعجز عنه عشرة ألف فارس » .

لم يحكم سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى دولة أبيه كلها ، بل ولى أخوه نور الدين محمود بعض نواحيها ، وامتدت أطماعه إلى(٦) ولاية حلب وشجعه على ذلك أسد الدين شيركوه(٧) فقال له : « قد رأيت أن أصيرك إلى حلب ، وتجعلها كرسى ملكك ، وتجتمع فى خدمتك عساكر

---

(١) ابن القلانسى . ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٥
Setton : A History of the Crusades. vol.I p .462
(٢) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ١١٥
ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٦
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٠٨ — ١٠٩
Runciman : A History of the Crusades. vol .S p.239
(٤) أبو شامه . الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ١٢١ — ١٢٢
(٥) ابن الأثير . التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٦
(٦) نفس المصدر
Lane Poole ; Saladin. p.60
(٧) ابن قاضى شهبه الكواكب الدرية فى السيرة النوريه ورقة ٤

الشام ، وأنا أعلم أن الأمر يصير جميعه إليك ، لأن ملك الشام حلب ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق(١)، ولم يلبث نور الدين محمود بن زنكى أن سار قاصداً حلب (٢) وضمها إلى حوزته ، كما استولى على حماة ومنبج وحران وحمص وجميع ما كان بيد أبيه من بلاد الشام(٣) .

لما استقر سيف الدين غازى بن زنكى فى حكم الموصل سار إلى بلاد الشام لإقرار أخيه على البلاد التى وليها على اعتبار أنه الوريث الشرعى لملك أبيه(٤) ، وقد تبودلت المراسلات بين الأخوين فى هذا الصدد. وعلى الرغم من أن سيف الدين غازى بن زنكى أتابك الموصل - استمال أخاه ، فإن نور الدين محمود بن زنكى لم يسرع فى القدوم إليه خشية منه . ولما التقيا تعرف نور الدين محمود على أخيه(٥). فقبل الأرض بين يديه ، ودخل فى خدمته . فأقره على ما بيده من بلاد الشام(٦). وعاد سيف الدين غازى إلى الموصل ونور الدين محمود إلى حلب(٧).

لم يترك سيف الدين غازى ولداً يخلفه فى الحكم ، فلما توفى سنة ٥٤٤هـ (١١٤٩ م) ، اتفق كبار رجال دولته على تولية أخيه قطب الدين(٨) مودود، لما عرف عنه من كرم الأخلاق ، وأقسموا له يمين الولاء والطاعة ، كما أقسم لهم أن يحكم بالعدل ، وتسلم جميع ما كان بيد سيف الدين من البلاد(٩) .

---

(١) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ١١١

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٢ هـ
أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٩

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٥

(٤) Runciman: A History of the Crusades vol.2 p.241.

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٨

(٦) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ١٢٢

(٧) Zoe olden Bourg; Les Croisades. p.338.

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٨
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٧

(٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ

أوصى قطب الدين مودود قبل وفاته سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) بالملك بعده لابنه عماد الدين زنكي ـ وهو أكبر أولاده(١) ـ ثم عدل عنه إلى ابنه الآخر سيف الدين غازي، والذي عاونه النائب فخر الدين في تولية الملك بعد وفاة أبيه وأحضر الأمراء والأجناد واستحلفهم له، ذلك أنه كان يبغض عماد الدين بن قطب الدين مودود بن زنكي، لأنه كان طوع إرادة عمه نور الدين محمود بن زنكي الذي اعترض على بقاء هذا النائب في الموصل(٢).

اعترض عماد الدين زنكي بن مودود على تحويل الملك منه إلى أخيه وطلب من عمه نور الدين(٣) محمود بن زنكي أن يعاونه في تمكينه من حكم الموصل(٤). فاستجاب له،(٥) واضطر صاحبها سيف الدين بن قطب الدين مودود بن زنكي إلى الاستنجاد بشمس الدين أيلدكز ـ صاحب همذان والجبل وإذربيجان وأصفهان والري ـ فأنفذ رسولا إلى نور الدين محمود يحذره من المسير إلى الموصل(٦) فاستاء نور الدين من هذه الرسالة، وقال للرسول قل لصاحبك: أنا أصلح لأولاد أخي منك(٧).

ولما تمكن من الاستيلاء على الموصل، أبقى سيف الدين غازي بن مودود

---

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٣٧٢

(٢) Runciman; A History of the Crusades. vol.2 p' 390

(٣) ابن قاضي شهبه: الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ١٤٨

(٤) أبو الفدا: المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٥

(٥) نفس المصدر.

(٦) كذلك قال نور الدين محمود للرسول قل لصاحبك. «ولم تدخل نفسك بيننا، وعند الفراغ من إصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همذان فانك قد ملكت هذه المملكة العظيمة، وأهملت الثغور، حتى غلب الكرج عليها، وقد بليت أنا ولي مثل ربع بلادك بالفرنج ـ وهم أشجع العالم ـ ولا يحل لي السكوت عنك، فانه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت وإزالة الظلم عن المسلمين».

(٧) ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ١ ص ١٩٢

أتابكا عليها (١) ، وعهد إلى أخيه عماد الدين زنكى بن مودود بحكم سنجار وأضاف إليه الرقة ونصيبين والخابور (٢) .

لم يعهد سيف الدين غازى بن مودود بأتابكية الموصل من بعده لابنه الأكبر معز الدين سنجر شاه ، لأنه كان حدثاً لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، فى الوقت الذى قويت فيه شوكة صلاح الدين الأيوبى فى بلاد الشام ، وخشى أن تمتد أطماعه إلى الموصل ، فعهـــد إلى أخيه عز الدين مسعود ، لما عرف عنه من حسن السياسة ، وولى ابنه بعض البلاد (٣) ، وأمرهما أن يكونا طوع إرادة عمهما عز الدين مسعود (٤) ، فلما توفى سيف الدين غازى سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) ركب عز الدين مسعود إلى دار الأتابكية ، وتولى مقاليد الأمور فى أتابكية الموصل (٥) .

على أن معز الدين سنجرشاه لم يعمل بوصية أبيه ؛ بل أوقع بينه وبين جيرانه فحاصره صاحب الموصل ، وضيق عليه الحصار ، واعتزم أخذ الجزيرة منه ، فلما عجز سنجرشاه عن الدفاع عن أتابكيته ، سأله العفو والصفح ، فأجاب طلبه وأنعم عليه ، وأمنه ، وأقره على بلده ثم عاد إلى الموصل (٦) .

على أن معز الدين سنجر شاه ما لبث أن عاد سيرته الأولى ، وأساء إلى عمه ، وعلى الرغم من ذلك فقد تغاضى أتابك الموصل عن أخطائه (٧) .

---

(١) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج٤ ص ٢١٦ .

(٢) اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج ٣ ص ٤٠٧

(٣) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماة ص ٣٧٧ .

(٤) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٤ ص ٢٥٨ .

(٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٧٩ .

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٧٧ هـ .

(٧) قال عز الدين مسعود « ما يمنعنى من أخذ بلده ، والحجر عليه ، إلا الخوف من ظن الملوك ، إننى فعلت ذلك شرها على ما بيده ، وإلا كنت فعلت معه ما يستحقه . »
(ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص ٩٧)

ولما أحس عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود ، بدنو أجله ، أوصى بأتابكية الموصل من بعده لولده نور الدين أرسلان شاه ، فاعترض أخوه شرف الدين على ذلك ، وطلب منه أن يوليه أتابكية الموصل ، وأعد جنداً لتحقيق هذه الغاية (١) .

ولكن مجاهد الدين قيماز — نائب الموصل — لم يمكنه من تحقيق غرضه ، فأسرع فى أخذ البيعة لنور الدين أرسلان شاه . وكان لذلك أثر سيء فى جند شرف الدين ، فانفضوا من حوله . ولم يمض غير قليل حتى توفى عز الدين مسعود ، واستقر نور الدين فى الحكم (٢) .

عهد نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود بالحكم من بعده إلى ابنه عز الدين مسعود الثانى (٣) ، وأخذ له البيعة من الجند وكبار رجال الأتابكية (٤) ، وأقطع ولده الأصغر عماد الدين زنكى بعض القلاع ، وأسند إلى بدر الدين لؤلؤ تدبير مقاليد الأمور (٥) فى أتابكية الموصل .

ولما توفى الملك القاهر عز الدين مسعود سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) عمل بدر الدين لؤلؤ على تولية ابن هذا الأتابك مكان (٦) أبيه ، وأقام له الخطبة ونقش اسمه على السكة ، وأرسل إلى الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، يطلب التقليد له (٧) ، كما بعث إلى أمراء البلاد المجاورة يطلب منهم تجديد العهد للأتابك الجديد الذى توطدت سلطاته بعد أن وصل إليه تقليد من الخليفة العباسى .

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٩٩ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٣ ص ٢٠٢ — ٢٠٣
(٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٩٩ .
(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٨ هـ
(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٣٥
(٧) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٥

لم يرض عماد الدين زنكى بن نور الدين أرسلان شاه الأول عن تولية ابن أخيه أتابكية الموصل، وعول على الاستقلال ببعض القلاع التى أقطعت، له ودار القتال بينهما. واستعان عماد الدين زنكى بمظفر الدين كوكبورى بن زين الدين — صاحب أربل — فحاول بدر الدين لؤلؤ أن يثنيه عن اعزمه(١). غير أن مظفر الدين أصر على الوقوف إلى جانب عماد الدين زنكى، الذى ما لبث أن أوقع الهزيمة بجند الموصل، وأرغمهم على الارتداد على أعقابهم منهزمين (٢).

وكان لهذا الانتصار الذى أحرزه عماد الدين زنكى أثر بالغ فى نفسه فأرسل إلى سكان قلاع الهكارية والزوزان، يطلب منهم الدخول فى طاعته (٣)، فأجابوا طلبه، وعين ولاة من قبله (٤).

ولما رأى بدر الدين لؤلؤ خروج قلاع الهكارية والعمادية والزوزان من يده واتفاق مظفر الدين، وعماد الدين عليه، وسعيهما إلى الاستيلاء على بلاده، وتعرضهما لأطرافها بالنهب والأذى، أرسل إلى الملك الأشرف موسى بن العادل — صاحب ديار الجزيرة وخلاط — يطلب منه العون والتأييد، فوافق الأشرف على مساعدته فى استعادة البلاد التى أخذت منه (٥).

وأرسل الملك الأشرف إلى مظفر الدين كوكبورى، يحذره من مغبة تأييده لعماد الدين زنكى، ويطلب منه إعادة ما أخذ من قلاع الموصل، وقال: «لنجعل شغلنا جمع العساكر، وقصد الديار المصرية، وإجلاء

---

(١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٥ ص٢٧٩
(٢) أبو الفدا: المختصر فى تاريخ البشر جـ ٢ ص ١٢٧.
(٣) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٥ — ٤٠٦
(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ.
(٥) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٥

الفرنج عنها قبل أن يعظم خطبهم ويستطير شرهم » (١) .

لم يستجب مظفر الدين كوكبورى لتحذير الملك الأشرف له ، وانضم إليه ناصر الدين محمود — صاحب حصن كيفا وآمد — وكذلك صاحب ماردين ، فأرسل الأشرف جيشاً إلى نصيبين لمعاونة بدر الدين لؤلؤ (٢) .

أما عن موقف عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه الأول ، فإنه أرسل فرقاً من جنده للإغارة على أعمال الموصل ، غير أن بدر الدين لؤلؤ أوقع به هزيمة ساحقة (٣) ، واضطره إلى الفرار هو وجنده إلى إربل ، وجاءت الرسل من قبل الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، والملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبى ، واستطاعت عقد صلح بين بدر الدين لؤلؤ وعماد الدين زنكى (٤) .

كذلك اعترض عماد الدين زنكى على تولية ناصر الدين محمود أتابكية الموصل ، وعاد إلى التمرد والعصيان ، وأعانه على ذلك مظفر الدين كوكبورى — أتابك إربل — وأغار جندهما على أطراف (٥) الموصل ، فاستعان بدر الدين لؤلؤ بجند الملك الأشرف بن العادل الأيوبى المرابطين فى نصيبين ، ودار قتال بين الفريقين ، انتهى بعقد صلح بينهما ، تضمن أن يحتفظ كل منهما بما تحت يده من البلاد (٦) . غير أن هذا الصلح لم يستمر طويلاً ، فعاد النزاع بين بدر الدين لؤلؤ ، وعماد الدين زنكى سيرته الأولى ، مما اضطر

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ
أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١
(٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٤
(٣) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٨
(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٠
(٥) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٨
(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ

بدر الدين إلى الاستنجاد بالملك الأشرف بن العادل الأيوبى الذى كان وقتذاك بحلب، فقدم إليه (١).

أما مظفر الدين كوكبورى فإنه استطاع أن يضم إليه أمراء الجزيرة فى صراعه ضد صاحب الموصل. وحليفه الملك الأشرف بن العادل، كما استمال بعض أمراء الملك الأشرف بن العادل الأيوبى. وقد أغار هؤلاء جميعاً على قرى وأعمال الموصل، غير أن بدر الدين لؤلؤ سرعان ما تمكن من صد هجماتهم (٢).

لما قدم الملك الأشرف بن العادل الأيوبى الموصل بعد أن استولى على سنجار وفد إليه رسل الخليفة، ومظفر الدين، وعقد بين الفريقين صلح، استرد بمقتضاه بدر الدين لؤلؤ بعض القلاع. ولم يمض غير قليل حتى انتهت فتنة عماد الدين زنكى، واسترد بدر الدين جميع القلاع التى كانت فى حوزته (٣).

لم يستمر سكان قلعة العمادية على ولائهم لبدر الدين لؤلؤ بل خرجوا عليه بزعامة أولاد خواجة، وأرسلوا إلى عماد الدين زنكى يطلبون منه القدوم إليهم، ومنعوا أصحاب بدر الدين لؤلؤ من البقاء بينهم، بل تحصنوا فى القلعة، فحاصرهم جند بدر الدين، وقطعوا الميرة عنهم، فاضطروا إلى التسليم، ثم عفا بدر الدين عن مثيرى الفتنة (٤).

كذلك حدث فى سنجار نزاع بين أفراد البيت الأتابكى حول الحكم، مما عرض هذه الأتابكية لاضطرابات داخلية، فلم يكد يتولى شاهنشاه

---

(١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٥ ص ٢٧٢
(٢) أبو الفدا: المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٣١
(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٥هـ
(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٢٢هـ
ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٥ ص ٢٧٤.

ابن قطب الدين محمد الحكم فى سنجار حتى نازعه أخوه عمر ، ثم عمل على التخلص منه ، وخالفه ، غير أنه ما لبث أن اضطر إلى تسليم سنجار إلى الملك الأشرف بن الملك العادل الأيوبى (١) ، وأخذ الرقة عوضاً عنها(٢)، لكنه لم يستمر طويلا فى حكمها فقد انتزعها منه الأيوبيون ، وتوفى بعد قليل (٣) .

ولم يكن فى أتابكية إربل نظام ثابت لتولى الحكم ، فلما توفى زين الدين على كجك ـ أتابك إربل ـ سنة ٥٦٣ ﻫ (١١٦٧ م) خلفه ابنه مظفر الدين أبو سعيد ، لكن نائبه مجاهد الدين قيماز عزله ، وولى مكانه أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف (٤) ، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ٥٨٦ ﻫ (١١٩٠ م) فطلب أخوه مظفر الدين من صلاح الدين الأيوبى إعادته إلى إربل ، فأقره عليها مقابل نزوله له عن حران والرها ، وأضاف إليه شهرزور وأعمالها (٥) .

لم يرض أهل إربل عن تولية مظفر الدين عليهم ، فكاتبوا مجاهد الدين قيماز ، يطلبون منه القدوم إلى بلادهم وتسلمها ، لكنه خشى من صلاح الدين وبذلك أتيح لمظفر الدين أن يوطد سلطته فى إربل (٦) . على أن هذه المدينة لم تبلغ أوجها إلا فى عهد هذا الأمير ، فزاد فى رقعتها بأن ضم إليها إقليم شهرزور بما فيه كركوك (٧).

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٦ﻫ

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى ج٨ ص٦٠٩

(٣) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج٣ ص ١٣١ .

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص١٣٦ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ ص٢٣

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨٦ﻫ .

ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥ .

(٧) Encyc. of Islam; Art Irbil.

لم يكن لمظفر الدين وارث يخلفه فى الحكم ، فأوصى بإمارته من بعده إلى الخليفة العباسى المستنصر (١) ، فلما توفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣١ م) ، آلت السيادة عليها إلى هذا الخليفة ، فولى عليها أبا المعالى محمد بن نصر ابن صلايا (٢) .

كذلك حدثت خلافات فى أتابكية حصن كيفا حول ولاية الحكم ، ففى سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) لم يتمكن عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان من تقلد الإمارة ، على الرغم من أنه كان مرشحاً لها بعد أخيه نور الدين محمد — صاحب حصن كيفا — ذلك أن قطب الدين سقمان — أكبر أبناء هذا الأمير (٣) ، انتهز فرصة غياب عمه عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان ، وأعلن نفسه أميراً على حصن كيفا ، فاستاء من ذلك عمادالدين ، وعول على المسير إلى حصن كيفا للاستحواذ عليه من ابن أخيه (٤) ، غير أنه لم يتمكن من تحقيق غايته ، فاستولى على خرتبرت . وولى حكمها (٥) .

لم يعهد قطب الدين سقمان — صاحب حصن كيفا — لأخيه محمود من بعده ، على الرغم من أحقيته فى الإمارة إذ كان شديدالكراهية والبغضاء له ، كما لم يعهد لأحد من أفراد أسرته ، بل عهد إلى أحد مماليكه ، ويدعى إياس ، وزوجه أخته . فلما توفى خلفه إياس ، غير أن أهل حصن كيفا لم يرضوا بانتقال الحكم من بنى أرتق إلى أحد المماليك ، وأنفوا من ذلك ، والتفوا حول محمود أخو قطب الدين ، ونادوا به أميراً عليهم ، فسار إلى آمد على رأس جمع كبير من أنصاره ، ولما عجز إياس عن صدهم ، اضطر

---

(١) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥

(٢) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج٣ ص٧٣ .

(٣) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج٣ ص٧٣

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٥ ص٢١٨ — ٢١٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ .

إلى تسليم البلدة لهم ، فاستولى عليها محمود ، كما استولى على حصن كيفا سنة ٦١٩ هـ (١) (١٢٢٢ م) . وبذلك آلت إليه الأتابكية التى كان يليها أبوه .

كذلك تعرضت أتابكيات الموصل والجزيرة لفتن داخلية أضعفت من شأنها ، فعلى الرغم من أن عماد الدين زنكى بن آقسنقر — أتابك الموصل — كان يظهر الولاء والطاعة للسلطان السلجوقى ألب أرسلان (٢)، ويكتب الرسائل باسمه ، ويقيم الخطبة له ، وينقش اسمه على السكة ،ويعتزم أن يخطب له بالسلطنة فى الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان مسعود ، إلا أن ألب أرسلان لم يكن وفياً لأتابكه (٣) ، فوجه اهتمامه إلى استعادة نفوذه فى الموصل ، منتهزاً فرصة غياب عماد الدين زنكى بن آقسنقر ، وحرضه على قتل نصير الدين جقر — نائب أتابك الموصل — فوافقهم على ذلك (٤) .

استاء أنصار نصير الدين جقر من مؤامرة ألب أرسلان ، فقاتلوا رجاله قتالا شديداً (٥) ، وفى نفس الوقت عمل القاضى تاج الدين يحيى بن الشهرزورى على تهدئة الفتنة (٦) ، فخدع السلطان السلجوقى بأن أقنعه بالصعود إلى قلعة الموصل حتى يملكها (٧) . وبذلك يتيسر له الاستيلاء على الموصل (٨) ،

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص٣١٥-٣١٦
(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٧١
(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١
(٤) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusaders P.288.
(٥) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ١ ص ١٠٤
(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .
(٧) قال له : « إنك أن قتلته ، ملكت الموصل وغيرها ، ويعجز أتابك أن يقيم بين يديك ، ولا يجتمع معه فارسان عليك . » (ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ) .
(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص ٣١٦

ولما تقدم ألب أرسلان إلى قلعة الموصل ، حاصره أصحاب نصير الدين ، وأوقعوا الهزيمة بجنده وأنصاره ، فأدى ذلك إلى إخماد هذه الفتنة (١).

تعرضت الموصل لفتنة أخرى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) ، فقد تسلل بعض الخدم إلى مخيم عماد الدين زنكى بن آقسنقر أثناء حصاره قلعة جعبر وذلك بتحريض من خصومه ، ثم وثبوا عليه ، وطعنوه طعنة أدت إلى وفاته . مما ترتب عليه حدوث بعض الاضطرابات ، غير أن بعض وزرائه تمكنوا من إخمادها (٢) .

كذلك تآمر بعض أبناء سنجر شاه — أتابك الجزيرة عليه ، بسبب ما عرف عنه من سوء السيرة ، وعدم إقراره العدل بين رعاياه (٣) ، وانتهى الأمر بمقتله ، وتولية ابنه محمود الحكم (٤) .

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١

(٢) Archer : The Crusades p. 203

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنه ٦٠٥ هـ

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٣ ص ١٠١٧

٣ — انحلال دول أتابكة الموصل والجزيرة وزوالها

تعرضت بلاد الموصل والجزيرة فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى للغزو المغولى ، مما أدى إلى ضعفها وانهيارها ؛ ففى الموصل اضطر صاحبها بدر الدين لؤلؤ إلى إظهار ولائه لهولاكو ، وإرسال الأموال إليه ، واشترك معه فى بعض غزواته (١) . ولما توفى سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) ، خلفه ابنه الملك الصالح بعهد من هولاكو (٢) ، غير أنه لم يلبث أن رحل عن الموصل بسبب تدخل المغول فى إمارته ، ولجأ إلى السلطان الملك الظاهر بيبرس فى مصر ، فأكرم وفادته ، وعين له راتباً شهرياً (٣) .

ثم أعاده إلى الموصل على رأس ألف فارس فدخلها قبل قدوم المغول إليها (٤) ، وأغلق أبوابها ، وكان بها جيش كبير من الأكراد والتركمان ، فوزع عليهم الرواتب الوفيرة ، وحثهم على القتال .

ولما بلغ المغول الموصل ، نازلوا أهلها وأقاموا المتاريس ، ونصبوا المجانيق ، وتأهب أهلها لقتالهم (٥) . فاضطر هولاكو إلى إرسال جيش آخر لإخضاعهم واعترض جيش المغول قوات الظاهر بيبرس التى قصدت الموصل لنجدتها عند سنجار (٦) ، ودارت بين القوات المغولية والقوات المملوكية معركة ، قتل

(١) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥١

(٢) Howorth: History of the Mongols. vol,4.p. 181

(٣) قطب الدين اليونينى : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ٤٥٢

(٤) نفس المصدر جـ ٢ ص ١٥٦

(٥) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ — المجلد الثانى تاريخ المغول

(٦) Howorth; History of the Mongols. vol.4. p.181

فيها كثير من جند السلطان بيبرس ، ولم ينج منهم إلا من استطاع الفرار من هذه المعركة(١) .

أدى حصار المغول للموصل الذى استمر ستة أشهر إلى اضطرار كثير من أهلها إلى الرحيل إلى الصحراء ، فساروا طعمة لسيوف المغول ، ولما اشتد بهم الكرب ، أرسل الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل — إلى سند ياغو — قائد المغول يطلب الأمان ويقول . « إنى نادم على ما فعلت ، وسأخرج إليك لأتلافى ما فات ، ولكن بشرطين ، أحدهما : ألا تأخذنى بأخطائى السابقة ، وثانيهما : أن تبعثنى إلى هولاكو خان وتشفع لى عنده حتى لا يهدرَ دمى » ، فأمنه القائد المغولى ، وخرج إليه يحمل الهدايا والأموال ، ولم يسمح للصالح بالمثول أمام هولاكو ، وأمر بعض الجند بقتله (٢).

دخل المغول الموصل فى رمضان سنة ٦٦٠ هـ ، ونكلوا بسكانها ، وأسروا بعض أرباب الحرف والصناعات ، بحيث لم يبق فى هذه المدينة أحد (٣) . وهكذا زالت أتابكية الموصل .

كذلك استولى المغول على سنجار أثناء حصارهم الموصل سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) ، وكان الملك الأشرف بن العادل الأيوبى قد أخذ سنجار من أتابكها محمود بن محمد بن زنكى الثانى سنة ٦١٧ هـ (٤) (١٢٢٠ م) ،

(١) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ١٥٦
(٢) رشيد الدين فضل الله الهمزانى : جامع التواريخ المجلد الثانى ج ١ ص ٣٢٨
(٣) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ١٥٩
(٤) هاجم محمود بن محمد بن زنكى قرى للموصل بتحريض من عماد الدين أحمد بن على المشطوب الذى خرج على الملك الأيوبى الأشرف موسى بن الملك العادل ، فخرج بدر الدين لؤلؤ من الموصل وهاجم ابن المشطوب بتل أعفر واستولى عليه ، وقبض على ابن المشطوب ، وأبلغ الأشرف بذلك فعظمت مكانة صاحب الموصل عنده ، ولما طلب منه مساعدته على الوقوف ضد هجمات صاحب سنجار ، أجاب طلبه ، وسار بجيشه عبر الفرات إلى حران =

وظل الأيوبيون يحكمونها حتى استولى عليها بدر الدين لؤلؤ — أتابك الموصل — سنة ٦٣٨ هـ (١٢٣٩ م)، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) فخلفه ابنه علاء الدين الذى استمر يلى أمرها حتى دخلت فى حوزة المغول (١).

وكان بدر الدين لؤلؤ قد انتزع جزيرة ابن عمر من أتابكها مسعود ابن محمود سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) (٢)، وظل يحكمها حتى وفاته، فخلفه فى ولايتها ابنه المجاهد إسحق، وأبقاه هولاكو حتى سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) حيث انتزعها منه (٣).

ولم تكن إربل أحسن حالا من دول أتابكة الموصل والجزيرة، فقد تعرضت لغزو المغول، وأوصى صاحبها مظفر الدين كوكبورى، بأن تؤول إربل من بعده إلى الخليفة العباسى، إذ لم يكن له وارث يرثه فى الحكم، فلما توفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م)، أرسل الخليفة المستنصر بالله العباسى، الشريف تاج الدين بن صلايا (٤) إلى إربل، فدخلها بعد أن قاومه أهلها مقاومة عنيفة، وظل أهلها غير راضين عن حكم العباسيين لهم حتى هددها المغول بغاراتهم (٥) سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م)، ثم انسحبوا مقابل جزية كبيرة.

= فاستولى عليها، ثم قصد سنجار، وبينما هو فى طريقه إليها، لقيه رسل صاحبها، يعرض على الأشرف تسليمه سنجار، فى مقابل تعويضه الرقة، فأجاب الأشرف طلبه، وفارق محمود بن محمد بن زنكى سنجار سنة ٦١٧ هـ.

(ابن الأثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٧ هـ).

(١) أبو الفدا: المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٢٠٦

(٢) حدث نزاع بين مسعود بن محمود — أتابك الجزيرة وبدر الدين لؤلؤ، فعول على الانتقام منه، وأرسل جيشاً استولى على بلاده سنة ٦٤٨ هـ.

(محمد على عوض: تاريخ الدول والإمارات الكردية فى العهد الإسلامى ص ١٦٤)

(٣) أبو الفدا. المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١

(٤) نفس المصدر ج ٣ ص ١٦١

(٥) سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى ج ٨ ص ٦٨٠

ولما اعتزم هولاكو الاستيلاء على بغداد ، عول على أخذ إربل فى نفس الوقت ، وعهد إلى أحد قواده بفتحها ، وكان لهذه المدينة قلعة عظيمة مشيدة على مرتفع يجعل فتحها أمراً عسيراً (١) ، فظلت حاميتها تقاوم قوات المغول حتى عجز القائد المغولى عن المضى فى القتال ، وأرسل إلى بدر الدين — صاحب الموصل — يطلب مساعدته (٢) ، فأشار عليه بدر الدين لؤلؤ بأن يرجىء الاستيلاء على القلعة حتى الصيف ، حيث يلجأ الأكراد إلى الجبال هرباً من حرارة الجو ، ثم عهد القائد المغولى إلى بدر الدين لؤلؤ بمهمة الاستيلاء على القلعة (٣) ، فهدم أسوارها . وبذلك سقطت القلعة فى أيدى المغول (٤) .

كذلك هاجم المغول ماردين سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) ، فاعتصم الملك السعيد بقلعتها ، ودافع جند الأكراد والتركمان عنها دفاعاً مجيداً واستمرت الحرب على أشدها أكثر من ثمانية أشهر — ولما تعذر على المغول الاستيلاء على القلعة أغاروا على مدن ماردين القريبة منها (٥) .

أرسل مظفر الدين — بعد أن خلف أباه فى إمارة ماردين — إلى القائد المغولى يطلب منه وقف القتال على أن يسلم إليه قلعتها ، فأجاب طلبه ، وعقد بينهما الصلح ، ثم عفا عنه هولاكو ، وظل مظفر الدين وأبناؤه موالين للمغول (٦) . ومن ثم أخذت أتابكية ماردين فى الضعف والانحلال .

---

(١) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان جـ ٢ ص ٩١

(٢) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ٩١

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ — المجلد الثانى جـ ١ ص ٢٩٧ — ٢٩٩ .

(٤) Howoth; History of the Mongols. vol.4,pp. 133 — 134

(٥) Ibid: vol. 4p. 161.

(٦) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ المجلد الثانى جـ ١ ص ٣٢

كذلك استولى المغول على ميافارقين سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) وكان صلاح الدين يوسف بن أيوب يطمع فى امتلاكها (١). فى عهد ولاية أميرها حسام الدين بن قطب الدين الشيرازى، غير أن وزيرها تصدى للدفاع عنها، فكان ذلك مما حمل صلاح الدين على محاصرتها، ثم أرسل إلى أميرها وإلى والدته الخاتون يرغبهما فى الصلح فاستجاب لدعوته (٢). وبذلك تيسر لصلاح الدين الأيوبى مد نفوذه إلى ميافارقين (٣). وظل الأيوبيون يحكمونها حتى استولى عليها المغول (٤).

أما أتابكية خرتبرت فلم تتعرض للغزو المغولى، فقد استولى عليها علاء الدين كيقباد — سلطان دولة سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى — ذلك أن الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب، سار قاصداً دولة سلاجقة الروم، فاشتبك معه سلطانها علاء الدين كيقباد فى معركة انتهت بهزيمة الملك الكامل، واستولى الملك علاء الدين كيقباد على خرتبرت وما تبعها من القلاع سنة ٦٦٠هـ (١٢٦١ م)، لتأمين حدود دولته من مطامع بنى أيوب؛ ثم أمن سلطان سلاجقة الروم نور الدين أرتقشاه آخر أتابكة خرتبرت(٥). وبذلك انتهى حكم بنى أرتق فى خرتبرت.

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ.
(٢) محمد بن شاهنشاه : مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ٢٠٢٨
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ.
(٤) محمد بن شاهنشاه : مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ٢١٨ — ٢٥٢.
(٥) العينى : عقد الجمان فى أخبار الزمان ج ١٨ ص ١٥٨

الباب الثانى

موقف اتابكة الموصل والجزيرة

من حكام البلاد الإسلامية المجاورة

١ - الخلفاء العباسيون فى بغداد

استعان العباسيون بالفرس لأنهم أقاموا دولتهم على أكتافهم ، وقدر الخلفاء العباسيون الأوائل موقف الفرس منهم ، فكان أبو جعفر المنصور يقول لأهل خراسان : أنتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دعوتنا . كما أوصى ولى عهده بهم بقوله : « وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك ، بذلوا أموالهم فى دولتك ، ودماءهم دونك ، ومن لاتخرج محبتك من قلوبهم ، أن تحسن إليهم ، وتتجاوز عن مسيئهم ، وتكافأهم على ما كان منهم . . . » وإزداد نفوذ الفرس فى عهد الرشيد والمأمون (١) .

ولما ولى المعتصم الخلافة أساء الظن بالفرس لأنهم طموحون يعملون على تحقيق مطامع قومية ، فاستعان بالترك . وبعث فى طلبهم من فرغانة وأشروسنه، واتخذمن حسن هندامهم وجمال منظرهم وشجاعتهم ، وتمسكهم بتعاليم الإسلام سببا للاعتماد عليهم ، فأصبح معظم جند الدولة العباسية منهم ، كما أسند إليهم المناصب العسكرية والمدنية الكبيرة فى دولته ، وآثرهم على العرب والفرس فى كل شىء . وبذلك قوى شأن الترك ، وازداد نفوذهم، بينما ضعف شأن العرب والفرس (٢) .

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الاسلام فى جنوب غرب آسيا فى العصر التركى ص ١٣

(٢) Gibon : The Hist. of the Decline and Fall of the Roman Empire vol. IV. p. 47.

أدى ازدياد نفوذ العنصر التركى فى الدولة العباسية واستئثارهم فيها بالنفوذ دون الخلفاء ، إلى حدوث كثير من القلاقل والاضطرابات فى الدولة العباسية ، حقيقة أن الأتراك كانوا يخشون الخليفة المعتصم لقوة بأسه . فلما توفى وولى الواثق (٢٢٧ هـ — ٢٣٢ هـ) أخذوا يتدخلون فى شؤون الدولة ، ولم يستطع الخليفة السيطرة عليهم .

ولما استخلف المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) عول على سلبهم السلطة والنفوذ ، فتخلصوا منه ، وأصبحت الدولة العباسيـــة مسرحاً للفوضى والاضطرابات بسبب ازدياد نفوذ الترك (١) .

لم يقف العرب والترك مكتوفى الأيدى ، إزاء ضعف نفوذهم ، واستئثار الأتراك بالسلطة والنفوذ دونهم ، بل عملوا على استرداد مكانتهم ، فحاولوا الاستقلال ببعض بلدان الدولة العباسية ، فأقام الفرس فى شرق الدولة الإسلامية دولا مستقلة عن الخلافة العباسية ، وهى الدولة الصفارية ، وبعد أن انهارت الدولة الصفارية ، أقام السامانيون الفرس دولة فى خراسان ، وبلاد ما وراء النهر ، ومن العناصر الفارسية التى سيطرت على بعض أقاليم الدولة العباسية ، بنو بويه الذين حكموا العراق ، وفارس والرى وهمذان وأصبهان ، وبلاد الجبل (٣٣٤ هـ — ٤٤٧ هـ) ، ومثلوا دوراً رئيسياً فى السيادة الإسلامية .

ولم يكن الأتراك أعداء للعرب والفرس فقط ، بل كانوا فى منازعات مستمرة مع بعضهم البعض ، وصاروا مصدر قلق واضطراب فى الدولة العباسية ، وأصبحوا يتدخلون فى تولية الخلفاء وعزلهم ، ويستبدون بأمور الدولة دونهم .

ولما نجح الأتراك فى التآمر على الخليفة المتوكل وقتله ، وتولية

---

(١) المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ص ٥٠

المنتصر بالله ٢٤٧ هـ ، سيطروا على الخلافة سيطرة تامة ، حتى أن الخليفة خضع لإرادتهم ، ولما توفى بايعوا أحمد بن محمد بن المعتصم سنة ٢٤٨ هـ ولقبوه المستعين بالله ، واستبدوا بأمور الدولة دونه . ولما حاول هذا الخليفه الاستئثار بالسلطة ،واسترداد نفوذه خلعوه من الخلافة ، و بايعوا المعتز (١) .

لم تنعم الدولة العباسية بالهدوء والاستقرار بعد أن انفرد المعتز بالخلافة، بل اختل توازنها من جراء ازدياد نفوذ الأتراك ، والمنازعات التى قامت بينهم وأرغموا المعتز على التنازل عن الخلافة سنة ٢٥٥ هـ . وبايعوا المهتدى ولكنهم كرهوا منه محاولته استرداد سلطاته ومباشرتها بنفسه ، فأعلنوا العصيان ، وشقوا عصا الطاعة ، ودارت حرب بين جند الخليفة ، وجند الترك ، انتهت بهزيمة الخليفة وخلعه سنة ٢٥٦ هـ ، وبويع على أثر ذلك أحمد بن المعتمد ولقب المعتمد على الله ، وخلفه المتعضد الذى عمل على استرداد نفوذ الخلافة وتقوية شأنها ، ولإضعاف سلطة الأتراك ، واستقرت أمور الدولة فى عهده .

رأى الأتراك أن الخلفاء الأقوياء خطر على نفوذهم ، لذلك عملوا على تولية خلفاء ضعاف حتى ينفردوا بالسلطة ، ولا يتعرضوا لمحاولات الخلفاء لإضعافهم ، أو النيل من سلطانهم ، فلما توفى المكتفى ، ولوا المقتدر الخلافة وكان غراً صغيراً ، وانصرف عن أمور الدولة ، وفضل حياة اللهو والطرب ، وأهمل أحوال الخلافة كثيراً ، وحكم فيها النساء والخدم ، وأساء اختيار رجال الدولة ، فطمع أصحاب الأطراف والنواب ، وخرجوا عن طاعته (٢) .

---

(١) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) الإثار الباقية عن القرون الخالية ص ١٣٢ .

إزداد ضعف الدولة العباسية منذ بداية القرن الرابع الهجرى بسبب إزدياد نفوذ الأتراك ، واستئثارهم بالسلطة والنفوذ دون الخلفاء حتى أن سلطان الدولة العباسية لم يعد يتجاوز بغداد وضواحيها . وفى غضون ذلك ارتفع شأن بنى بويه ، ودخل أحمد بن بويه بغداد فى عهد الخليفة المستكفى سنة ٣٣٤ هـ ، حيث أكرم الخليفة وفادته ، ولقبه معز الدولة . ولم يلبث هذا الأمير البويهى أن استأثر بالنفوذ فى الحاضرة العباسية دون الخليفة . وفى ذلك يقول البيرونى : أن الدولة والملك قد انتقل من آل العباس إلى آل بويه .

وعلى الرغم من أن البويهيين استأثروا بالنفوذ السياسى دون الخلفاء العباسيين ، فإنهم كانوا ينظرون إليهم على اعتبار أنهم رؤساء المسلمين ، واحتفظ هؤلاء الخلفاء بسلطتهم الدينية (١) .

ظل البويهيون رغم تنازعهم على السلطة والنفوذ مسيطرين على شئون بلاد فارس والعراق حتى ولى الملك الرحيم سنة ٤٤٠ هـ ، فنازعه الأمراء البويهيون السيادة والحكم ، كما استفحل خطر البساسيرى فى بلاد العراق ، وتقرب بنو بويه من الفاطميين ، وانضم عدد كبير من الجند الأتراك والديلم إلى دعوتهم ، فعمل السلاجقة الذين ازداد نفوذهم فى الدولة الإسلامية ، وضموا إلى دولتهم الكثير من ممتلكات الدولة الغزنوية على السيطرة على العراق . ففى أوائل سنة ٤٤٨ هـ أظهر طغرلبك أنه يريد الحج ، وإصلاح طريق مكة المكرمة ، والمسير إلى الشام ومصر ، والقضاء على دولة العلويين بها ، وأذن له الخليفة العباسى القائم بدخول بغداد ، فأزال عنها الحكم البويهى ، وانتقلت السيطرة على مقاليد أمور الخلافة العباسية من البويهيين الفرس ، إلى السلاجقة الترك (٢) .

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الاسلام فى جنوب غرب آسيا فى العصر التركى ص ٨٣

(٢) المصدر السابق ص ٨٤

الحكومة عطاء، وكان يراعى فى تقدير العطاء ثلاثة وجوه أحدها عدد من يعول الفرد من الذرارى والعبيد ، والثانى عدد ماعنده من الخيل والظهر . والثالث ظروف الموضع الذى يقيم به من الغلاء والرخص(١) .

وكان من شروط إثبات اسم الشخص فى الديوان ، أن يكون حرا فلا يثبت فى الديوان عبد تابع لسيده داخل فى عطائه ، ولا يجوز إثبات الصبى فى الديوان ، بل يكون جارياً فى جملة عطاء الذرارى . والثالث الإسلام ، ليدفع عن الدين باعتقاده. والرابع السلامة من الآفات المانعة من القتال ، والخامس أن يكون فيه إقدام على الحرب ، فاذا ضعفت همته عن الإقدام أو قلت معرفته به ، حذف اسمه من الديوان(٢) .

وكان على أهل العطاء أن يجهزوا أنفسهم بالأسلحة ، ويذهبوا للقتال حينما يؤمرون بذلك . وإذا لم يلبوا الدعوة للقتال ، فان اسمهم يحذف من الديوان(٣) .

وقد حدد عمر بن الخطاب العطاء طبقاً للقرابة من الرسول ، فبدأ بعم الرسول ثم الأقرب فالأقرب ، ففرض للعباس وبدأ به ، وقال من قربت داره أحق بالزيادة ممن بعدت داره ، لأنهم كانوا درعاً للإسلام وهدفاً للعدو(٤) .

فرض عمر بن الخطاب لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل مابين ألفين إلى ألف إلى تسعمائة إلى خمسمائة إلى ثلاثمائة . ولم ينقص أحداً عن ثلاثمائة . وقال : لئن كثر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم ، ألفاً لسفره وألفاً لسلاحه وألفاً يخلفه لأهله وألفاً لفرسه وبغله(٥) .

ظل العطاء كما حدده عمر بن الخطاب حتى استقرت الخلافة لمعاوية ، فزاد فى

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٩٣
(٢) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١٣ ص ١٠٨
(٣) الطبرى تاريخ الأمم والملوك جـ ١ ص ٧٣٣
(٤) المصدر السابق حوادث سنة ١٥ هـ
(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤١٣ .

زنكي ما لبث أن أعرض عن الخليفة حين رفض تسليمه دبيس بن صدقه — صاحب الحلة (١) — وزادت العلاقات سوءاً بينهما حين توفى السلطان محمود سنة ٥٢٥ هـ (٢) (١١٣٠ م)، وطلبت رسل السلطان السلجوقى من الخليفة العباسى إقامة الخطبة له فى بغداد، فرفض الخليفة وقال: إن الحكم فى الخطبة للسلطان سنجر من أراد خطب له. فعزم السلطان مسعود على دخول بغداد، وتولى السلطنة، وطلب من عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — الوقوف إلى جانبه، حتى يتيسر له تحقيق غرضه، فسارع إلى نصرته (٣).

لما بلغ الأمير إبراهيم بن سقمان بن أرتق — صاحب حصن كيفا — أن عماد الدين زنكى سار إلى بغداد على رأس جيش كبير، أنكر ذلك، وزحف إليها نجدة للخليفة (٤)، وانضم إلية فى الحرب التى دارت بينه وبين السلطان السلجوقى وحليفه أتابك الموصل (٥)، وانتهت باحرازه

---

(١) كان دبيس بن صدقه قد هاجم البصرة سنة (٥٢٣ هـ — ١١٢٨ م) ونهبها، فسير إليه السلطان السلجوقى محمود جنداً للقبض عليه، ففارق دبيس البصرة إلى بلاد الشام حيث قبض عليه تاج الملوك بورى بن طغتكين — صاحب دمشق — ولما بلغ عماد الدين زنكى ذلك أرسل إلى تاج الملوك يعرض عليه اطلاق سراح ابنه بهاء الدين سونج، فى مقابل تسليمه دبيس بن صدقه، فاستجاب صاحب دمشق لطلب زنكى، وسلمه دبيس، وأطلق سراح سونج.

ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٥

Gibb: Tha Damascus Chronicle of the Crusades. p.261

(٢) أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٩

العينى: عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٣٢ — ٤٧.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٥—٤٧

Lane Poole; Saladin p. 52.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، حوادث سنة ٥٣٦ هـ (١١٣١ م).

Setton: A Hist. of the Crusades. vol. I. P. 456.

(٥) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، حوادث سنة ٥٢٦ هـ.

النصر على أعدائه ٥٢٦ هـ (١) (١١٣١ م)، وأسر الكثير منهم، وفر عماد الدين زنكى إلى (٢) تكريت حيث يسر له — دزدارها (٣) — نجم الدين أيوب عبور نهر دجلة إلى الموصل (٤)، وقد فت ذلك فى عضد السلطان مسعود، فكف عن القتال (٥).

لم يقف العداء بين أتابك الموصل، والخليفة العباسى عند هذا الحد، بل اشتبكا فى قتال آخر (٦)، ذلك أن السلطان سنجر — صاحب خراسان — سار على رأس جيش كبير — وبصحبته الملك طغرل بن السلطان محمد — إلى بغداد، ليوليه السلطنة (٧)، فأثار ذلك غضب الخليفة المسترشد، وعقد الصلح مع السلطان مسعود، وعهد إليه بالسلطنة، ثم صحبه إلى خارج بغداد لمنع السلطان سنجر من دخولها (٨)، فأرسل سنجر إلى عماد الدين زنكى يأمره بالمسير إلى بغداد، ومعه دبيس بن صدقه — صاحب الحلة — ليكونا عوناً له على الخليفة المسترشد (٩)، واشتبك سنجر وصاحب الموصل فى

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٥٢
(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦
(٣) دزداريه : كلمة فارسية مكونة من لفظين دز — أى قلعة، ودار الحافظ فكان معناها صاحب القلعة، أو متوليها.
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨
(٤) قدر عماد الدين زنكى هذا الموقف لنجم الدين أيوب وأدخله مع أسرته منذ ذلك الوقت فى خدمته.
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨
(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤
(٦) ابن النديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥١
Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 P. 194
(٧) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٩ — ٥٠
العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٦
(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٦ هـ.
(٩) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٢
أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٨

معركة مع الخليفة المسترشد ، دارت فيها الدائرة على السلطان السلجوقى وحليفه فى رجب سنة ٥٢٦ هـ (١) (١١٣١ م) . وقد وصف بعض أصحاب زنكى المعركة وصفاً يتجلى فيه ما كان يتمتع به الخليفة من هيبة فى نفوس أهل الموصل بقولهم : « اشتد القتال ، وظهرنا على عسكر الخليفة ، ولم يبق غير أن ينهزموا ، فرأينا خيمة سوداء قد نصبت عند المعركة ، وخرج المسترشد بالله منها راكباً بسواده ، وبيده سيف مسلول ، فكلهم قالوا : لما رأيناه لحقنا دهشة ورعدة حتى كاد السلاح يسقط من أيدينا ، فكانت الهزيمة ، ولن نطق الثبات : فانهزمنا ، ونحن لا نعقل (٢) » .

استقر رأى الخليفة المسترشد — بعد ما شاهده من عداء عماد الدين زنكى له — على مهاجمة بلاده (٣) ، فسار قاصداً الموصل سنة ٥٢٧ هـ (١١٣١ م) على رأس ثلاثين ألف مقاتل (٤) ، منتهزاً فرصة وقوع الخلاف بين الأمراء السلاجقة (٥) ، ولما اقترب منهما انصرف زنكى فى بعض عسكره وترك أمر الدفاع عنها لنائبه ، فحاصرها الخليفة ، وأخذ يضيق عليها الحصار (٦) حتى اضطر عماد الدين زنكى إلى طلب وقف القتال ، لكن الخليفة أبى إجابة طلبه (٧) .

---

(١) ابن النديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٥١
Grousset: Histoire des Crusades vol. 2 p. 55.

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٦
ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٣

(٣) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول جـ ١٢ ورقة ٤١

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٥٢

(٥) ابن النديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٥١
Setton : A History of the Crusades. vol.1 p. 432.

(٦) تاريخ العظيمى ص ٤١٩

(٧) Setton : A History of the Crusades, vol.1 p. 432

استمر حصار الخليفة للموصل ثلاثة أشهر متوالية (١) ، كان زنكى خلالها يرابط فى سنجار ، ويعمل على قطع الميرة عن جند الخليفة (٢) ، ولما لم يظفر الخليفة بشيء أثناء ذلك الحصار ، وبلغه أن السلطان مسعود هاجم بغداد (٣) ، اضطر إلى رفع الحصار عن الموصل . وعاد إلى حاضرة دولته (٤) .

رأى عماد الدين زنكى أن يعدل عن موقفه العدائى من الخليفة العباسى ويعمل على تحسين علاقاته به ، رغبة فى اكتساب رضاه ، فبعث بابنه سيف الدين غازى إلى الخليفة العباسى فى بغداد للسعى فى إحلال الصفاء بينه وبين أبيه ، فاستقبله الخليفة ، ومعه قاضى القضاة فى موكب عظيم . ولما دخل سيف الدين غازى بن زنكى قصر الخلافة قبل الأرض ، وطلب من الخليفة العفو والصفح بقوله : « أنا وأبى عبيد هذه الدولة ، وما زالت العبيد تجنى والموالى تصفح ، ونحن بحكم الخدمة فى أى شيء » . فأعلن عفوه عن زنكى (٥) ، وساد الوئام بينهما ، بل أن زنكى أظهر ولاءه للمسترشد ، وليس أدل على ذلك من أنه طمع فى ضم دمشق إلى حوزته بعد مقتل أتابكها تاج الملوك بورى بن طغتكين — أرسل أهل هذه المدينة إلى الخليفة أموالا ، وطلبوا منه أن يعمل على صد زنكى عنهم ، فبعث إليه يأمره برفع الحصار عن دمشق ، فاستجاب له (٦) ، وسار إلى العراق . ولما طلب الخليفة من زنكى مساعدته فى محاربة السلطان مسعود سنة ٥٢٩ هـ (٧) (١١٣٤ م) ، قدم إليه وأنجده (٨) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٧ — ٤٨

(٣) Archer : The Crusades. p. 201

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٤

(٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١ ص ٤٢

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٥

(٧) Gibb : The Damascus Ghronicle of the Grusades p.235

(٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٤٣

استمرت العلاقات الودية سائدة بين عماد الدين زنكى والخليفة الراشد، فوقف إلى جانبه فى النزاع الذى دار بينه وبين السلطان مسعود الذى حرض شحنة بغداد على مهاجمة دار الخلافة (١)، فأمر الخليفة بحذف إسم السلطان مسعود من الخطبة، وأرسل إلى زنكى يطلب منه معاونته، ويطمعه فى الملك (٢)، فانضم زنكى إلى جانب الراشد ضد مسعود، على حين انحاز بعض أمراء البلاد المجاورة إلى السلطان السلجوقى (٣)، وخرج الخليفة الراشد من بغداد فى صحبة زنكى لمحاربة السلطان مسعود (٤).

سار السلطان مسعود إلى العراق على رأس جيش كبير، ولم يستطع الأمراء فى بغداد قتاله لما كان بينهم من خلاف وشقاق، فحاصرهم السلطان مسعود أكثر من خمسين يوماً (٥)، ثم دخل بغداد، واضطر الراشد بالله إلى الرحيل إلى الموصل ملتجأ إلى أتابكها (٦) عماد الدين زنكى، ومعه وزيره ابن صدقه، وجماعة من أصحابه، وأعوانه، فأكرم زنكى وفادة الخليفة فى الموصل (٧)، بينما استقر السلطان مسعود ببغداد (٨).

شرع السلطان مسعود بعد دخوله بغداد فى حذف اسم الخليفة من الخطبة تمهيداً لخلعه ومبايعة غيره، فلقى عمله موافقة من الأمراء وكبار

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٠ هـ
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٢٥٨
(٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٥٥
(٤) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٠
(٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٥٥
ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٥
(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٦
أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٠
(٧) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان، القسم الأول ج ١٢ ورقة ٨١
(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٣
أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١١

الدولة (١) . ثم أحضر السلطان القضاة والفقهاء ، وأثبتوا محضراً تضمن اتهام الخليفة بالظلم ، وأخـــذ الأموال ، وسفك الدماء (٢) ، كما عرض السلطان عليهم اليمين الذى حلف به الراشد له ، وفيها بخط يده : « أننى متى جندت ، أو خرجت ، أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان مسعود بالسيف ، فقد خلعت نفسى من الأمر » ، فأفتوا بخلعه وصارت الخطبة لا تقام باسمه فى بغداد ، وسائر البلاد (٣) .

استقر رأى السلطان مسعود على تولية أبى عبد الله بن المستظهر بالله الخلافة ، ولقبه المقتفى لأمر الله (٤) ، فأرسل الخليفة الجديد رسولا إلى زنكى فى الموصل ، يحمل إليه الكتاب الذى تضمن خلع الراشد ، وفيه شهادة الشهود والقضاة ، وقرأه عليـــه فبايعه ، وأقام الخطبة له فى الموصل (٥) .

كما كتب السلطان مسعود إلى زنكى يطلب منه تسليم الراشد إليه ، وإرساله إلى بغداد ، فامتنع عن إجابة طلبه (٦) ، ولم يلبث الخليفة المخلوع أن رحل عن الموصل إلى أذربيجان (٧) ، ومنها إلى همذان ، ثم قصد أصفهان (٨) حيث هجم عليه بعض الإسماعيلية وقتلوه (٩) سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٠ هـ

(٢) الخزرجى : أخبار الزمان فى تاريخ بنى العباس ورقه ١٥٩

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٤ .

(٤) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٢

(٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ١٠ ص ٦٧

Runciman : A History of the Crusades. vol .S p.195

(٦) الخزرجى : أخبار الزمان فى تاريخ بنى العباس ورقة ١٥٩

(٧) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٨٠

(٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٠

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٧٠

Setton : A History of the Crusades vol. 1. p: 458.

حضرموت[١] . ولما قضى عبد الملك بن مروان على معركة ابن الزبير وانتهت بمقتله فى مكة فى جمادى الآخرة سنة ٧٣ هـ[٢] ، أخذ الحجاج بن يوسف الثقفى البيعة من أهل مكة لعبد الملك وأسندت إليه مقاليد ولاية الحجاز بالإضافة إلى اليمن واليمامة[٣] .

واستعمل الحجاج على صنعاء ومخاليفها أخاه محمد بن يوسف ، وعلى الجند واقد بن سليم الثقفى ، وجعل حضرموت للحكم بن مولى الثقفى[٤] . وكان اليمن مخلافين فقط ، الجند وما إليها ، وصنعاء وما إليها ، وتوالى على اليمن الولاة من بنى ثقيف ، من بينهم يوسف بن عمر الثقفى ، ولاه سليمان بن عبد الملك اليمن ، فلم يزل والياً عليها حتى عهد إليه هشام بن عبد الملك بحكم العراق بدلا من اليمن . وكان آخر ولاة اليمن الثقفيين فى العهد الأموى، القاسم بن عمر الثقفى فى عهد مروان بن محمد[٥] آخر خلفاء بنى أمية ، وقد قاسى اليمنيون من الولاة الثقفيين الكثير من الشدائد فعامل هؤلاء الولاة ، الاهلين معاملة تنطوى على الجور والظلم وتطلع اليمنيون إلى الخلاص من الحكم الأموى وولاته الجبابرة العتاة . لذلك أصبحت اليمن أرضاً خصبة للحركات المناهضة للحكم الأموى - كما سنرى .

(١) الخزرجى : العسجد المسبوك ورقة ٢٠

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٧٣ هـ

(٣) الخزرجى : العسجد المسبوك ورقة ٢٠

(٤) يحيى ابن الحسين : غاية الامانى ص ١٢٣

(٥) العرشى : بلوغ المرام ص ٨

ـ أتابك الموصل ـ نائبه زين الدين على كجك للقبض عليه ، فهاجمه فى شهرزور ، وعاد به إلى الموصل (١) ، حيث قبض عليه ، على الرغم من أن الخطبة كانت تقام له فى بغداد (٢).

لم ينته العداء بين الخليفة العباسى المقتفى ، وقطب الدين مودود عند هذا الحد ، بل توترت العلاقات بينهما فى سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) ، حين سار الملك محمد بن السلطان محمود إلى بغداد وحاصرها (٣) ، وبعث إلى صاحب الموصل يطلب منه النجدة ، فأجاب طلبه ، وأرسل جيشاً كبيراً إلى بغداد بقيادة زين الدين على كجك . على أن الخليفة ما لبث أن استمال زين الدين إلى جانبه ، فكف عن القتال ، وعاد إلى الموصل (٤) ، فأدى ذلك إلى إضعاف شأن الملك السلجوقى الذى عاد إلى همذان دون أن يحقق غرضه من محاربة الخليفة (٥) .

تحسنت العلاقة بعد ذلك بين زين الدين على كجك ، والخلافة العباسية ، ففى سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) سار زين الدين ـ نائب أتابك الموصل ـ إلى بغداد ، وطلب من الخليفة المستنجد العفو والصفح ، فعفا عنه ، وخلع عليه ، ومنحه بعض الهدايا (٦).

على أن العلاقات بين الخلافة العباسية ، ودول أتابكة الموصل والجزيرة ما لبثت أن تطورت منذ ذلك الوقت ، فعمل الخلفاء على حماية هذه الدول .

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٣٧
الحسينى : تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٤٢
(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٠٨
(٣) الحسينى : تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٣٤
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١٣٢
(٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ١٠ ص ١٦٩
ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١١٤
(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١١٥ ، ١١٩

من أطماع بنى أيوب ، فلما اعتزم صلاح الدين الأيوبى المسير إلى الموصل سنة ٥٧٠ هـ (١١٨٤ م) ، أرسل الخليفة الناصر رسولا للصلح بينه وبين أتابكها عز الدين مسعود (١) ، وكذلك كانت الحال حين حاصر العادل ابن أيوب سنجار سنة ٦٠٦ هـ ، أنفذ الخليفة العباسى الناصر رسولا إليه يطلب منه الكف عن محاصرتها ، ومصالحة أتابكها (٢) .

ولما هاجم الملك الأشرف موسى بن الملك العادل إربل ، استنجد صاحبها مظافر الدين كوكبورى بالخليفة العباسى ، بل سار إلى بغداد ليعلن ولاءه له ، وأعطاه مفاتيح إربل وقلاعها فى موكب حضره أرباب الدولة كما قدم إليه التحف والهدايا ، فخلع عليه الخليفة خلع السلطنة ، ثم عاد صاحب إربل إلى أتابكيته ، وقطع الخطبة لبنى أيوب ، وصارت تقام باسم الخليفة وحده (٣) .

على أن بعض الخلفاء العباسيين انتهزوا فرصة ضعف دول الأتابكة وعملوا على ضم أجزاء من بلادهم إلى حوزتهم ، فلما قبض عز الدين مسعود — أتابك الموصل — على وزيره مجاهد الدين قيماز ، وعجز عن ضبط أمور دولته ، أرسل الخليفة الناصر لدين الله جيشاً استولى على دقوقا (٤) . كما أن الخليفة المستنصر أرسل جيشاً استولى على إربل بعد أن توفى صاحبها مظافر الدين كوكبورى سنة ٦٣٠ هـ ، دون أن يكون له وريث ، وكان قد طمع فيها بنو أيوب (٥) .

---

(١) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ٨٠

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى جـ ٨ ص ٥٤١ (ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٦ هـ) .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ٦٨

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٧٩ هـ .

(٥) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٦١

السلاجقة

يرجع أصل السلاجقة إلى الترك الذين كانوا يقيمون فى الصحراء الواسعة الشاسعة ، التى تمتد من حدود الصين حتى شواطىء بحر قزوين ، وكثرت هجراتهم إلى شواطىء جيحون ، خصوصاً فى وقت انهيار الدوله السامانية حيث المراعى الوفيرة .

يكتنف أصل السلاجقة الغموض ، ويبدو أن سلجوق — جد هؤلاء القوم — ابن قائد جيش يدعى دقاق ليغو ، أو يوغو — ملك الخزر جنوب روسيا (١) — وينسب إلى قبيلة غزقنق (٢) ، ولقد حدثت خلافات بين يغو ودقاق — الزعيم السلجوقى — اضطر على أثرها سلجوق وأسرته إلى ترك ديارهم ، والهجرة إلى نواحى جند (٣) ، ومعه ألف فارس ، وألف بعير ، وخمسون ألف رأس من الماشية عند مصب نهر سيحون ، ويرجح أن هذه القبيلة قد دخلت الإسلام . بعد أن توطدت العلاقات بين أفرادها ، وبين أهل جند (٤) .

أظهر السلاجقة نشاطاً ملحوظاً فى الجهات الجديدة التى هاجروا إليها ، فقاموا بالذود عنها من خطر كفار الترك — بنى جلدتهم — واشترك السلاجقة فى الصراع المرير الذى حدث بين القرهخانية ، والسامانيين حول السيادة على بلاد ماوراء النهر ، وانضموا إلى جانب السامانيين فى القتال الذى دار بينهم ، وبين أعدائهم (٥) . وقد تمكن سلجوق من خلال هذا الصراع

---

(١) Cambridge History of Iran. vol. 5 p. 16.

(٢) Cambridge Medieval History. vol. Iv p. 300

(٣) Cambridge History of Iran. vol 5. p. 18.

(٤) فامبرى : تاريخ بخارى ص ١٢٧ — ١٢٩

(٥) Encyc. of Islam. Art Saljuk.

من السيطرة على منطقة خصيبة فى بلاد ماوراء النهر . وضمها إلى إمارته الناشئة (١) .

ظل أمر السلاجقة فى صعود فى بلاد ما وراء النهر ، وكانت منازلهم فى الشتاء فى نور بخارى ، وفى الصيف فى سغد سمرقند (٢) ، وتوفى سلجوق بعد أن تجاوز من العمر العام السابع بعد المائة ، وله من الأولاد أرسلان وميكائيل وموسى (٣). وكان أرسلان أقوى هؤلاء الأبناء شأناً . ولقد وقف إلى جانب الأمير السامانى المنتصر فى حروبه ضد القره خانية ، وحالف على تكين — أخا إيلك خان — الذى سيطر على بخارى ، كما أن أخاه ميكائيل لم يأل جهداً فى سبيل غزو كفار الترك حتى استشهد ، وخلفه من الأولاد بيغو وطغرلبك محمد وجغرى بك داود ، ولقد أطاعتهم عشائرهم ، ولما خشى أمير بخارى بأسهم ، وعول على التخلص منهم، لجأوا إلى بغراخان — ملك تركستان — فأذن لهم بالمقام فى مملكته على أن بغراخان مالبث أن توجس منهم خيفة ، فقبض على طغرلبك ، وعندئذ ثارت ثائرة السلاجقة ، واشتبكوا مع جند بغراخان فى عدة معارك ، تمكنوا على أثرها من تخليص أميرهم طغرلبك ، غير أنهم لم يستطيعوا المقام بعد ذلك فى مملكة بغراخان ، فعادوا إلى جند (٤)..

تحالف السلاجقة مع على تكين — أمير بخارى — فأذن لهم بالإقامة فى نور بخارى ، وما زالوا فى أنضر عيشة ، وهم فى المراعى يكلأون الكلأ لا يذعرهم ذاعر ، ولا يردعهم رادع (٥) ، ووقف زعيمهم أرسلان بن سلجوق

---

(١) حمد الله مستوفى قزوينى : تاريخ كزيده ص ٣٣٤

(٢) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ص ١٤٥

Hubib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 59.

(٣) Cambridge Medieval History vol VI . P. 303

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٣٧٦

(٥) حمد الله مستوفى قزوينى : تاريخ كزيده ص ٤٢٤

إلى جانب على تكين ضد السلطان محمود الغزنوى ، ولذلك عول محمود على التخلص من على تكين (١) ، ففى سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م عبر نهر جيحون والتقى بحليفه قدر خان - ملك تركستان - واتفق مع إيلك خان على إنهاء نزاع الحدود بينهما ، وواتت الفرصة السلطان محمود لجمع المعلومات عن هؤلاء السلاجقة ، وقد أطلعه إيلك خان على شجاعة جندهم ، وكثرة عددهم ، فرأى أنه لايستطيع أن يأمن جانبهم إذا نهض فى وقت من الأوقات إلى بلاد الهند ، فقد يحدثوا فى مملكته فساداً طلباً لولاية أو رغبة فى التغلب على إحدى النواحى ، فعول على التخلص منهم ، بأن أرسل إليهم رسولا يعرض عليهم صداقته ، ويبدى لهم حسن نواياه نحوهم ، ويطلب منهم إيفاد أحد زعمائهم لعقد اتفاقية صداقة معهم (٢) ، فلما بلغت الرسالة أسماع أمراء السلاجقة ، رحبوا بما جاء فيها ، وأحسنوا استقبال رسول السلطان الغزنوى ، وأرسلوا كبيرهم وزعيمهم أرسلان بن سلجوق ، ولما وفد أرسلان السلجوقى إلى محمود الغزنوى مع أصحابه وأعيان دولته ، أحسن وفادتهم وقال ، عندما نذهب إلى بلاد الهند لغزو الكفار يلزمنا جيش جرار نسير به إلى هذه الديار ، مما يترتب عليه عدم وجود حامية تذود عن خراسان ، ولى رغبة فى أن أعقد معكم ميثاقاً وتحالفاً على أنه إذا خرج على عدو أو ثار ثائر ، واحتجت إلى مدد ، استعنت بخيلكم وفرسانكم . فأظهر أرسلان بن سلجوق ، رغبته فى مساعدة السلطان محمود الغزنوى وقال له : لو أننى أرسلت هذين السهمين إلى قومى لاجتمع منهم مائة ألف رجل ، ولو أن قوساً أضيف إليهما لاجتمع من الرجال قدر ما أشتهى من القوم ، فتوجس محمود خيفة من السلاجقة ، واستشار حاجبه أرسلان جاذب فيما يجب اتخاذه حيال هؤلاء القوم ، فأشار عليه بقطع إبهام الرجال جميعاً حتى لايستطيعوا من بعد شد القوس (٣) أو

(١) Cambridge History of Iran 5 p. 19.

(٢) البندارى : تاريخ دولة سلجوق ص ٥ .

(٣) الحسنى : أخبار الدولة السلجوقية ص ٣ .

أن يفرقهم جميعاً فى جيحون لكن محمود الغزنوى فضل أن يأذن لهم باجتياز جيحون والتفرق فى أطراف خراسان حتى يمكن السيطرة عليهم(١). وأمر بالقبض على أرسلان بن سلجوق وتحديد إقامته فى قلعة من أعمال الملتان حتى يكون رهينة عنده . ترغم السلاجقة على التزام الهدوء والسكينة(٢) .

تقرب السلاجقة فى مقرهم الجديد بخراسان من واليها الغزنوى أبى سهل أحمد بن الحسن الحمدونى ، وسألوه أن يضيف إليهم مرجا من مروج خراسان فأنزلهم مرج دندانقان ، فقروا بها وبما قاربها (٣) .

غير أن أطماع السلاجقة لم تتوقف عند هذا الحد ، بل شنوا غارات متعددة فى إقليم خراسان إذ كان انتقالهم إلى خراسان بداية لمرحلة جديدة من مراحل كفاحهم ، كما كان ذا أثر قوى موجه لمستقبل إيران وما جاورها ، فقد أخذوا يدعمون قواتهم وينتشرون فى البلاد المجاورة لها ، ويتحينون الفرص للانقضاض على الدولة الغزنوية أو اقتلاع جذورها (٤) .

زاد خطر السلاجقة فى إقليم خراسان ، فوفد أهل نسا وباورد على السلطان محمود شاكين له عبث السلاجقة ببلادهم سنة ٤١٨ م/١٠٢٧ م فأمر السلطان أرسلان الجاذب والى طوس باخضاعهم فظل يحاربهم نحو سنتين ، لكنه لم يستطع قهرهم ، فأرسل إلى السلطان محمود يقول : لقد قوى شأن التركمان ولا يستطاع دفع فسادهم ، إلا إذا خرج السلطان إليهم بنفسه (٥) فسار السلطان محمود إلى خراسان سنة ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م، واشتبك فى معارك

---

(١) Cambridge Medieval History. vol. Iv. P . 303 - 403.

(٢) البندارى : تاريخ دولة سلجوق ص ٥ ــ الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص٣ .
Cambridge History of Iran. vol. 5. P. 18.

(٣) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ٣

(٤) عبد النعيم حسنين : سلاجقة العراق وإيران ص ٢٦

(٥) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ص ١٥٤

مع سلاجقه مزق شملهم ، وقتل منهم كثيرين ، ولاذ من نجا منهم بالفرار إلى بلخ وقهستان (١) .

لم يستطع السلاجقة الإقامة فى بلدان الدولة الغزنوية بعد الهزائم التى لحقت بهم ، فعمدوا إلى غزو البلدان الإسلامية ، وأحدثوا الكثير من أعمال الشغب والتخريب فى مدن دامغان وسمنان والرى وأصفهان ومراغة وهمذان وغيرها من مدن العراق وأذربيجان (٢) ، وأذن لهم هرون بن التونتاش ـ والى خوارزم ـ بالإقامة فى أقاليم خوارزم شتاءاً وأمر السلطان مسعود ابن محمود . شاه ملك ـ والى جند ـ بمهاجمة خوارزم ، والتخلص من السلاجقة . فباغت شاه ملك السلاجقة على حين غفلة وشتت شملهم (٣) ، فهجروا خوارزم ، وتفرقوا فى مفازة نسا وقصدار ومرو وتوسلوا إلى السلطان مسعود يطلبون منه الأمان ، وتعهدوا بالوقوف إلى جانبه فى وجه الطائفة التى قد تفسد فى مملكته ، وبأن يكونوا أنصاراً وأعواناً مخلصين له ، لكن السلطان مسعود لم يكن على استعداد للتحالف معهم لما يعرفه عن أطماعهم فى بلدان دولته ، لذلك قبض على الرسل ، وغادر جرجان ، وتوجه إلى نيسابور لمحاربة السلاجقة (٤) ، لكن جيشه كان قد أحس بوهن شديد ، وفسد سلاحه بسبب الرطوبه، فعلاه الصدأ ، وضعفت دوابه لأنها لم تأكل علف الربيع ، لذلك عهد السلطان مسعود إلى بعض رؤساء جنده بطرد السلاجقة من دولته ، لكن السلاجقة هزموا الجيش الغزنوى ، واستولوا على معداته (٥) .

أدى انتصار السلاجقة على الجند الغزنوى إلى ارتفاع مكانتهم ، وازدياد

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٤٢٠ هـ .
Gambridge Medieval History. vol. IV P. 304.
(٣) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ص ١٥٥ — ١٥٦
(٤) Cambridge Medieval History vol. P. 52—53
(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٢٢ جـ ٤ ص ٣٧٦
(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٥٩ هـ

هيبتهم ، وزادت أطماعهم فى ممتلكات الدولة الغزنوية ، وأرسل إليهم السلطان مسعود قولا لينا لعلهم يكفوا عن أعمالهم العدوانية فى دولته، وسير مع رسوله الخلع النفيسة ، وأمرهم بالرحيل إلى الشط - على جيحون - ونهاهم عن الشر والفساد ، وأقطع دهستان داود ونسا لطغرلبك وفراوه لبيغو ، ولقب كل واحد منهم بالدهقان (١) ، فاستخفوا بالرسل والخلع ، وقالوا للرسول : لو علمنا أن السلطان يبقى علينا إذا قدر لأطعناه ، ولكننا نعلم أنه متى ظفر بنا أهلكنا لما عملناه وأسلفناه فنحن لا نطيعه ، ولا نثق إليه (٢) .

ظل السلاجقة مصدر خطر داهم على مدن خراسان ، وفشل عمال الغزنويين فى خراسان فى الدفاع عن هذه البلاد ، فأرسلوا إلى السلطان مسعود يستغيثونه ، ويشكون إليه ما يفعله السلاجقة فى خراسان(٣) ، فأعد السلطان جيشاً كبيراً بقيادة سباشى فى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م واشتبك سباشى مع السلاجقة فى عدة معارك انتصر فيها السلاجقة ، ولما طال مقام سباشى وعساكره بخراسان والبلاد منهوبة ، والدماء مسفوكة وقلت الميرة والأقوات على العساكر ، بينما السلاجقة لا يبالون بذلك يقنعون بالقليل ، غادر سباشى خراسان،فبسط السلاجقة سيطرتهم عليها(٤) ، ورأى السلاجقة أن الوقت حان لإعلان قيام دولتهم وجنى ثمار انتصاراتهم ، فوحدوا قيادتهم فى يد طغرل بك الذى توجه إلى نيسابور،واستولى عليها (٥) ، ثم جلس على عرش السلطان مسعود ، وأعلن قيام دولة السلاجقة (٦) . وأمر

---

(١) Cambridge History of Iran. vol. 5. P 51-52.

(٢) الحسينى . أخبار الدولة السلجوقية ص ٥

(٣) الراوندى ، راحة الصدور ص ١٥٧

(٤) Cambridge History of Iran. vol 5. P. 22

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin P. 44-101

(٥) البندارى ، تاريخ دولة سلجوق ص ٧ – ٨

(٦) Carmbridge History of Iran. P. 35.

بأن تقرأ الخطبة باسمه ، وفرق النواب فى النواحى (١) ، وأصبح بذلك أول سلطان للسلاجقة ، وأرسل إلى الخليفة العباسى رسولا يقول : إنه لما وجد ابن يمين الدولة مائلا عن الخير والسمو غار للمسلمين وللبلاد (٢) .

لم يقف السلطان مسعود مكتوف اليدين إزاء انتزاع خرسان منه . بل عول على استردادها ، فأعد جيشاً كبيراً لتنفيذ هذه المهمة ، وفرق فيهم الأموال الكثيرة ، وسار عن غزنه فى جيوش يضيق بها الفضاء (٣) ولما بلغ السلطان خراسان ، كان طغرلبك فى مدينه سوس منفصلا عن أخيه ، فأراد السلطان مسعود مباغتته والحيلوله بين الأخوين وبين الاتصال ببعضهما ، (٤) فلما أرخى الليل سدوله ركب فيله سريعة العدو ، واتجه إلى سوس مع فريق من فرسانه ، فأخذته سنة من النوم ، وهو على ظهر الفيلة . ولم يستطع أحد من أعوانه أن يوقظه ، أو أن يقود الفيلة فى سرعة ، فكان ذلك سبباً فى فشل خطته (٥) ، ذلك أن طغرلبك انتهز الفرصة ، ولحق بأخيه جعرى بك ، وتأهب مسعود للحرب مع السلاجقة فى دندانقان بالصحراء الواقعة بين سرخس ومرو ، حيث الماء القليل ، والحر الشديد وحدثت منازعات بين عسكر مسعود حول الماء ، ولم يغب عن السلاجقة أخبار هذا الخلاف ، فتقدموا إليهم (٦) ، وحملوا عليهم وهم على هذا الحال من التخاذل والقتال والنهب ، فهزموهم شر هزيمة ، وولوا الأدبار ، لايلوى أول على آخر ، وقتل منهم كثيرون وغنم السلاجقة من الجيش الغزنوى مغانم كثيرة ، وقسمها قائدهم داود على أصحابه وجنده ، وآثرهم على نفسه ،

---

(١) Cambridge Medieval History, vol. lv. P. 304

(٢) البندارى : تاريخ دولة سلجوق ص ٨

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٧ هـ .

(٤) تاريخ البيهق ص ٦٦٧

(٥) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ص ١٤٦ — ١٥٨

(٦) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ٢٢

ونزل فى سرادق السلطان مسعود ، وقعد (١) على كرسيه ونظر مسعود من حوله . فإذا به وحيداً ، فأدار عنانه ، وامتطى ظهر الفيلة ، وولى مهزوماً تاركا خزائنه وأمتعته وسائر ما يملك قانعاً بالفرار والنجاة . وكان ذلك فى رمضان سنة ٥٣١ هـ / ١٠٣٩ م (٢) .

تمكن السلاجقة على أثر انتصارهم الرائع على السلطان مسعود من استعادة سيطرتهم على خراسان ؛ فعاد طغرلبك إلى نيسابور وحفظ الأمن والنظام فيها ، ودخل بيغو هراة ، وسار داود إلى بلخ ، ولكن واليها الغزنوى رفض تسليم البلدة إلى السلاجقة ، وشدد السلاجقة من حصارهم لبلخ ، فاستنجدوا فيها بالسلطان مسعود ، فسير مسعود جيشاً ، هزمه السلاجقة ، فاضطر والى بلخ إلى تسليم البلدة للسلاجقة ، ودخل فى طاعتهم (٣) .

لما توفى السلطان مسعود سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م . كان السلاجقة قد ارتفع شأنهم ، وعظمت قوتهم بعد الانتصارات الرائعة التى أحرزوها على الدولة الغزنوية ، والتى سيطروا على أثرها على إقليم خراسان ، ومن الطبيعى ألا يقنع السلاجقة بما أحرزوه من مكاسب بل تطلعوا إلى المزيد ، فانتهزوا فرصة اضطراب الأمور فى طبرستان وجرجان ، وضعف واليها أنوشروان ابن منوجهر بن قابوس بن وشمكير عن السيطرة عليها . وانصراف الحكومة الغزنوية عن ضبط الأمور فى بلدانها ، وسار طغرلبك إلى جرجان وامتلكها وصالح أهلها على مائة ألف دينار ، وولى عليها نائباً من قبله ، وعاد إلى نيسابور (٤) وبذلك فقدت الدولة الغزنوية تلك البلاد .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٣٢ هـ
(٢) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ١١
Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. P. 181.
(٣) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ١٢ – ١٣
(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٣٣ هـ

أخذت الدولة السلجوقية فى الامتداد والاتساع على حساب الدولة الغزنوية . ففى سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م أمر السلطان مسعود بخلع إسماعيل ابن التونتاش — واليه على خوارزم — بسبب خروجه على طاعته ، وعهد إلى شاه ملك — والى جند — بولاية هذه البلدة بالإضافة إلى ولايته ، فلجأ إسماعيل إلى طغرلبك وداود وطلب منهما إعادته إلى خوارزم (١) ، فرأى الأميران السلجوقيان فى هذا المطلب فرصة لتحقيق سياستهما التوسعية . فسار داود مع إسماعيل إلى خوارزم . لكن شاه ملك تصدى للسلاجقة وقاتلهم وهزمهم (٢) ، غير أن السلاجقة لم يركنوا إلى هذه الهزيمة ، بل عادوا إلى مهاجمة خوارزم بقيادة طغرلبك ، فحاصر خوارزم واستولى عليها وغادرها شاه ملك (٣) . وعلى ذلك دخلت خوارزم فى حوزة السلاجقة بعد أن كانت تابعة للدولة الغزنوية .

وفى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥) م دخل طغرلبك بغداد ، ونودى به سلطاناً ، واعترف له الخليفة القائم بذلك ، فقبض طغرلبك على الملك الرحيم البويهى — آخر ملوك بنى بويه — واعترف الخليفة القائم بأمر الله بطغرلبك سلطاناً ، وغمره بالهدايا بعد أن صد عنه قوات البساسيرى ، وخلصه من بنى بويه الشيعة ، ومنحه الخليفة بعض الامتيازات ، مثل حق ذكر اسمه فى الخطبة ، وأنعم عليه ببعض الألقاب ، وبذلك اكتسب حكمه الصفة الشرعية ، وأصبح مؤسس دولة ، بعد أن كان زعيم قبيلة .

خلف طغرلبك فى الحكم ابن أخيه ألب أرسلان ، وقد بلغت الدولة السلجوقية فى عهده درجة كبيرة من القوة والازدهار ، بسبب شجاعته

(١) نفس المصدر السابق حوادث سنة ٤٣٤

(٢) Cambridge History of Iran vol. 5. P. 51.

(٣) Camdridge Hedieval History. vol. Iv. P. 303.

بإقدامه واستوزر الوزير المصلح نظام الملك الذى اشتهر بالعلم والسياسة ، وأهم عمل أدبى قام به هو كتاب (سياسة نامة) الذى ضمنه نصائحه للأمراء .

جمع نظام الملك حوله طائفة من العلماء والأعلام المشهورين ، فازدهرت بتشجيعه الآداب والعلوم والفنون ، وأهم عمل قام به هو تأسيس المدرسة النظامية المعروفة ببغداد ، وقد وفد عليها الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وتخرج منها مشاهير العلماء والأدباء .

أما ألب أرسلان فمعناه بالتركية الأسد الباسل أو الهمام ، وقد حكم مملكة تمتد من نهر جيحون حتى نهر دجلة . غير أنه لم يقنع بما تركه أسلافه من فتوح وممتلكات ، بل عمل على إضافة ممتلكات جديدة إلى الامبراطورية السلجوقية ، فسير حملة إلى فارس سنة ١٠٦٤ م وأخضع إقليم خوارزم ، وجعل ابنه ملكشاه حاكما على هذا الإقليم ، وأخذ البيعة لابنه ملكشاه بولاية العهد من حكام الأقاليم والولايات السلجوقية .

على أن أعظم أعمال هذا السلطان الحربية كانت انتصاره على الإمبراطور البيزنطى رومانوس سنه ١٠٧١ م فى موقعة ملازكرد ، ذلك أن البيزنطين أخذوا فى توسيع ممتلكاتهم حتى بلغوا أطراف الدولة الإسلامية ، فسار ألب أرسلان غرباً حتى قابل عدوه الذى خرج فى مائتى ألف من الروم فجاءوا فى تجمل كثير وزى عظيم ، إلى ملازكرد من أعمال خلاط . والتقى جيش السلاجقة بقيادة ألب أرسلان بجيش الروم فى معركة حامية الوطيس تمكن المسلمون من أعدائهم وقتلوا فيهم كيف شاءوا ، وأنزل الله نصره عليهم . فانهزم الروم وقتل منهم مالا يحصى حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى ، وأسر ملك الروم ، وسيق إلى معسكر السلطان السلجوقى ألب أرسلان ، فقال له السلطان : ما عزمت أن تفعل بى إن أسرتنى ، فقال أفعل القبيح . فقال له السلطان : فما تظن أننى أفعل بك . قال : إما أن تقتلنى ، وإما أن تشهرنى فى بلاد الإسلام ، والأخرى بعيده وهى العفو وقبول الأموال

واصطناعي نامياً عنك . قال السلطان السلجوقي : ما عزمت على غير هذا(١).

أطلق السلطان سراح الامبراطور البيزنطي بعد أن وعد بدفع فدية كبيرة قدرها ألف ألف دينار ، وخمسمائة ألف دينار ، وأن يرسل إليه عسكر الروم في أي وقت يطلبه ، وأن يطلق كل أمير في بلاد الروم .

ونجم عن هذه الموقعة تأسيس دولة سلجوقية بأرض الروم في آسيا الصغرى ، كما أن ضياع هذه الولايات من البيزنطيين قد أصاب الإمبراطورية بنكبة لم تفق منها ، لأن الإمبراطورية كانت تأخذ خيرة جندها من تلك البلاد .

وفي سنة ١٠٧٢ لقي السلطان ألب أرسلان حتفه بعد أن إنتصر على الترك في إقليم تركستان (٢) .

تولى ملكشاه الحكم في الدولة السلجوقية بعد وفاة أبيه ألب أرسلان وبدأ هذا السلطان عهده بالقضاء على الثورات والفتن الداخلية التي حدثت في الدولة بعد وفاة أبيه . وفي سنة ١٠٨٦ قصد حلب ماراً في طريقه بالموصل وقلعة جعبر ، وكان يهدف من وراء هذه الرحلة إقامة حكم سلجوقي قوي ومنظم في هذه الجهات ، ودفع الطامعين عن حلب ، ومنحها لآق سنقر والدزنكي ، وعهد إلى ياغي سيان بحكم أنطاكية .

ولما عاد السلطان ملكشاه من حلب زار بغداد واستقبله الخليفة المقتدي بأمر الله بمظاهر الحفاوة والتكريم ، ثم أخضع بخارى وسمرقند وكاشغر . وعلى كل فقد بلغت الدولة السلجوقية أقصى اتساعها في أواخر عهد السلطان ملكشاه ، فقد اتسع نفوذها حتى امتد من حدود الصين شرقاً إلى أقاصي بلاد الشام غرباً ومن البلاد الإسلامية في الشمال إلى جنوبي بلاد اليمن ، وأدى له أباطرة الروم الجزية .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٦٣ .
(٢) المصدر السابق حوادث سنة ٤٦٥ هـ

وكان ملكشاه من أحسن الملوك سيره حتى أنه كان يلقب بالملك العادل وكان يحرص على رد ظلامه المظلوم، ويفتح بابه لكل من يقصده من أصحاب الظلامات والحاجات، وكانت السبل فى أيامه آمنة، والقوافل تسير من بلاد ما وراء النهر، إلى أقصى بلاد الشام فى أمن وطمأنينة. ومهد الطرق المتجهة إلى مكة المكرمة. وأنشأ الآبار فيها (١)، وكانت أمور الدولة الداخلية فى يد الوزير المصلح نظام الملك، وكان ملكشاه قد فوضه أمور دولته كلها، وقال له: "افعل ما تراه مصلحة، قد رددت الأمور كلها كبيرها وصغيرها إليك، فأنت الوالد". ولقبه ألقاباً من جملتها أتابك. فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور فى ذلك وكان عالماً جواداً كثير الصمت حليماً متديناً، مجلسه يضم الفقهاء والأئمة والزهاد، وأسس عدة مدارس، وخصص لها أموالا جليلة (٢).

ضعفت الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه، وانقسمت إلى دويلات مستقلة، يحكم كل منها أتابك.

أظهر أتابكة الموصل والجزيرة الولاء والطاعة لسلاطين السلاجقة فى فارس والعراق، فكان زنكى أتابكا لابن السلطان محمود (٣)، وحرص على أن يظهر للخليفة العباسى وأمراء البلاد المجاوره أن الولاء والطاعة للسلطان ألب أرسلان. ولما توفى السلطان محمود، حاول زنكى تولية ألب أرسلان السلطنة سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠ م)، وأرسل إلى الخليفة المسترشد، يطلب منه أن يقيم الخطبة لألب أرسلان فى بغداد، فرفض.

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٣٧١-٣٧٣

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٦٥ هـ.

(٣) البندارى: تاريخ دولة سلجوق ص ١٨٧

ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٧٦.

المسترشد (١) وقال : إنه صبي ، وأن السلطان عهد بالسلطنة إلى ابنه داود ابن محمود (٢) .

على أن ألب أرسلان لم يقبل بقاءه فى الموصل مسلوب السلطة ، بل حاول استعادة نفوذه فيها ، منتهزاً فرصة غياب زنكى عنها سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤م) ، ودبر مؤامرة تخلص بها من نائب زنكى فى الموصل ظناً منه أن ذلك يمكنه من تحقيق غايته ، ولكن أعوان زنكى فى الموصل أحبطوا محاولته .

ولما قتل عماد الدين زنكى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٦م) نادى جند الموصل بألب أرسلان سلطاناً عليهم ، وسار على رأسهم إلى الموصل غير أن وزراء زنكى لم يمكنوه من تولية حكمها (٣) .

حرص عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — على إرضاء السلطان السلجوقى حتى يحتفظ بأتابكيته ، فلما قدم هذا السلطان إلى بغداد سنة ٥٢٣هـ (١١٢٨م) بتكليف من عمه السلطان سنجر بن ملكشاه — صاحب (٤) خراسان — ومعه الأمير دبيس بن صدقه ، ليصلح بينه وبين الخليفة المسترشد ، عفا الخليفة عنه (٥) ، وولاه الموصل ، فلما علم زنكى بذلك ، سار إلى بغداد ، وأرضى السلطان بذله الأموال الكثيرة له (٦) ، فأقره السلطان على الموصل وخلع عليه (٧) .

---

(١) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ١٠٤

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص ٤٦

(٣) Gibb: TheDamascus Chronicle of the Crusaders P.288.

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٠٨ — ١٠٩
Runciman; A History of the Crusades. vol.2 p. 209

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٤

(٦) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ١١
العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٧

(٧) Archer : The Crusades. p. .201
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٢٣٥

كذلك أسهم عماد الدين زنكى فى الحروب التى دارت بين السلاجقة ، فلما توفى السلطان محمود ، وأقام الخليفة العباسى المسترشد الخطبة لابنه داود، حاول مسعود الوصول إلى السلطنة (١) ، وانتزعها لنفسه ، غير أن سلجوق شاه — عم داود — نافسه فى الحكم ، وسار فى سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١) إلى بغداد ، ونزل بدار السلطنة ، فاستمال السلطان مسعود عماد الدين زنكى إليه (٢) ، وطلب منه مساعدته فى تولية السلطنة (٣) ، فأجابه إلى طلبه ، وسار من الموصل قاصداً بغداد . ولما بلغ تكريت ، سار قراجة الساقى — أتابك سلجوق شاه — إليها ، بينما أقام سلجوق شاه فى بغداد مع نفر قليل من الجند (٤) ، ودارت معركة بين زنكى وقراجه انتهت بهزيمة أتابك الموصل ، وعود كثير من أتباعه ، وعودته إلى بلاده سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) (٥) . أما السلطان مسعود فدارت بينه وبين سلجوق شاه مناوشات على مقربة من بغداد ، ولما بلغه هزيمة زنكى ، فت ذلك فى عضده ، وعاد إلى فارس(٦) . غير أن الخليفة المسترشد استطاع أن يعقد صلحا بين السلطان مسعود وأخيه سلجوق شاه ، آلت بمقتضاه السلطنة إلى مسعود ، وولاية العهد إلى سلجوق شاه (٧) ، على أن السلطان سنجر لم يمكن مسعود من الاستمرار فى السلطنة ، بل سار إلى بغداد وأمر عماد الدين زنكى ، بالقدوم إليها ليكون عوناً له

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٣

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦

(٣) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان ، القسم الأول ج ١٢ ورقة ٣٨

Runciman : A History of the Crusades .vol. 2. p. 194

(٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٢٥ — ٣٦

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٦ هـ

(٥) Setton : A Hist. of the Crusades. vol. I. P. 457.

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٨ — ٤٩

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٣ — ٤٤

أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦

على مسعود ، واستطاع سنجر دخول بغداد ، وعزل السلطان مسعود وتوليه الملك طغرل (١) .

عول مسعود على العودة إلى بغداد بعد وفاة الملك طغرل سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤) ، لكن الخليفه الراشد اعترض على توليته السلطنة (٢) ، واستعان بعماد الدين زنكى — أتابك الموصل — لصده عن بغداد ، غير أن السلطان السلجوقى أوقع بهما الهزيمة ، وولى السلطنة (٣) .

ساءت العلاقات مرة أخرى بين السلطان مسعود وعماد الدين زنكى ، حين خرج على السلطان السلجوقى كثير من أمراء الأقاليم ، واعتقد أن زنكى يحرض الأمراء ضده (٤) ، فعول على الانتقام منه ، بأن حشد جيشاً كبيراً سار به إلى الموصل سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) غير أن مسعوداً لم يشتبك مع زنكى فى قتال (٥) ، ذلك أن الرسل تدخلوا فى الصلح بينهما ، وقد تضمن هذا الصلح أن يؤدى زنكى للسلطان السلجوقى مائة ألف دينار (٦) . لكن زنكى لم يود غير جزء من هذا المبلغ ، ونزل له السلطان عن الباقى ، لأنه رأى أن زنكى هو الشخص الوحيد الذى يستطيع درء خطر الصليبيين عنها (٧) ، كما أن السلطان كان فى حاجة إلى مداراته بعد أن كثر خروج أمراء البلاد التابعة له عن طاعته (٨) .

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٩ — ٥٠
(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٠ هـ
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٥
(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٤٣
(٥) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٩٢
(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٥
(٧) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٧ .
(٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ١٦٨
Setton : A History of the Crusades vol. 1. p. 460.

وكان مما حمل السلطان السلجوقى مسعود على مصالحة زنكى أن سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى كان نائباً عن أبيه فى خدمة السلطان مسعود ، فلما ساءت العلاقات بين زنكى والسلطان السلجوقى ، فر سيف الدين غازى هارباً إلى أبيه ، غير أن زنكى أمر ابنه بالعوده إلى السلطان (١) ، فكان لعمله هذا أثر بالغ فى نفس مسعود ، ومن ثم علت منزلة زنكى عنده (٢) .

سار قطب الدين مودود بن زنكى أتابك الموصل — على سياسة أبيه فى الاشتراك فى الحروب التى دارت مع السلاجقة ، فلما سار السلطان محمد إلى بغداد سنة ٥٥١ (٣) (١١٥٦ م) لإرغام الخليفة المقتفى لأمر الله على إقامة الخطبة له ، وقف قطب الدين مودود إلى جانبه (٤) ، ودارت الحرب بين السلطان السلجوقى وأتابك الموصل من ناحية ، والخليفة المقتفى من ناحية أخرى انتهت بانتصار الخليفة على أعدائه ، وإرغامهم على الرحيل عن بغداد (٥) .

كذلك انضم قطب الدين مودود — أتابك الموصل — إلى السلطان محمد فى نزاعه مع سليمان شاه الذى أغار هو وعسكره على أعمال الموصل ، فأرسل إليه واليها زين الدين على كجك يطلب منه الكف عن مهاجمة بلاده ، فلم يستجب له ، وأعد جيشاً خرج به من الموصل ، واشتبك مع السلطان السلجوقى فى معركة حلت فيها الهزيمة بالسلطان الذى قبض عليه ، وسجن بالموصل (٦) .

---

(١) البندارى : تاريخ دولة سلجوق ص ١٨٩

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٥١ هـ .

(٣) البندارى : تاريخ دولة سلجوق ص ١٨٩

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٠٩

(٥) المصدر السابق ص ١٠٨

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٨

ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ١٠ ص ١٠٥

ظل سليمان شاه فى سجنه حتى سنة ٥٥٥ ﻫ (١) (١١٦٠ م) حيث قدمت رسل كبار الأمراء من بلاد الجبل إلى الأتابك قطب الدين مودود يطلبون منه إنفاذ الملك سليمان شاه بن محمد ليولوه السلطنة على أن يكون قطب الدين مودود مدبراً لأمر دولته ، فاستحسن قطب الدين مودود هذه الفكرة ، وأرسل سليمان شاه من الموصل إلى همذان ، وصار بصحبته زين الدين على كجك فى عسكر الموصل ؛ فلما اقتربوا من بلاد الجبل ، انحازت العساكر إلى سليمان شاه ، وزاد بذلك عدد جنده ، فخشى زين الدين على نفسه ، وعاد دون أن يحقق غرضه (٢) .

كذلك كانت علاقة قطب الدين مودود — صاحب الموصل — بأرسلان شاه بن طغرل بن محمد يسودها الود ، فلما ولى السلطنة أرسل إلى قطب الدين مودود رسولا يلتمس منه إقامة الخطبة له ، ونقش اسمه على السكة ، وإنفاذ ما كانوا يرسلونه إلى السلاطين السلاجقة فأجاب بالسمع والطاعة ، وأقام له الخطبة فى الموصل والجزيرة وسائر بلاد ديار بكر . واستمرت العلاقات الودية قائمة بينهما حتى وفاته (٣) . ولما ولى السلطان ركن الدين طغرل توثقت العلاقة بين قطب الدين مودود وبينه ، وأقام له الخطبة فى سائر بلاده (٤) .

٣ — أتابكة المشرق الإسلامى :

لما استقر عماد الدين زنكى فى الموصل ، اعتزم ضم شمال العراق إلى دولته ، فزحف بجيشه إلى جزيرة ابن عمر ، وعرض على مماليك البرسقى

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١١٤ — ١١٥
ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ١٠ ص ١٩٢
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٥٥ ﻫ .
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١١٤ — ١١٥
(٤) الحسينى : تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٦٤

— وكانوا يسيطرون على هذه الجزيرة — اموالا فى مقابل تسليم البلدة ، لكنهم رفضوا (١) ، فقاتلهم قتالا شديداً دارت فيه الدائرة عليهم ، فطلبوا منه أن يؤمنهم ، ويسلموا له المدينة ، فأجابهم إلى ذلك ، ودخل الجزيرة سنة ٥٢٢ هـ (٢) (١٢٢٨ م) وضمها إلى حوزته (٣) .

واصل عماد الدين زنكى — بعدضبطه أمور الجزيرة سياسته التى تنطوى على توسيع رقعة أتابكيته ، فزحف بجيشه إلى نصيبين — وكان يحكمها حسام الدين تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق — صاحب ماردين فلما بلغها صاحب الموصل ، سار حسام الدين إلى ابن عمه ركن الدولة داود — صاحب حصن كيفا — وطلب منه العون فى صد زنكى عن نصيبين ، فاستجاب له ، وأعد جيشاً لهذا الغرض ، لكن زنكى لجأ إلى الحيلة والخديعة (٤) ، حتى تمكن من الاستيلاء على نصيبين (٥) .

ولما استولى عماد الدين زنكى على هذه المدينة ، سار إلى سنجار فقاومه أهلها ، غير أنه تغلب عليهم ، وتيسر له بذلك ضمها إلى حوزته ، ثم أرسل فرساناً إلى الخابور ، فاستولوا عليه ، وقصد زنكى بعد ذلك حران فلما اقترب منها ، خرج أهلها إليه معلنين له الولاء والطاعة (٦) .

أصبح عماد الدين زنكى يشكل خطراً على مصالح بنى أرتق فى الجزيرة وديار بكر بعد أن استولى على بعض بلادهم ، ففى سنة ٥٢٤ هـ (١١٢٩ م)

---

(١) Lane. p. Poole; Saladinp.52

(٢) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٧٧

(٣) ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ٦٢
العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول جـ ١٢ ورقة ٣

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٢٢ هـ .

(٥) Lane Poole. Saladin. P. 49

(٦) يذكر ابن الأثير أن أهل حران قاسوا كثيراً من هجمات الفرنج ، فلما سمعوا بفتوحات زنكى فى الجزيرة ، قويت نفوسهم ، وعلموا أنهم قد أتاهم نصر من الله وفتح قريب ، فراسلوه بالطاعة ، واستحثوه على الوصول إليهم ، فسار نحوهم) التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٢٨) .

اجتمع ركن الدولة داود – صاحب حصن كيفا – وحسام الدين تمرتاش ابن إيلغازى – صاحب ماردين (١) – وانضم إليهما صاحب آمد، وعدد كبير من الأمراء، وجهزوا جيشا كبيراً من التركمان وعولوا على التخلص من عماد الدين زنكى (٢)، فساروا إليه، والتقى بهم زنكى عند مدينة دارا(٣) – وهى تابعة لبنى أرتق – ودارت معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة بنى أرتق (٤)، وقد ضمن هذا النصر لزنكى سيادته على شمال العراق وأطراف آسيا الصغرى(٥).

واصل زنكى زحفه على البلاد المجاورة لدولته، فاستولى على سرجة(٦) ودارا (٧)، كما أنه عمل على تعقب بنى أرتق، حين ساروا إلى جزيرة ابن عمر وعاثوا فيها فسادا (٨)، واضطرهم إلى الرحيل عنها (٩).

ولما تحسنت العلاقات بين حسام الدين تمرتاش بن أرتق – صاحب ماردين – وعماد الدين زنكى، انضم إليه فى حصاره لآمد (١٠)، فاستنجد صاحبها سعد الدولة أبو منصور، بالأمير ركن الدوله داود – صاحب حصن كيفا – فأعد جيشا توجه إلى آمد لصد المغيرين عنها، ودار قتال بين الفريقين على أبواب المدينة، حلت فيه الهزيمة بركن الدوله، وقتل عدد كبير من

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ .
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص٣٥ – ٣٦
(٣) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٨
(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص من ٢٧٠ — ٢٧١
(٥) Stevenson : The Crusaders in the East.p. 129
(٦) حصن بن نصيبين ودنيسر ودارا (ياقوت · معجم البلدان ج ٣ ص ٢٤
(٧) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٠ – ٧٢١
Setton : A Hlistory of the Crusades, vol.1 p. 459
(٨) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٥ ص٢٥٦ .
(٩) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص٣٦ — ٣٧
Setton : A History of the crusades. vol 1. p.457
(١٠) العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ج ١٢ ص ٥٦

جنده (١) ، وظل عماد الدين زنكى وحسام الدين تمرتاش يحاصران آمد سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٣م) دون أن يتمكنا من الاستيلاء عليها (٢) .

كان عماد الدين زنكى يطمع فى الأستيلاء على بعض قلاع ديار بكر (٣) حتى يتيسر له ضم هذا الإقليم إلى حوزته ، فقصد قلعة الصور ، وظل يحاصرها حتى استولى عليها سنة ٦٥٨ هـ (١١٢٣م) ثم حاصر قلعتى العقر وشوش (٤) وضمها إلى أتابكيته (٥) . ثم واصل زنكى زحفه وتقدمه فى ديار بكر فهاجم قلاع الهكارية ، وتمكن من الاستيلا عليها بعد أن عجز أميرها أبو الهيجاء بن عبد الله عن مقاومة قواته (٦) .

لم يكتف عماد الدين زنكى بما استولى عليه من بلاد وقلاع ، بل عول فى سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩م) على السير إلى شهرزور (٧) ، فتصدى له حاكمها قفجاق بن أرسلان شاه التركمانى (٨) ـ الذى التف حوله التركمان ، وكثر

---

(١) Gibb : The Damascus Ghronicle of the Crusades p.227

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٥٤ — ٢٥٥

(٣) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٧٩

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الثانى جـ ٨ ص ١٨٩

(٥) كان زنكى ينتقم على صاحبها الأمير عيسى الحميدى لأنه أمد الخليفة المسترشد أثناء حصارة الموصل بعدد كبير من جند التركمان .

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٥٤ — ٥٥

Gibb: Tha Damascus Chronicle of the Crusades. p.264

(٦) كذلك تمكن نصير الدين جقر ـ نائب عماد الدين زنكى ـ من الاستيلاء على جبل طيجة وتوش وقلعة الجلاب ، كما استولى على جميع حصون الأكراد الهذبانية . وترتب على ذلك استتباب الأمن والنظام فى هذه البلاد ، بعد أن كان الأكراد يلحقون الضرر والأذى بأهلها .

(ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ)

(٧) كورة واسعة فى الجبال بين إربل وهمذان .

(ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٦) .

(٨) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٦

جنده، وحدثت مناوشات بين الفريقين انتهت بهزيمة التركمان، واستيلاء عماد الدين زنكي على شهر زور وأعمالها(١).

على أن الأمور لم تستقر لعماد الدين زنكي في بلاد الهكارية، فعاث الأكراد فيها فساداً سنة ٥٣٧هـ (١١٤٢م) ولكن نصير الدين جقر - نائب زنكي - استولى على بعض بلادهم، وحاصر قلعة الشعباني - وهي من أعظم قلاعهم - فضمها إلى حوزته، ثم أزالها، وأمر ببناء قلعة جديدة عوضا عنها سماها قلعة العمادية(٢)، نسبة إلى عماد الدين زنكي، وكانت حصنا عظيما يندر وجوده في حصون الجبال(٣). كذلك عول زنكي في هذه السنة على مد نفوذه إلى آمد، وكان يلي حكمها ركن الدولة داود - صاحب حصن كيفا فأرسل إلى صاحبها يطلب منه الدخول في طاعته، وإقامة الخطبه له، وهدده بالمسير إلى آمد، وأخذها منه عنوة، إذا لم يستجب له، غير أن صاحب آمد لم يوافق على تسليمها لزنكي(٤).

لم يكف زنكي عن مهاجمة ديار بكر، والتوسع في أراضيها، ففي سنة ٥٣٨هـ (١١٤٢م) استولى على عدة بلاد وبعض الحصون المجاورة لها(٥)، ثم رتب أمورها، وحاصر مدينتي عانه والحديثه(٦) - على نهر الفرات - وامتلكها(٧).

كانت سياسة زنكي تنطوي على الاستيلاء على جميع القلاع التي تتوسط

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤هـ.
(٢) ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ١ ص ٨٤
(٣) ابن قاضي شهبه: الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٨٠.
Lane-Poole : Saladin. p. 55
(٤) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٠٤
(٥) أبو الفدا: المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ٧
(٦) Settone: A. History of the Crusades. vol.1 p. 460-
(٧) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٠٥

بلاده حتى يكون آمنا فى ملكه ، فسار سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦م) إلى قلعة جعبر (١) بغية الاستيلاء عليها (٢) ، كما سير جيشا إلى قلعة فنك (٣) .

ولما طال حصار زنكي لقلعة جعبر ، دون أن يتمكن من فتحها ، أرسل إلى صاحبها رسولا يدعوه إلى تسليمها ، ويعرض عليه عوضا عنها لكنه رفض تسليمها (٤) .

ولم يتيسر لزنكى الاستيلاء على قلعة جعبر ، فقد اغتاله بعض مماليكه (٥) ، كما أن القوات المحاصرة لهذه القلعة ، وقلعة فنك رفعت الحصار وعادت أدراجها (٦) .

وواصل سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى سياسة أبيه فى المحافظة على البلاد التى ضمها إلى دولته ، فلما توفى زنكى استرد حسام الدين تمرتاش ـ صاحب ماردين ـ مدينة دارا (٧) ، فقصدها سيف الدين غازى سنة ٥٤٤هـ (١١٤٩م) ولم يزل يحاصرها حتى استولى عليها (٨) وعلى كثير من أعمال ماردين نفسها ، كما عاث جنده فى ديار بكر فسادا وتخريبا (٩) ، فلما رأى

---

(١) كانت قلعة جعبر ملكا للسلطان ملكشاه ، فسلمها إلى الأمير ـ سالم بن مالك العقيلى ، فلم تزل بيده وبيد أولاده حتى سنة ٥٤١ هـ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ٢٨١

(٣) حصن مجاور لجزيرة ابن عمر من أمنع الحصون ، ومطل على دجلة ، يمتلكه جماعة من الأكراد .

أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ١٠٥

(٤) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 P. 241

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢

(ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ١ ص ٩٨)

(٦) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول جـ١٢ ورقة ١٦

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ٥ ص٢٧٩

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١١٥

(٨) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى جـ٨ ص ٣٠٤

(٩) Runciman : A History of the Crusades. p. p.241

حسام الدين أن لا طاقة له بسيف الدين صالحه ، وزوجه ابنته (١) ورحل أتابك الموصل عائداً إلى بلاده (٢) .

تغيرت الأوضاع السياسية في بلاد الموصل والجزيرة بوفاة نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) ، فلما علم سيف الدين غازي الثاني ابن قطب الدين ـ أتابك الموصل ـ بذلك اعتزم استعادة البلاد التي كان عمه نور الدين قد استولى عليها في الجزيرة ، فسار إلى نصيبين ، وضمها إلى حوزته (٣) ثم استولى على الخابور (٤) ، وسار إلى حران وحاصرها عدة أيام ، وكان بها مملوك لنور الدين يسمى قيماز ، فامتنع بها ، ثم أعلن ولاءه لسيف الدين غازي على أن تكون حران له . ولما أمن جانب سيف الدين ونزل من القلعة ، قبض عليه ، وأخذ حران (٥) منه ، ثم سار إلى الرها ، وأخذ يحاصرها حتى تمكن من الاستيلاء عليها وعلى بلاد الجزيرة ما عدا قلعة جعبر (٦) .

لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهداً في سبيل توسيع رقعة دولهم ، ففي سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ م) سار نور الدين أرسلان شاه ـ أتابك الموصل ـ إلى مدينة نصيبين (٧) ، فاستولى عليها بعد أن فشل أميرها قطب الدين محمد في صده عنها ، وهرب جنده إلى ديار بكر ومنها إلى حران (٨) حيث

(١) العيني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول جـ ١٢ ورقة ١٦٧
(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ٤٠٤
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٧٥
(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ
(٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ٥٩
(٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ٥٩
(٧) استاء نور الدين أرسلان شاة ـ أتابك الموصل ـ من قطب الدين محمد ـ أمير نصيبين ـ لأن نوابه بها استولوا على عدة قرى من أعمال بين النهرين من ولاية الموصل ، وهي تجاور ولاية نصيبين .
ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩١
(٨) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ٣ ص ٧٩

طلبوا من الملك العادل أبي بكر بن أيوب أن يساعدهم على استرداد نصيبين، لكنه أعرض عنهم (١).

على أن قطب الدين ما لبث أن استعاد نصيبين، بعد أن اضطر نور الدين أرسلان شاه إلى الانسحاب منها والعودة إلى الموصل، بعد أن تفشى المرض بين جنده (٢).

لم تقف أطماع نور الدين أرسلان شاه أتابك الموصل — عند هذا الحد بل أغار على تل يعفر (٣) — سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) وكانت تابعة وقتذاك لسنجار — واستولى عليها، فاستنجد صاحبها قطب الدين بالملك الأشرف بن العادل، وسنجر شاه — أتابك الجزيرة — وبعض أمراء بني أيوب واجتمع جندهم لمحاربة صاحب الموصل (٤)، واشتبكوا معه في معركة، حلت فيها الهزيمة بنور الدين، وعاد إلى الموصل (٥)، وتحصن بها، ثم دارت مراسلات بينه وبين الملك الأشرف، انتهت بالصلح بينهما، ورفع الحصار عن الموصل (٦).

كذلك حاول قطب الدين إيلغازى بن ألبي تمرتاش — صاحب ماردين. أخذ بلدة البيرة، وكانت ملكا لابن عمه شهاب الدين الأرتق، ولما توفى خلفه ولد صغير دخل في طاعة صاحب الموصل، فطمع صاحب ماردين في أخذ البيرة (٧) سنة ٥٧٧ هـ وأرسل إلى عز الدين مسعود — أتابك الموصل.

---

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩٢ — ١٩٣
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٧
(٣) اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل في وسط واد فيه نهر جار (ياقوت: معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٠٦)
(٤) ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ٣ ص ١٥٦
(٥) أبو الفدا: المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ١١٠
(٦) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني جـ ٨ ص ٥١٨
(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٧ هـ

يطلب منه أن يأذن له فى محاصرة البيرة والاستيلاء عليها ، فأجاب طلبه(١)، وسار فى عسكره إلى سميساط ونزل بها ، ثم أنفذ العسكر إلى البيرة فحاصرها واضطر صاحبها إلى الاستنجاد بصلاح الدين ، فأنفذ رسولا إلى صاحب ماردين يطلب منه الامتناع عن مهاجمة البيرة ، فأبى إجابة طلبه . ثم مالبث أن رحل عنها حين رأى أن حصاره لهذه المدينة قد طال دون (٢)جدوى .

وكان مظفر الدين كوكبورى صاحب إربل يقدم على كثير من المخاطر والمغامرات فى سبيل توسيع رقعة دولته ، ففى سنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٥ م) اتفق مع علاء الدين — صاحب مراغة — على قصد أذربيجان(٣) ، وأخذها من صاحبها أبى بكر البهلوان الذى عرف بميله إلى العبث واللهو ، فسار صاحب إربل إلى مراغة ، واجتمع مع صاحبها علاء الدين ، ثم زحفا إلى تبريز ، فأعد صاحبها العدة لمقاومة جيوشها الزاحفة ، وأرسل أيتغمش — مملوك أبيه — إلى أتابك أربل يحثه على الكف عن القتال ، والعودة إلى بلده (٤) غير أن مظفر الدين واصل زحفه إلى بلاده ، ولما أيقن صاحب إربل من مسيرة أيتغمش إليه على رأس جيش كبير ، عول على الانسحاب على الرغم من أن حليفه علاء الدين طلب منه البقاء فى مكانه ، لكن مظفر الدين عاد إلى إربل خشية من اشتباكه مع قوات أيتغمش (٥) .

كذلك حاول ناصر الدين الأرتقى — أمير ماردين — مد نفوذه إلى

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوبه ج ٢ ص ١١٦
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٧ هـ
(٣) نفس المصدر حوادث سنة ٦٠٢ هـ .
(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٢ هـ
(٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الثانى ج ٩ ص ٥٢٦

خلاط ، لكنه لم يستطع لأن أحد مماليك شاه أرمن بن سكمان ، انتزع الحكم من صاحب خلاط (١) .

كانت مدينة حلب تتبع أتابكية ماردين قبل استيلاء زنكى عليها ، فاضطربت أحوالها بعد وفاة صاحبها رضوان بن تتش سنة ٥٠٧ هـ (٢) (١١١٧)م واستدعى أهلها إيلغازى بن أرتق — صاحب ماردين — سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) وسلموا إليه المدينة (٣) . فأناب عنه فى حكمها ابنه حسام الدين تمرتاش ، واستطاع دره خطر الفرنجة عن حلب (٤) . ولما توفى أبوه عاد حسام الدين إلى ماردين وأناب عنه فى حكمها ابنه سليمان (٥) غير أن سليمان مالبث أن ثار على أبيه بتحريض من بعض مماليكه فعزله ، وولى مكانه سليمان ابن أخيه عبد الجبار سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) ، ولقبه بدر الدولة (٦) .

لما عجز سليمان بن عبد الجبار عن دره خطر الفرنجة عن حلب ، انتزعها منه مالك بن بهرام بن أرتق سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) (٧) كما استولى على حران ومنبج ، ولم يزل مالك بن بهرام مستولياً على حلب حتى قتل ، فسار إليها تمرتاش بن إيلغازى ، وملكها ، غير أن الفرنجة ظلوا مصدر خطر كبير على حلب ، فاستدعى أهلها البرسقى — صاحب الموصل — فلبي

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٣ هـ

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ ص١٨١ — ١٨٢

Runciman : A History of the Crusades vol.2 p. 134

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١١ هـ

(٤) Runciman . A History of the Crusades, vol. 2 pp. 151-152

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص٢٠٩ — ٢١٠

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ .

(٧) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص٢٠٩ — ٢١٠

(٨) ابن الوردى : تتمة المختصر فى تاريخ البشر ج ١ ص٣٢

طلبهم وتيسر له بذلك الاستيلاء على حلب ، ثم خلفه فى حكمها ابنه(١) عز الدين مسعود .

اضطربت الأمور فى حلب بعد وفاة أتابكها عز الدين مسعود بن البرسق ، فأصبحت ميداناً للنزاع بين سليمان بن عبدالجبار الأرتق ، وإبراهيم ابن رضوان السلجوقى (٢) فى الوقت الذى أراد فيه الصليبيون الاستفادة من تلك الأوضاع فى الاستيلاء على حلب (٣) التى كانت فى حاجة إلى حاكم قوى يتولى صد الأخطار التى تهددها(٤) .

رأى زنكى أن الفرصة قد سنحت له للاستيلاء على حلب ، وضمها إلى دولته فى شمال العراق ، وكان يأمل من وراء ذلك تكوين جبهة إسلامية متحدة يتيسر لها الوقوف فى وجه الخطر الصليبى ، ذلك أن الذى يحكم حلب يستطيع قطع الصلة بين إمارة الرها من ناحية والإمارات الصليبية بالشام من ناحية أخرى (٥) .

وبينما كانت حلب تعانى من الاضطرابات الداخلية (٦) دخلها عماد الدين زنكى حاملا تقليداً من السلطان محمود بحكمها (٧) ، فوجه اهتمامه إلى إصلاح أمورها (٨) ، كما عمل على تعمير ما خربه الصليبيون فى غاراتهم عليها ،

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٣٧

(٢) العينى . عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول جـ ١٢ ورقة ١١
Archer : The Crusades. p. 199

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٣٧ — ٢٣٨

(٤) Setton : A History of the Crusades. vol. I p. 433

(٥) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٦١

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٣٨ — ٣٩

(٧) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٢ ص ٢٥٠

(٨) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول جـ ١٢ ورقة ١٢

وأقطع أعمالها الأمراء والأجناد (١) ، وأناب عنه فى حكم حلب الرئيس صفى الدين أبا الحسن على بن عبد الرازق العجلانى فأحسن معاملة أهلها(٢).

اتبع زنكى بعد استيلائه على حلب سياسة تنطوى على ضم الإمارات الإسلامية فى بلاد الشام إلى حوزته ، فسار إلى حماة سنة ٥٢٤هـ(١١٢٩م) وكان أتابك دمشق وقتذاك قد ولى عليها ولده سونج بن بورى (٣) — وادعى أنه يريد محاربة الفرنجة (٤) ، وأرسل إلى تاج الملوك بورى بن طغتكين — أتابك دمشق — يستنجده ، ويطلب منه المعونة على جهادهم (٥) .فأجاب طلبه ، إذ كان يخشى جانب بلدوين الثانى — ملك بيت المقدس — ولذلك أرسل جيشاً إلى ابنه سونج — صاحب حماه (٦) — وأمره بالسير إلى عماد الدين زنكى ، والوقوف إلى جانبه فى محاربة الصليبيين (٦) ، لكن

---

(١) يقول ابن الأثير : لولا أن الله تعالى من على المسلمين بولاية عماد الدين زنكى، لكان الفرنج قد استولوا على الشام جميعه ، فانهم كانوا لهم من أتابك طغتكين شاغل ومانع عن بعض أغراضهم ، وكانوا متى حصروا حلب وغيرها ، جمع طغتكين عسكره ، وسار نحوهم ، فيرحلون ، فقدر الله تعالى أنه توفى سنة ٥٢٥هـ ، فخلت البلاد بالمرة من حام يذب عنها .

(التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٣٨).

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر فى تاريخ البشر ج ١ ص ٣٤

(٣) كانت البلاد الإسلامية فى الشام مقسمة بين ثلاث قوى ، الأولى يحكمها بورى ابن طغتكين — أتابك دمشق — ويسيطر على دمشق وحماه فى الشمال وحوران فى الجنوب ، والثانية يحكمها صمصام الدين خير خان بن قراجا أمير حمص ، والثالثة سلطان بن منقذ ، وهو الأمير العربى الذى يسيطر على شيزر . ولم يستطع كل من خير خان وسلطان بن منقذ مقاومة زنكى ، فأعلنا ولاءهما له ، وبذلك لم يبق أمام زنكى سوى تاج الملوك بورى — أتابك دمشق —

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٨

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٢٣٦

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٤٥

Gibb : The Damascus Chronicle of the Chusades. p.p. 200-201.

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٨

زنكى غدر بشونج خين وفد إليه ، فقبض عليه ، وعلى جماعة من أصحابه (١)، ونهب خيامهم وأثقالهم وأسلحتهم ، فهرب بعضهم ، واعتقل البعض الآخر فى حلب(٢) ، وبذلك تيسر له دخول حماه والاستيلاء عليها(٣) .

أسند زنكى ولاية حماه لصمصام الدين خيرخان بن قراجه - صاحب حمص - بعد أن أدى له مبلغا من المال ، ثم لم يلبث أن غدر به ، فانقض عليه وحبسه بقلعة حلب ، واتجه بعد ذلك إلى حمص ، فامتنع أولاد صمصام الدين بقلعتها ، ورفضوا تسليمها (٤) .

استقر رأى شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بورى - أتابك دمشق - على استرداد حماه ، فسار إليها سنة ٥٢٧ هـ (١١٢٣ م) وشدد عليها الحصار ولم تستطع حاميتها الدفاع عنها ، كما أن أهلها طلبوا الأمان ، فأجاب أتابك دمشق طلبهم (٥) ، وانصرفت حاميتها عن الدفاع عنها ، مما مهد السبيل لأتابك (دمشق) للاستيلاء عليها (٦) .

هيأت الأحوال السياسية فى مدينة دمشق الفرصة لعماد الدين زنكى الاستيلاء عليها ، وتحقيق أطماعه فى إقامة دولته فى بلاد الشام ، ذلك أن أتابك دمشق شمس الملوك إسماعيل كان سيء السيرة(٨)، فاشتدت كراهة الناس له ، ولما خشى بأسهم ، أرسل إلى عماد الدين زنكى يطلب منه القدوم إلى دمشق والاستيلاء عليها (٨) ، وألح فى ذلك ، حتى أرسل إليه يقول : « إن

(١) Setton : A History of the Crusades. p. 430

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٣

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٤٦

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٣ هـ .
العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان جـ ١٢ ورقة ١٦

(٥) Gibb : The Damacus Chronicle of the Crusades. pp. 219-220

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٥٣

(٧) نفس المصدر جـ ١ ص ٥٧

(٨) Setton : A History of the Crusades vol. I. p. 457

اهملت المجيء سلمت المدينة إلى الفرنج (٢) ، ولما تحقق أصحاب أتابك دمشق من نواياه ، عمدوا إلى التخلص منه ، وخلفه أخوه شهاب الدين محمود ابن بورى (٣) .

عول عماد الدين زنكى على المسير إلى دمشق سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م) وأنفذ رسلا قبل وصوله إليها لمحاولة إقناع أهلها بالتسليم ، غير أن أهلها لم يستجيبوا للصلح (٤) . فلما بلغها زنكى أخذ فى محاصرتها ، فواجه مقاومة عنيفة تزعمها معين الدين انر — أحد مماليك طغتكين — فاضطر زنكى إلى رفع الحصار عنها ، وعقد صلحا مع أهلها (٤) ، وخاصة أن الخليفة المسترشد أمره برفع الحصار عن هذه المدينة والرحيل عنها (٢) ، وهكذا ظلت دمشق عقبة كبيرة فى سبيل تحقيق سياسة زنكى التى تنطوى على توحيد الجبهة الإسلامية فى بلاد الشام .

وعلى الرغم من فشل زنكى فى فتح دمشق فإنه واصل سياسته فى التوسع فى بلاد الشام ، فزحف إلى حمص سنة (٢) ٥٣١ هـ (١١٣٦ م) — وكان

---

(٣) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج٣ ص٧

Runciman : A History of the Crusades p. 197 (٤)

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٥ — ٢٤٦

(١) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٧٠

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٩ هـ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٥٧

(٢) كان يحكم حمص صمصام الدين خيرخان بن قراجا الذى قبض عليه زنكى سنة ٥٢٤ هـ ، وولى حمص بعده ابنه عين الدين إيلخان فقتله بعض مماليكه سنة ٥٢٦ هـ ، وخلفه أخوه الأمير قريش بن خير خان ، وكان يدبر أمره أحد مماليكه واسمه خرتاش ، الذى سلم حمص للأمير شمس الملوك إسماعيل بن بورى — أتابك دمشق — فلما قتل شمس الملوك ، وولى بعده أخوه شهاب الدين ، سلم حمص للأمير معين الدين أنر — مملوك جده طغتكين — وقد حال بين زنكى وبين الاستيلاء على حمص .

ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٤٣

(ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥٨)

يحكمها معين الدين أنر نائبا عن أتابك دمشق — وحاصرها فترة من الوقت(١). غير أنه مالبث أن رفع الحصار عنها حين علم أن الصليبيين أتوا لنجدتها(٢).

لم يكف عماد الدين زنكى عن محاولة ضم البلاد الإسلامية فى الشام إلى حوزته فاستولى على حصن المجدل (٣) ودخلت بانياس فى طاعته (٤). ثم عاد إلى محاصرة حمص، لكنه ما لبث أن رفع الحصار عنها حين هاجم الإمبراطور البيزنطى حناكومنين حلب (٥) ولما عاد الإمبراطور البيزنطى إلى بلده، عاود زنكى الهجوم على حمص غير أنه توقف عن مهاجمتها بعد أن تحسنت العلاقات بينه وبين أتابك دمشق الذى وافق على ضم حمص إلى حوزته، ونزل زنكى له عن بعدين وحصنين آخرين (٦).

على أن زنكى ما لبث أن أتيحت له فرصة أخرى لتحقيق أطماعه فى دمشق(٧) حين قتل أتابكها الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بيد غلمانه سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) إذ أرسلت والدته — وهى زوجة عماد الدين زنكى — تطلب منه القدوم إلى دمشق، والثأر لابنها، فأعد زنكى العدة للزحف إلى هذه المدينة سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م)، غير أن أهلها الذين أخلصوا لبيت بورى، حشدوا قوات كبيرة للدفاع عن مدينتهم (٨) كما أن معين الدين أنر — نائب أتابك دمشق — أفسد على زنكى أطماعه، فقبض

---

(١) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades. p. 242

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٨

(٣) مجدل : اسم بلد بالخابور، إلى جانبه تل عليه قصر (ياقوت معجم البلدان ج ٧ ص ٣٨٧).

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٢

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٤.
Runciman : A History of the Crusades vol. 2 p. 261

(٦) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢.
Stevenson . The Crusaders in the East. p. 142

(٧) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades. p. 254

(٨) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٦.

على زمام الأمور فى دمشق ، ثم بعث فى طلب جمال الدين بورى — أمير بعلبك — ليحل محل أخيه(١) أتابك دمشق ، فلما ولى الحكم ، فوض لمعين الدين أنر تدبير الأمور فى أمارته (٢) ، فتصدى لزنكى وحال دون استيلائه على دمشق(٣) .

وعلى الرغم مما واجه زنكى من صعوبات فى سبيل الاستيلاء على هذه المدينة فإنه لم يقلع عن سياسة التوسع فسار إلى بعلبك وحاصرها(٤) . غير أن أهلها استبسلوا فى الدفاع عن مدينتهم ، ولما رأوا أن لا طاقة لهم بزنكى وجنده طلبوا منه الأمان ، فأمنهم(٥) ، وسلموا إليه المدينة(٦) ، كما استسلمت حامية قلعتها بعد أن يئست من النصر(٧) .

لما فرغ زنكى من ضبط الأمور فى بعلبك ، عول على المسير إلى دمشق محاولا فتحها للمرة الثالثة ، فأرسل قبل شروعه فى مهاجمتها إلى أتابكها جمال الدين محمد بن تاج الملوك بورى يطلب منه النزول عن دمشق مقابل إعطائه حمص أو بعلبك(٨) ، لكن أتابك دمشق رفض هذا العرض ، فلم

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٣ هـ .
(٢) ابن العديم . زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٧٢
(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٠
(٤) Zoe olden Bourg; Les Croisades. p.521
(٥) العينى : عقد الجمان فى أخبار الزمان القسم الأول جـ ١٢ ورقة ١١٤
(٦) لما استولى زنكى على بعلبك نكث بالعهد الذى منحه لأهلها ، فاعتدى على الرجال والنساء والأطفال اعتداءاً ظالماً ، ويقول ابن الأثير : إن الناس استقبحوا منه ذلك وخالفوه وحذروه ، ولا سيما أهل دمشق ، فانهم قالوا : لو ملكنا بفعل ذلك ، فجدوا فى محاربته .
(الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ) .
Setton . A History of the Crusades vol. 1. p. 549
(٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٩
ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٧٣
(٨) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٨٦

يجد زنكى بدأ من الزحف إلى هذه المدينة سنة ٥٣٤هـ(١) (١١٣٩م)، غير أن أتابكها توفى فى ذلك الوقت ، وحدث خلاف بين أفراد بيت بورى على من يتولى الحكم فى دمشق(٢) ، فاستغل زنكى ذلك الخلاف ، وشدد هجماته على المدينة(٣) غير أن معين الدين أنر مالبث أن قضى على هذه الخلافات ، وولى مجير الدين ابق بن جمال الدين أتابكية دمشق(٤) ثم استقر رأيه على الاستنجاد بمملكة بيت المقدس الصليبية ، فأرسل أسامة بن منقذ مبعوثاً إلى ملكها(٥) فولك ، لحذره من خطر زنكى إذا ما استولى على دمشق(٦) ، وكان لحديثه تأثير بالغ فى نفوسهم ، وخاصة بعد أن ضم إلى حوزته حمص وحماه وحلب وبعلبك(٧) ، ولم يبق أمامه سوى دمشق ، فأيقنوا أن امتلاكه هذه المدينة يمكنه من تكوين جبهة إسلامية فى بلاد الشام وشمال العراق تشكل خطراً كبيراً عليهم(٨) . كذلك عرض أسامة ابن منقذ رسول معين الدين أنر ـ نائب أتابك دمشق ـ على ملك بيت المقدس الاستيلاء على بانياس(٩) ـ وكانت وقتذاك تابعة لزنكى ـ فجمع الصليبيون جموعهم ، وتأهبوا للزحف إلى دمشق لمعاونة معين الدين أنر فى الذود عنها(١٠) . ولما علم عماد الدين زنكى بذلك ، سار إلى حوران ، معتزماً لقاء الصليبيين قبل أن يجتمعوا مع أهل دمشق على قتاله(١١) . غير أن الصليبيين

---

(١) (ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ) .
Gibb : The Damascue Chronicle of the Crusades. p. 259
(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٧٣ — ٢٧٤
(٣) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٥ — ١٦
(٤) ابن الوردى : تتمة المختصر فى تاريخ البشر جـ ٢ ص ٤٣
(٥) أسامة بن منقذ : الاعتبار ص ٨١
(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٢٧٢
(٧) Archer : The Crusades. p. 195
(٨) Zoe OldenBourg : Les Croisades. P. 468
Runciman : A History of the Crusades. vol 2 pp. 226-227
(٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٣٤ هـ .
(١٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٣
(١١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٨٨

مالبثوا أن عدلوا عن خطتهم ، وظلوا فى بلادهم ، فعاد عماد الدين زنكى إلى حصار دمشق(١) .

أما معين الدين أنر فإنه سار إلى بانياس ، وحاصرها وأوقع الهزيمة بصاحبها ، وقتل كثيراً من رجاله ، وتمكن من الاستيلاء على البلدة ، وتسليمها إلى الفرنجة(٢) تحقيقاً لوعده(٣) .

لما بلغ زنكى حصار بانياس ، وتسليمها إلى الفرنجة ، عظم ذلك عليه وعول على الانتقام منهم ، فأغار على صور وأعمال دمشق(٤) ، ثم حاصر هذه المدينة ، واضطرب أهلها حين شاهدوا فى الصباح عسكر زنكى محاصراً لبلدهم(٥) . غير أن زنكى مالبث أن رفع الحصار ، ورجع إلى مرج راهط لأن كثيراً من جنده كانوا متفرقين(٦) ، فلما عادوا إليه محملين بالغنائم ، رحل بهم عائداً إلى الموصل(٧) .

انقسمت مملكة زنكى بعد وفاته سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) بين ولديه سيف الدين غازى ، ونور الدين محمود ، فاحتفظ الأول بالموصل ، على حين تمكن نور الدين محمود من تثبيت قوته فى حلب ، وكان الحد الفاصل بين أملاك الأخوين هو نهر الخابور(٨) .

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ ص ٢٧٣

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج٣ ص ١٦ .
Setton ; A History of the Crusades vol. 1.p 460

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٢
Grousset : Histoire des Croisades vol. 2 p. 2 p. 137

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٩٨٦

(٥) Setton : A History of the Crusades vol I. p. 460

(٦) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج١ ص٨٩

(٧) ابن الأثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٤هـ.

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١١٤

ولما ولى قطب الدين مودود الموصل سنة ٥٤٤هـ (١١٤٩م) طمع أخوه نور الدين محمود فى بلاده ، وشجعه على ذلك بعض أمراء الموصل الذين أرسلوا إلى نور الدين يلحون عليه فى المسير إليهم ، فقصد سنجار ، واستولى عليها (١) . غير أن الأخوين ما لبثا أن عقدا صلحاً ، أعاد نور الدين محمود بمقتضاه سنجار إلى أخيه قطب الدين ، واتفقا على أن تكون ديار الجزيرة لقطب الدين مودود وأن يبقى الشام لنور الدين (٢) .

ولى حكم الموصل بعد وفاة قطب الدين مودود ابنه سيف الدين غازى ولما علم نور الدين محمود باستبداد وزيره فخر الدين بأمر الموصل عول على المسير إليها لتدبير ملك أولاد أخيه (٣) ، فعبر الفرات على رأس قوة من الجند سنة ٥٦٦هـ (٤) (١١٧٠م) ، واستولى على الرقة وسار إلى الخابور ، وتغلب عليه كما فتح نصيبين ، وهناك انضم إليه نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود ـ صاحب حصن كيفا (٥) ـ فازداد عدد قواته . الأمر الذى شجعه على المسير إلى سنجار ، فحاصرها وملكها (٦) ، ثم سار إلى الموصل ، واستولى عليها ، وعزل وزيرها فخر الدين (٧) ، ورفع عنها ما كان يعانيه أهلها من أنواع المظالم واتبع هذه السياسة فى كل من نصيبين والخابور وسنجار (٨) ، ثم ترك لسيف الدين حكم الموصل ، ومع ذلك عين أحد رجاله سعد الدين كمشتكين نائباً عنه فى هذه الامارة وهكذا اتسعت سلطة

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٨ .
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ .
ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٦٠ .
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ١٩٢ .
(٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٣ .
(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ .
(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٥٣ — ١٥٤ .
(٧) Grousset : Histoire des Croisades. p558
(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ .

نور الدين محمود ، فأصبح يحكم بلاد الجزيرة (١) ، غير أن سيف الدين غازى مالبث أن استرد هذه البلاد التى استولى عليها عمه نور الدين محمود (٢).

٤ — الأيوبيون :

كان شادى أو شاذى أبو صلاح الدين يوسف كرديا من بلده من قرية بالقرب من أذربيجان ، ويكتنف أصل أسلافه الغموص ، ولا يمكن قبول الرواية التى رددها الذين عملوا فى خدمة بنى أيوب والتى تزعم أن صلاح الدين ينسب إلى أصل عربى عريق — آل مروان — ، وكان شادى قد هاجر إلى بغداد ومعه ولداه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه وقد تولى دزدارية قلعة تكريت بمساعدة مواطن يدعى بهروز ، وكان له شأن فى حكومة بغداد ، وتوفى شادى فى تكريت فخلفه أيوب ، وفى سنة ٥٢٦ هـ / ١١٢٠ م هزمت سلاجقة بغداد جيوش أتابك زنكى — أمير الموصل — بالقرب من تكريت ، فساعده نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه على النجاة — وهما من أتباع خصومه — وداويا جراحاته ، وخدماه أحسن خدمه ، وحملاه إلى قلعة تكريت ، وأقام بها خمسة عشر يوما حتى عولجت جراحاته ، واستراح من آلامه ، ولما أعتزم العودة إلى الموصل أعوزه الظهر ، فأعطياه جميع ماعندهما من الظهر ، حمل عليها أمتعته ، فكان عماد الدين زنكى يقدر هذا الجميل لنجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، ويعرف لهما هذه الصنيعه ، وبالطبع لم ترض بغداد عن هذا العمل ، وعزلت نجم الدين أيوب لأن مساعدته لزنكى اعتبرت عصيانا على الدولة العباسية فترك نجم الدين أيوب واخوه أسد الدين شيركوه تكريت سنة ٥٣٢ هـ سنة ١١٣٨ م وقصدا زنكى فى الموصل ، ودخــلا فى خدمته ، وفى

---

(١) ابن قاضى شهبة : الكواكب الدريه ورقه ١٤٩

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب حـ ٢ ص ٧

الليلة التى غادر فيها نجم الدين أيوب تكريت ، ولد له يوسف صلاح الدين.

رحب زنكى كل الترحيب بأيوب وشيركوه ، وأقطعهما الأقطاعات واشتركا معه فى حروبه ، فأعاناه على فتح بعلبك ، وعهد زنكى بحكمها إلى أيوب فى أوائل سنة ٥٣٤ م سنة ١١٣٩ م ، وبعد وفاة زنكى حاولت جيوش صاحب دمشق أن تستعيد بعلبك ، ولما وجد أيوب نفسه غير قادر على الأحتفاظ بها انضم إليه بأختياره ، وأصبح عنده قائدا ممتازا بل كبير القواد.

وبقى شيركوه فى خدمة نور الدين محمود — صاحب حلب — وعول نور الدين على الأستيلاء على دمشق ، فعرض على شيركوه أن ينتزعها من من يد أخيه أيوب ، واتفق الأخوان فيما بينهما ، ودخل شيركوه المدينة من غير قتال سنة ٥٤٩ ﻫ / ١١٥٤ م وبالغ نور الدين فى اكرام أيوب وعينه حاكما على دمشق ، وتولى شيركوه حكم حمص ، وتوارث أبناؤه حكمها .

تطلع نور الدين محمود إلى ضم مصر إلى حوزته ، وانتهز فرصة ضعف الخلافة الفاطمية فى مصر ، وتنافس كبار رجال الدولة على تقلد الوزارة ، بل إن بعضهم استعان بأمراء الدول المجاورة لتحقيق أطماعهم ، مما ترتب عليه تطلع هؤلاء الأمراء إلى بسط سلطاتهم على مصر ، فقد تقلد شاور الوزاره فى عهد الخليفة العاضد ، ولم يلبث أن ثار عليه ضرغام — أحد قواد الجيش — وتقلد الوزارة ، فأضطر شاور إلى الإلتجاء بنور الدين محمود ليعاونه فى استعادة منصبه ، فارسل حملة إلى مصر يقودها أسد الدين شيركوه تصدت لضرغام ، وتغلبت عليه ، وعاد شاور إلى الوزارة ، ولم يلبث أن تخلى عن حليفه نور الدين فطلب من شيركوة العودة إلى بلاد الشام ، وبعث لأماريك — ملك بيت المقدس الصليبى — يستنجد به ، ويخوفه من نور

الدين إذا تمكن من الديار المصرية ، فسارع إلى تلبية طلبه ، وأرسل جيشاً أرغم شيركوه على العودة بجنده إلى الشام .

وكان لهذه السياسة أثرها فى توجيه أنظار كل من نور الدين — صاحب دمشق — والصليبيين فى بيت المقدس إلى غزو مصر ، ثم تتابعت حملات أسد الدين شيركوه والصليبيين على مصر ، وانتهى الأمر بانتصار حملة شيركوه الثالثة ، ودعوة أماريك — ملك بيت المقدس — من غير حرب ولا قتال ، ثم أسند الخليفة العاضد الفاطمى إلى شيركوه منصب الوزارة بعد تخلصه من شاور ، غير أن شيركوه لم يستمر طويلا فى الوزارة ، فتوفى بعد قليل ، واستدعى الخليفة الفاطمى صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وولاه الوزارة .

وكان الخليفة الفاطمى مسلوب السلطة مع صلاح الدين الذى عمل على تدعيم مركزه فى مصر ، بإحاطة نفسه بأهل بيته ، فطلب من نور الدين محمود أن يرسل إليه أباه وأقاربه ، واسند إليهم بعض المناصب كما وجه اهتمامه على القضاء على المذهب الشيعى فى مصر ، ولما أيقن من إنهيار سلطة الخليفة العاضد أمر بإقامة الخطبة للخليفة المستضىء بالله العباسى وإسقاط أسم العاضد من الخطبة سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ولم يعلم الخليفة العاضد بهذا التغيير لمرضه ، ثم توفى بعد ذلك بقليل . وبذلك سقطت الدولة الفاطمية .

ولم تلبث أن نشبت الخلافات بين صلاح الدين يوسف وسيده نور الدين محمود ، وذلك لأن صلاح الدين بعد أن كان وزيرا للعاضد ، خلا له الجو بعد وفاته ، وصار يخطب باسمه بعد أسم الخليفة العباسى وسيده نور الدين ، واعتزم الأستقلال بمصر عن الدولة النوريه ، فوطد نفوذه فى مصر ، وقضى على العناصر الموالية للفاطميين فى مصر بفضل شجاعته وإقدامه ، ودانت له مصر بالاء والطاعة ...

على أن نور الدين محمود لم يتغاضى عن نزعة صلاح الدين الأستقلالية فاعتزم غزو مصر ، وأخذها من صلاح الدين ، ولكن نور الدين لم يلبث أن توفى دون أن يحقق غرضه . وبذلك ترك الميدان خاليا أمام صلاح الدين . وقامت منافسة شديدة بين أمراء نور الدين محمود فى حلب ودمشق وأمراء بنى زنكى فى إقليم الجزيرة شمال العراق حول من يخلفه فى حكم الدولة النورية .

واستقر رأى الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك ـ أحد كبار رجال دولة نور الدين محمود ـ على تولية الصالح اسماعيل مكان أبيه نور الدين سنة ٥٦٩ هـ — (١١٧٣م) (١) حتى لا يطمع سيف الدين غازى بن مودود ـ صاحب الموصل (٢) ـ فى الاستيلاء على حلب . غير أن سعد الدين كمشتكين ـ نائب نور الدين محمود فى الموصل - ما لبث أن سار إلى حلب ، وقبض على شمس الدين محمد ، وانفرد بأتابكية الصالح اسماعيل (٣) .

ولما علم صلاح الدين الأيوبى باستبداد سعد الدين بأمور حلب ، وتدبيره شؤون ابن سيده نور الدين محمود عظم ذلك عليه وأنكره ، واتخذ من ذلك ذريعـــة لتحقيق رغبته فى السيطرة على الشام (٤) ، فسار إلى حلب متظاهراً أنه يريد الأشراف على تنشئة الملك الصالح (٥) .

أثار اتجاه صلاح الدين إلى حلب مخاوف أتباع الملك الصالح اسماعيل وأيقنوا أن الملك سينتقل منه إلى صلاح الدين (٦) ، فأرسلوا إلى سيف الدين

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ .
ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٣٨ .
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ٧ .
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٥ .
(٤) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول جـ ١٢ ورقة ٥٤٦ .
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ٧ .
(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٦ ص ٢٤ .

غازى — أتابك الموصل — يطلبون منه القدوم إليهم للوقوف إلى جانب الملك الصالح ضد أطماع صلاح الدين (١).

غير أن صلاح الدين أرسل إليهم يحذرهم من منعه من دخول حلب، وتدبير أمر دولة الملك الصالح ويقول: «لو أن نور الدين علم أن فيكم من يقوم مقامى، أو يثق إليه مثل تقته بى لسلم إليـــه مصر التى هى أعظم ممالكه وولاياته، ولو لم يعجل عليه الموت، لم يعهد إلى أحد بتربية ولده، والقيـام بخدمته غيرى، أوَ أراكم قد تفردتم بمولاى وابن مولاى دونى وسوف أصل إلى خدمته، وأجازى انعام والده بخدمة يظهر أثرها، وأجازى كلا منكم على سوء صنيعه فى الذب عن بلاده (٢)».

وكان صلاح الدين قد ضم إلى حوزته فى ذلك الوقت دمشق(٣) وحمص وحماه وبعلبك. ولما قصد حلب، استنجد أهلها بالصليبيين (٤)، فهاجموا حمص، واضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار عن حلب (٥)، وتأهب لصد الصليبيين عن بلاده(٦).

استجاب سيف الدين غازى لنداء، أهل حلب، وأرسل جيشاً إليها لاعتقاده أن صلاح الدين قد استفحل خطره وعظم شأنه ومن ثم وجه اهتمامه إلى الوقوف فى وجهه حتى لا يستحوذ على البلاد، وتتوطد فيها

---

(١) أبو الفدا: المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦.
(٢) العينى: عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الثانى ج ١٢ ورقة ٥٤٧.
ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ٢٢.
(٣) أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٢٣٦.
(٤) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ٢٢ — ٢٣.
(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٣٩.
(٦) Setton : A History of the Crusades Vol.I.p.567
Archer : The Crusades p.243

سلطته(١) ، فأرسل جيشاً بقيادة أخية عز الدين مسعود لمعاونة ابن عمه الملك الصالح فى صد صلاح الدين عن بلاده . كما هاجم سنجار وكان صلاح الدين قد طلب إلى أتابكها الوقوف إلى جانبه فى وجه صاحب الموصل(٢) ، لكنه لم يلبث أن رفع الحصار عنها بعد أن فشل فى الاستيلاء عليها (٣) ، كما أوقع صلاح الدين الهزيمة بجيشه الذى أرسله للدفاع عن حلب (٤).

عول سيف الدين غازى بعد هزيمة جيشه فى حلب على محاربة صلاح الدين الأيوبى (٥). فأعد جيشاً كبيراً سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) سار به من الموصل وبصحبته أخوه عز الدين مسعود ، غير أن صلاح الدين رغبة منه فى تجنب الحرب ، أرسل إلى سيف الدين يعرض عليه النزول عن حمص وحماه ، على أن يقره على دمشق ، ويكون فيها نائبا عن الملك الصالح اسماعيل . فلم يجب طلبه (٦) ، وقال : « لا بد من تسليم جميع ما أخذ من بلاد الشام ، والعودة إلى مصر (٧) » ، فكان ذلك مما حمل صلاح الدين على اعداد العدة لمحاربته ، والتقى مع عز الدين مسعود بالقرب من مدينة حماه (٨) فى موضع يقال له قرون حماه (٩) ، حيث دارت معركة انتهت بانتصار صلاح الدين وهزيمة جيش الموصل (١٠) ، ثم تابع صلاح الدين تنفيذ خطته ،

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٦ ص ٢٤ .
(٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ٥٨ — ٥٩ .
(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤٠ .
(٤) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٦٠ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٠ هـ .
(٥) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٦٠ .
(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٦ ص ٢٥ .
(٧) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ٦ ص ٥٩ .
(٨) Lamb : The Crusades.p.43
(٩) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤١ .
Lane-Poole : Saladin. P.139
(١٠) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٢٤٧-٢٥٧ .

فسار إلى حلب ، وظل محاصرا لها حتى اضطر أهلها إلى طلب الصلح (١) على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بأيديهم منها ، فأجابهم إلى ذلك ، ورحل عن حلب (٢) .

لم يوافق سيف الدين غازى بن مودود على ذلك الصلح الذى تم بين أهل حلب وصلاح الدين ، فأرسل إليهم يطلب منهم نقضه ، وأعد العدة لمحاربة صلاح الدين (٣) وحثهم على الاشتراك معه فى محاربته ولم يكتف بذلك بل أرسل إلى ريموند الثالث - أمير طرابلس - يطلب مساعدته على صلاح الدين ، وأنفذ إليه أسرى الصليبيين المحتجزة عنده ، رغبة فى استمالته إليه أما صلاح الدين فإنه عقد هدنه مع مملكة بيت المقدس حتى يتفرغ لمحاربه سيف الدين غازى بن (٤) مودود الذى حشد كل قواه لطرد صلاح الدين من دمشق ، ولم ينفرد وحده بمحاربته بل استنجد عليه بأمراء كيفا وماردين وسنجار (٥) ، وانضم إليه قوات من حلب ، وساروا جميعا إلى دمشق سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) (٦) . غير أن صلاح الدين أعد العدة لصدهم ، وبعث فى طلب جيش كبير من مصر (٧) والتقى فى معركة كبيرة مع أتابك الموصل وحلفائه عند تل السلطان (٨) - على الطريق بين حلب وحماه - انتهت

---

(١) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب . تاريخ حماه ص ٢٧١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٠ هـ ،

المقريزى ، السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ القسم الأول ص ٥٩

Runciman : A History of the Crusades. Vol.2 p.626

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ٣٦

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٦ ص ٢٦

(٥) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٦١

(٦) Lane-Poole : Saladin. p.143

(٧) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماه ص ٢٧٢

(٨) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٢٥٥

باحرازه النصر ، واستيلائه على كثير من الأمـــوال والذخائر (١)

ثم وجه أهتمامه لمحاصرة حلب ، واضطر أهلهـا إلى مصالحته بعد أن طال حصارها (٢) .

ولما توفى سيف الدين غازى بن مودرد ـ أتابك الموصل سنة ٥٧٦ هـ ـ (١١٤٠ م) خشى أهلها من مطامع صلاح الدين فى بلدهم فولوا عليهم عز الدين مسعود ـ أخا سيف الدين غازى ـ لكبر سنه ، لما عرف عنـــه الشجاعة وحسن السياسة .(٣) .

ومما يجدر ذكره أن الصالح اسماعيل صاحب حلب توفى أيضا فى هذه السنة وأوصى بأن يخلفه ابن عمه عز الدين مسعود(٤) فى حلب حتى تتألف من حلب والموصل جبهه واحدة تستطيع الصمود فى وجه صلاح الدين(٥) لذلك سارع عز الدين مسعود إلى تنفيذ وصيه ابن عمه ، وسار قاصدا حلب(٦) ودخلها وتولى الحكم فيها (٧) ، ثم ثار أهل حماه على أميرهم ، ونادوا بعز الدين مسعود أميرا عليهم (٨) ، كما أن أمراء حلب أطمعـوا عز الدين فى

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ١٠٦
المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ٥٩
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧١ هـ
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٢٩١
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٧ هـ
ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٨٠
(٤) Ruuciman : The Kingdom of Jerusalem.p.433
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ١٠٨
(٦) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ٧٧
(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٨٢
(٨) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ١٠٨

فى السير إلى دمشق (١) لكنه لم يستجب لهم ، بل نزل عن حلب لأخيه عماد الدين زنكى بن مودود ـ صاحب سنجار ـ (٢) وهكذا لم يتيسر له إقامة جبهه إسلاميه تضم الشام والعراق (٣) .

رأى صلاح الدين الأيوبى أن الخطر يتهدده من ناحيه وجود بنى زنكى فى الموصل وحلب ، ومن ثم عمل على التخلص منهم ، كما بلغه أن أهل الموصل استعانوا بالصليبيين عليه ،(٤) وشجعه مظفر الدين كوكبورى . أتابك اربل ـ على غزو الموصل ، وأظهر استعداده لمدة بكل ما يحتاج إلية (٥) فكان ذلك مما يسر علية أمر الزحف إلى الموصل ، فاستولى فى طريقة إليها على بعض مدن الجزيره . ثم شرع فى محاصرة الموصل (٦) غير أن صاحبها عز الدين مسعود أعد عدته لصد هذا الحصار (٧) فحشد فيها عددا ضخما من العساكر ما بين فارس وراجل واضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار عنها

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٨٧
(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤٥
(٣) لما دخل عز الدين مسعود حلب ، جاءته رسل من أخيه عماد الدين ـ صاحب سنجار ـ يطلب أن يسلم إليه حلب ، ويأخذ عوضاً عنها مدينة سنجار فرفض إجابة طلبه فهدده عماد الدين بقوله : «إن سلمت إلى حلب وإلا سلمت أنا سنجار إلى صلاح الدين» ، فخشى عز الدين من عاقبة هذا العمل ، ووافق على تسليم حلب لأخيه ، وأخذ سنجار عوضاً عنها ، وعاد إلى الموصل . (ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٨٣) وابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ١٠١)
(٤) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٦١ .
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ١١٧ .
تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماه ص ٢٨٠ .
(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ١١٩ .
Ruuciman : The Kingdom of Jerusalem., p.433
(٧) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٣١ .
Lane Poole : Saladiu.p.165

بعد أنه عجز عن الاستيلاء عليها (١) ثم قصد سنجار ، فخرج إليه أهلها مرحبين بمقدمه (٢) .

رأى عز الدين مسعود ـ أتابك الموصل أن يستعين على خصمه صلاح الدين ببعض أمراء وأتابكة البلاد المجاورة ومنهم شاه أرمن ـ صاحب خلاط وقطب الدين بن نجم الدين ـ صاحب ماردين (٣) ـ وسار عز الدين مسعود مع حلفائه خارج الموصل للقاء صلاح الدين ، قبل أن يهاجم بلاده (٤) ولما علم صلاح الدين بإجتماع هذه الجيوش اضطر إلى العودة إلى الشام (٥) كما عاد كل أمير إلى بلدة (٦) .

واصل صلاح الدين سياسته التى تنطوى على ضم بـــلاد الجزيرة إلى حوزته فلما دخل نور الدين محمد بن قرا أرسلان ـ صاحب حصن كيفا ـ فى طاعته حرضه على المسير إلى آمد (٧) ، فاستجاب له ، وزحف إليها (٨) ثم شرع فى حصارها (٩) ٥٧٩ ﻫ (١١٨٣) وأرسل صلاح الدين إلى أهلها يعدهم بحسن المعامله أن سلموا البلدة له (١٠) فكفوا عن القتال ، وطلبوا الأمان وانفضوا من حول صاحبهم ، ورحبوا بانضمام بلدهم إلى حوزة صلاح الدين فأعطاهم أمانا ، ومكنوه من الاستيلاء على آمد (١١) فولى عليها نور الدين بن

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤٦ .
(٢) محمد بن شاهنشاه : مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١١٠ .
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٨ ﻫ .
(٤) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ٢٠
(٥) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤٦ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٦ ص ٢٩
(٦) Runciman : The Kingdom of Jerusalem. p.434
(٧) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤٦
(٨) Lane-Poole : Saladin. p.172
(٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٩ ﻫ
(١٠) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٣٩
(١١) تاج الدين بن شاهنشاه : مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١١٤

قرا أرسلان ـ صاحب حصن كيفا ـ وكتب له تقليدا بأعمالها (١) فأخذها بما فيها من الأموال والذخائر (٢) واشترط عليه صلاح الدين أن يحسن معاملة الرعية، ويقيم بينهم العدل (٣)، ثم وفد إلى صلاح الدين رسل من قبل صاحب ماردين وبعض أمراء بلاد الجزيرة يطلبون الأمان، فأجاب طلبهم (٤).

غادر صلاح الدين الأيوبى العراق بعد أن زادت هجمات الصليبيين فى بلاد الشام، وحشد جيشا كبيرا ضم جندا من البلاد (٥) المجاورة، وحاصر (٦) حلب، فقاومه أهلها مقاومة عنيفة (٧)، غير أن أميرها عماد الدين زنكى بن مودود، أرسل إلى صلاح الدين سرا يعرض عليه نزوله عن حلب مقابل إعادته إلى سنجار، فوافق صلاح الدين على ذلك (٨) واشترط عليه أن يكون على أهبة الاستعداد للقتال معه. وبذلك خلا الجو لصلاح الدين فى حلب، فضمها إلى حوزته بعد أن غادرها صاحبها إلى سنجار (٩)

امتد نفوذ صلاح الدين إلى شمال العراق، ولم يبق خارجا على طاعته سوى الموصل، لذلك عاود مهاجمتها بعد أن بلغه ان عسكر الموصل قد أغار على اربل وأعمالها، فعقد هدنة مع ريموند الثالث ـ أمير أنطاكية والوصى

---

(١) أبو الفدا: المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٩٦
سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ٣٧٥
(٢) تاج الدين شاهنشاه: مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٣٨
(٣) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ١٣٦
(٤) أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٤٢
(٥) Runciman : The Kingdom of Jerusalem. p. 435
(٦) أبو الفدا: المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٩٦
المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ٨٠
(٧) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٩ هـ
(٨) سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ٣٦٧
(٩) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى ايوب جـ ٢ ص ١٥٥، ١٩٤

على مملكة بيت المقدس - مدتها أربع سنوات(١) وطلب من حلفائه فى بلاد الجزيرة معاونته فى فتح الموصل (٢) فاستجاب له كل من معز الدين سنجر شاه - أتابك الجزيرة - ونور الدين قرا أرسلان - صاحب حصن كيفا - ودارا ، وزين الدين على كجك - صاحب أربل - وعماد الدين قرا ارسلان - صاحب ماردين (٣) . ولما بلغ صلاح الدين الموصل سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) حاصرها غير أن حرارة الجو حالت دون الاستمرار فى القتال ، كما أبلى أهلها بلاء حسنا (٤) ، واضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار عنها بعد أن بلغه وفاة شاه أرمن ابن سكمان الثانى - صاحب خلاط (٥) دون أن يترك وارثا يخلفه . وقد رأى صلاح الدين أن يستغل هذه الفرصة لضم خلاط الى حوزته (٦) غير أنه فشل فى ذلك ، وسار إلى ميافارقين (٧) وبعد أن تمكن من الاستيلاء عليها أسند ولايتها إلى مملوكه حسام الدين سنقر الخلاطى (٨) ، ثم عاد إلى حصار الموصل للمرة الثالثة ، (٩) لكن أهلها طلبوا مصالحته(١٠) ، كما أن أتابكها عز الدين مسعود يئس من مساعدة الخليفة والسلاجقة له(١١) ، فنزل لصلاح الدين بمقتضى الصلح الذى عقده معه عن شهر زور وأعمالها ، وجميع ماوراء الزاب من البلاد والقلاع والحصون ، وولاية بنى قفجاق وغيرها (١٢) ، كما وافق على اقامة الخطبة

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(٢) Lane Poole : Saldin. p.192

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٥٤

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ١٩٦

(٥) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ٨٩

(٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ٣٨٣

(٧) Lane-Poole : Saladin. p. 192

(٨) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٥٦

(٩) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماه ص ٢٨٦

(١٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٢٩٤

(١١) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٦٢

(١٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

لصلاح الدين بدلا من سلاطين السلاجقة (١)، وتعهد فضلا عن ذلك بأن ينفذ عسكره لمعاونة صلاح الدين وينقش اسمه على السكة (٢). وهكذا تيسر لصلاح الدين مد سلطانه إلى جميع بلاد الموصل والجزيرة (٣).

وجه أتابكة الموصل والجزيرة اهتمامهم بعد وفاه صلاح الدين إلى التخلص من نفوذ بنى أيوب (٤)، فسار عز الدين مسعود إلى نصيبين (٥) سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م)، كما وفد اليه أخوه عماد الدين زنكى — صاحب سنجار — وأرسل عز الدين إلى أمراء البلاد المجاوره للموصل يستمدهم، لكن الملك العادل — الذى خلف أخاه صلاح الدين — عول على الاحتفاظ بسيادته على بلاد الموصل والجزيرة، فأعد جيشا كبيرا وزحف إلى حران فى طريقه الى الموصل (٦) وضم إلى حوزته الرقة والخابور (٧) ثم قصد ماردين وحاصرها، واستطاع أن يستولى على بعض أعمالها (٨)

استقر رأى نور الدين قرا أرسلان — صاحب الموصل — على استخلاص ماردين من الملك العادل، وانضم اليه قطب الدين بن عماد الدين زنكى — أتابك سنجار — ثم سارت القوات المتحالفة إلى ماردين (٩)، وكان الملك العادل بن أيوب قد أناب عنه الملك الكامل فى حصارها فاشتبك مع جند الموصل

(١) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ٩٠
(٢) ابن الأثير: فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ
(٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٨٥
(٤) أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٢٣٧
(٥) أبو الفدا: المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٩٢
(٦) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨٩ هـ
ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٣ ص ١٩
(٧) أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٢٣٨
(٨) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ٩٢
(٩) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٣٣٦

وسنجار فى معركة دارت فيها الدائرة عليه ، فاضطـــر الى رفع الحصار عن ماردين ، ثم عاد الى حران سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) (١) .

كان لانتصار صاحب الموصل وسنجار على بنى أيوب فى ماردين أثر بالغ فى تشجيعهما على المسير إلى حران ، ومالبثا أن استوليا عليها وعلى الرها ، ثم انضم اليهما صاحب ماردين . غير أن الرسل سعوا بين بنى أيوب وأمراء الموصل وسنجار وماردين فى الصلح ، وبخاصة بعد أن علموا أن الملك العادل بن أيوب قد زال عنه الخطر الذى كان يتهدده من ناحية ابنى أخيه الملك الأفضل والملك الظاهر (٢) .

وكان الملك العادل يطمع فى استعادة ماردين ،فعهد سنة٥٩٩(١٢٠٢م) إلى ابنه الأشرف موسى بمحاصرتها (٣) وانضم اليه عسكر الموصل وسنجار ولما تعذر على صاحب ماردين مقاومة جيوش خصومه ، أرسل إلى العادل يطلب الصلح (٤) ، فأجاب طلبه . وكان مما تضمنه هذا الصلح أن يؤدى صاحب ماردين للعادل مائة وخمسين ألف دينار ، ويقيم له الخطبة فى بلاده وتضرب السكة باسمه (٥) ويمده بالجند اذا ماطلبها منه (٦) .

حدثت بين نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود ــ أتابك الموصل وقطب الدين محمد بن زنكى الثانى ــ أتابك سنجار ــ خلافات ترجع إلى أن صاحب سنجار ، دخل فى خدمة الملك العادل ، وأقام الخطبة له فى بلاده ، فخشى نور الدين من عاقبة هذا العمل على نفسه وبلده ، فهاجم أتابكيه

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ١٩٥

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٣ ص ١٢٩ .

(٣) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ١٦١

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٣٣٨

(٥) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١٩١

(٦) ابن الأثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٩٩ هـ .

سنجار سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ م)، وبدأ بمدينة نصيبين، فظل يحاصرها حتى تمكن من الاستيلاء عليها. وفي أثناء حصاره لها، هاجم مظفر الدين كوكبوري بعض بلاد الموصل، حتى يضعف من شأن أتابكها، ويرغمه على رفع الحصار عن نصيبين (١).

لم يكتف نور الدين بانتزاع نصيبين من صاحب سنجار، بل سار إلى تل يعفر — وكان صاحبها وقتذاك — قطب الدين محمد — فحاصرها وضمها إلى حوزته، ثم عمل على ترتيب أمورها، وعاد إلى الموصل (٢).

رأى صاحب سنجار بعد هذه الاعتداءات التي تعرضت لها بلاده أن يستنجد بالملك الأشرف موسى بن الملك العادل — صاحب ديار الجزيرة وخلاط — الذي سار من حران، وانضم إليه أصحاب اربل وآمد والجزيرة (٣)، فضلا عن أخيه الملك الأوحد نجم الدين — صاحب ميافارقين — وقد سارت قوات الملك الأشرف وحلفائه نحو الموصل، والتقت بصاحبها نور الدين على مقربة من هذه المدينة في معركة حلت فيها الهزيمة به، وتفرق عسكره (٤)، ولم يكتف الملك الأشرف بهذا النصر الذي أحرزه، بل تابع زحفه حتى دخل الموصل، ثم ترددت الرسل بين الملك الأشرف ونور الدين صاحب الموصل في الصلح (٥). غير أن الملك الأشرف اشترط أن يعاد تل يعفر إلى قطب الدين - صاحب سنجار - (٦)

(١) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٢
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٠ هـ
ابن الأثير التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩٢
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ١٥٩
(٤) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ١٩٣
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ١٥٧ — ١٥٩
(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٠ هـ

فوافق نور الدين على ذلك وتم عقد الصلح بين الفريقين سنة(١) ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م).

امتدت أطماع الملك العادل أبو بكر بن أيوب - صاحب مصر ودمشق - إلى بلاد سنجار وجزيرة ابن عمر، فدارت مراسلات بينه وبين نور الدين قرا أرسلان - صاحب الموصل على تقسيم هذه البلاد بينهما، على أن تكون بلاد قطب الدين - صاحب سنجار - للملك العادل، وجزيرة ابن عمر لنور الدين، ولما عزم الملك العادل على تنفيذ هذا الاتفاق نزل بحران(٢)، حيث انضم إليه صاحب خلاط وميافارقين، وصاحب آمد وحصن كيفا وغيرهم من الأمراء، ثم زحف إلى سنجار سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٥ م) على رأس جيش كبير فرأى صاحبها قطب الدين أنه لا قبل له بمواجهة العادل وجنده ومن ثم أرسل إلى الملك العادل يعرض عليه أخذ سنجار، على أن يعوضه عنها، غير أن أهلها رفضوا هذا العوض (٣)، وأعدوا العدة لمقاومة الملك العادل الأيوبي الذى زحف إلى مدينتهم (٤)، وشرع فى حصارها مما اضطر صاحبها إلى الاستنجاد بالخليفة العباسى وأمراء البلاد المجاورة. واتفق مظفر الدين كوكبورى - صاحب أربل - ونور الدين أرسلان شاه - صاحب الموصل، وصاحب ماردين على رفع الحصار عن سنجار (٥)، كما أنفذ الخليفة العباسى رسلا إلى الملك العادل تطلب منه عدم التعرض(٦) لأتابك سنجار، وانتهى الأمر بأن رفع العادل الحصار عن سنجار، وخاصة بعد أن حدثت خلافات بين أمراء بنى أيوب فى بلاد الشام (٧).

---

(١) أبو الفداء: المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٨

(٢) أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين ج ٢ ص ٢٣٨

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٣٨

(٤) أبو الفداء: المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٨

(٥) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٦٨

(٦) سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، القسم الثانى ج ٨ ص ٥٤١

(٧) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٦٨

سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى ج ٨ ص ٥٤١

عهد الملك العادل قبل وفاته بلاد الجزيرة التى كانت فى حوزته إلى الملك الأشرف موسى . ولما ثار عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه على بدر الدين لؤلؤ ـ صاحب الموصل استعان بالملك الأشرف(١) ، ودخل فى طاعته سنة ٦١٥ﻫ (١٢١٨ م) ، كما أن محمود بن قطب الدين محمد ـ صاحب سنجار ـ عرض عليه أن يسلم إليه سنجار على أن يعوضه عنها بمدينة الرقة، فوافق الأشرف على ذلك سنة ٦١٧ ﻫ (١٢٢٠ م) . ثم عقد صلحاً مع صاحب ماردين ، على أن يعطيه رأس عين ، ويؤدى إليه ثلاثين ألف دينار (٢)

رأى مظفر الدين كوكبورى ـ صاحب أربل ـ أن الملك الأشرف موسى ازداد نفوذه حتى أصبح يهدد بلاده ، ومن ثم وجه سياسته إلى إضعاف شوكته ، فتحالف سنة ٦٢١ ﻫ (١٢٢٤ م) مع شهاب الدين غازى ـ صاحب خلاط ـ والملك المعظم عيسى ـ صاحب دمشق ـ وساروا نحو بلاد الملك الأشرف ، غير أن حليفى مظفر الدين ما لبثا أن توقفا عن مهاجمة بلاد الملك الأيوبى (٣) . أما مظفر الدين كوكبورى فإنه سار إلى الموصل ، وحاصرها ، لكن صاحبها بدر الدين لؤلؤ ، أحكم أمورها ، فاضطر مظفر الدين بعد أن إمتنعت عليه البلد إلى الرحيل عنها . لكنه لم يلبث أن عاد إلى مهاجمتها (٤) بعد أن اتفق مع بعض أمراء الجزيرة وديار بكر على قصد بلاد الأشرف ، غير أن الأشرف أحبط محاولته (٥) .

عول الملك الأشرف على الانتقام من الأمراء الذين تحالفوا مع صاحب

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٧ ﻫ

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٠٦

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٢١ ﻫ

(٤) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٤٠ — ١٤١

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٨٠

إربل فهاجم ماردين سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٨ م) وعاث جنده فيها تخريباً ونهباً كما حرض علاء الدين كيقباد ـ صاحب بلاد الروم السلاجقة ـ على المسير إلى بلاد الملك المسعود — صاحب آمد — مما حمله على أن يتعهد للملك الأشرف الأيوبي بعدم مخالفة أعدائه (١) .

على أن آمد لم تنج من أطماع ملوك الأيوبيين ، فزحف إليها الملك الكامل الثاني سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م) وحاصرها ، وانتزعها من صاحبها الملك المسعود بن محمود ، كما استولى على البلاد التي كانت تابعة له ، وضمها إلى حوزته (٢) .

ولما توفى الملك الكامل طمع بدر الدين لؤلؤ — صاحب الموصل في سنجار — وكانت تتبع الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل فهاجمها(٣) واستولى عليها سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م)(٤) كما امتلك جزيرة ابن عمر(٥) سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م).

---

(١) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٤٤

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ١٥٦ — ١٦٠

(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ١٧٠

(٤) حاصر بدر الدين لؤلؤ سنجار سنة ٦٣٥ هـ ، فاستنجد صاحبها الملك الصالح الأيوبي بالخوارزمية ، وبذل لهم حران والرها في مقابل نجدته فوقفوا إلى جانبه في صد غارات جند الموصل وهزيمتهم وفي سنة ٦٣٦ هـ اتفق الملك الصالح مع أخيه الجواد يونس ـ صاحب دمشق وأعمالها ـ على أن يحكم الملك الصالح دمشق بدلا من سنجار على حين يلي الجواد يونس حكم سنجار وعانه والرقة . ولما استقر الجواد يونس حكم سنجار ، عاد بدر الدين لؤلؤ إلى مهاجمتها ، والاستيلاء عليها

(أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٧٠ ، ١٧٢)

(٥) محمد علي عوني : تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي ص ١٦٤

مما تقدم يمكن القول أن علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بأمراء البلاد الإسلامية المجاورة ، تغيرت تبعاً لقوة الأتابكة وضعفهم ، فاستطاع الأتابكة إبان قوتهم بسط سيطرتهم على مساحات كبيرة فى شمال العراق وبلاد الشام ، فاتسع نفوذ نجم الدين ايلغازى — صاحب ماردين — ، فى ديار بكر ، وسيطر على بعض مدن الشام وبسط عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — سلطانه على شمال العراق ، وبعض مدن الشام . ولما ضعف شأن الأتابكة عجزوا عن صد هجمات بنى أيوب .

الباب الثالث

العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة

١ – مع البيزنطيين

٢ – مع الصليبيين

٣ – مع المغول

الباب الثالث

العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة

١ — مع البيزنطيين :

لم يقف البيزنطيون إلى جانب الصليبيين فى حروبهم مع أتابكة الموصل والجزيرة عندما بدأوا يوجهون حملاتهم إلى أطراف بلاد الشام والعراق لأنهم رفضوا تنفيذ الاتفاق الذى عقدوه معهم (١) ، والذى يقضى بأن يسلم الصليبيون البيزنطيين البلاد التى يستولون عليها على اعتبار أن هذه البلاد كانت ملكا للدولة البيزنطية قبل أن يستولى عليها المسلمون (٢) فلما استولى الصليبيون على أنطاكية سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨م) سار إليها كربوقا — أتابك الموصل — وسقمان بن أرتق — أمير ماردين — لاستعادتها (٣) ، وحاصر المسلمون أنطاكية ، وشددوا عليها الحصار حتى نفذت منها الأقوات (٤) ، فاستنجد الصليبيون بالامبراطور البيزنطى ألكسيوس كومنين ، لكن الامبراطور أعرض عنهم (٥) الأمر الذى شجع كربوقا على تشديد هجماته على أنطاكية (٦) ، وكادت المدينة تسقط فى أيدى المسلمين لولا الخلافات التى ظهرت بين قادتهم ، والتى شجعت الصليبيين المحاصرين بأنطاكية على هزيمتهم وتشتيت شملهم (٧) .

---

(١) Settan : A History of the Crusades. Vol. I p. 313-314

(٢) Runcimon : A History of the Crusades. Vol I p. 224

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٥

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩١ هـ

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٣٦

Runciman : A History of the Crusades. Vol. I p. 237

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٦

(٧) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٣٧

كذلك عمل الامبراطور الكسيوس كومنين على الاستفادة من الهزيمة التى ألحقها أتابك الموصل والجزيرة بالصليبيين فى موقعة حران سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٣م) ، فاسترد البلاد التى انتزعها منه الصليبيون فى الجنوب الشرقى لآسيا الصغرى (١) وأرسل أسطولا استعاد اللاذقية والبلاد الواقعة على الشاطىء بين اللاذقية وانطرطوس (٢) ، ولم يكتف الامبراطور البيزنطى بذلك ، بل أنفذ رسولا إلى السلطان السلجوقى سنة ٥٠٤ هـ (١١١١م) يعرض عليه عقد تحالف معه لمحاربة الصليبيين ، وطردهم من بلاد الشام (٣) .

على أن البيزنطيين عادوا إلى التحالف مع الصليبيين بعد أن تتابعت انتصارات عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — على الفرنجة فى بلاد الشام (٤) وفتح حصن بارين سنة ٥٣٢ هـ (١١٢٧م) (٥) الذى مكنه من بسط سيطرته على حماه وحمص - (٦) واعترف الأمير ريموندى بواتيه أمير أنطاكية - بالسيادة البيزنطية على إمارته (٧) ووافق البيزنطيون على الاشتراك مع الفرنجة فى إنفاذ حملة صليبية كبرى لتحطيم قوة عماد الدين زنكى فى بلاد الشام ، (٨) فى مقابل أن يتنازل ريموند عن أنطاكية للامبراطور

---

(١) Stevenson : The Crusadersin the East. pp. 78-79

(٢) Groussest : Histoire des Croisades. Vol. I d. 414

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ

(٤) يذكر ابن واصل أن رجال الدين الفرنجة قصدوا القسطنطينية ، واستنجدوا بالبيزنطيين على عماد الدين زنكى لأنه هاجم بارين ، وحذروا الروم من سقوط بارين فى أيدى أتابك الموصل ، وإبادة من فيها .

(مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٢٧٦)

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

(٦) Setton : A History of the Crusades. Vol. I. p. 439

(٧) Cambridge Medieval History. Vol. 4 p. 359

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦١

البيزنطى ، ويتخذ ريموند لنفسه إمارة تشمل حلب وشيزر وحماه وحمص بعد انتزاع هذه البلاد من المسلمين (١) .

أحاط البيزنطيون حملتهم على بلاد الشام بالسرية والكتمان ، (٢) فأرسل إمبراطورهم حنا كومنين إلى عماد الدين زنكى يؤكد له أنه لن يحاربه(٣) كما أن ريموند ألقى القبض على جماعة من التجار المسلمين ، وعلى المسافرين من أهل حلب (٤) حتى لا تتسرب أنباء الاستعدادات الصليبية إلى زنكى (٥) .

سار الامبراطور البيزنطى حنا كومنين إلى بلاد الشام(٦) سنة (٥٣٢هـ - ١١٣٧م) على رأس جيش كبير تسانده جيوش أنطاكية والرها (٦) ولما بلغت قوات الروم بزاعة - وهى على مقربة من حلب - حاصروها وشددوا عليها الحصار ، (٧) حتى اضطر أهلها إلى طلب الأمان من الإمبراطور البيزنطى (٨) ، فأجاب طلبهم ، غير أنه مالبث أن نكث بالعهد بعد استيلائه على البلدة ، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً(٩)

كان عماد الدين زنكى - أتابك الموصل - يحاصر حمص أثناء هجوم

---

(١) Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 p. 213

(٢) Vasiliev · A History of the Byzantine Empire. p. 416

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٧٨

(٥) Runciman . A History of the Crusades. Vol. 2 p. 215

(٦) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٨١ .

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٥

(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٧٨

(٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣
Runciman . A History of the Crusades. Vol. 2, p. 215

البيزنطيين على بزاعة ، (١) فخشى أهل حلب من مهاجمة البيزنطيين لهم ، فسار فريق منهم إلى عماد الدين زنكى ، وطلبوا منه النجدة . فسير معهم جنداً كثيرا ، ودخلوا حلب ليحولوا دون مهاجمة الروم لها (٢) . ولما أغار بعض فرسان الروم على حلب ، قاتلهم أهلها ، وقاتل عماد الدين زنكى قتالا شديداً ثلاثة أيام ، وأوقعوا بهم خسائر فادحة ، مما اضطرهم إلى الرحيل عنها والمسير إلى قلعة الأثارب (٣)

خشى أهل الأثارب بأس قوات الروم ، فهربوا منها ، مما أعان الروم على امتلاكها (٤) ، كما امتلكوا معرة النعمان وكفر طاب (٥) على أن سيف الدين سوار (٦) — نائب زنكى بحلب — لم يقف مكتوف اليدين حينما هاجم الروم الأثارب ، بل عول على استعادتها ، فسار إليها على رأس جيش كبير ، وحمل على الروم حملة مكنته من استعادة الأثارب (٧)

فارق عماد الدين زنكى حمص ، وزحف إلى سلميه — من أعمال حماه ثم عبر الفرات إلى الرقة ، ومنها أخذ يتتبع البيزنطيين ، ويقطع الطريق عنهم ، وكان ذلك مما حمل الروم على عدم التوسع فى الاستيلاء على البلاد الخاضعة لزنكى فى الشام ، فقصدوا قلعة شيزر ـ وضيقوا عليها الحصار

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٦٥

Setton: A History of the Crusades. Vol. I p. 439

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٧٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٥

(٥) يذكر ابن العديم أن سوارا كان فى خدمة بورى بن طغتكين ـ أتابك دمشق ـ وتركه ، ودخل فى خدمة عماد الدين زنكى ، فأقطعه إقطاعات كثيرة ، وولاه حلب وأعمالها ، واعتمد عليه فى قتال الفرنجة ، فظهرت شجاعته ومقدرته الحربية فى قتال الصليبيين (. زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٤٥)

Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 194

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٧٨

(٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٤

حتى يتيسر لهم السيطرة على أواسط وادى نهر العاصى ، ليحولوا دون تحقيق أطماع عماد الدين زنكى فى بسط سيطرته على المزيد من الأراضى الشامية (١)

استنجد سلطان بن منقذ — صاحب شيزر — بعماد الدين زنكى(٢) بعد أن أشرفت البلدة على الهلاك ، وقتل كثير من أهلها (٣) ، فاستجاب زنكى لطلبه ، ونزل على نهر العاصى بالقرب من شيزر ، (٤) وشرع فى مهاجمة الروم ، (٥) كما عمد إلى مد البلدة بالرجال والعتاد والمؤن ، (٦) ولم يكتف بذلك ، بل أرسل إلى الامبراطور البيزنطى يحذره من مغبة مواصلة القتال (٧) .

كذلك طلب عماد الدين زنكى من بنى أرتق فى ديار بكر معاونته فى محاربة الروم ، فسار داود بن أرتق إلى بلاد الشام على رأس جمع كبير من التركمان لقتال البيزنطيين (٨) سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) وخرجت عساكر

---

(١) Runciman : A history of the Crusades Vol. 2 p. 215

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٥

(٣) ابن الأثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٤

(٥) أسامة بن منقذ : الاعتبار ص ٨١

(٦) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨١ .

(٧) أرسل زنكى إلى الامبراطور يحذره ويقول : « إنكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فأنزلوا منها إلى الصحراء حتى نلتقى ، فان ظفرت بكم ، أراحت المسلمين منكم وإن ظفرتم بى استرحتم ، وأخذتم شيزر وغيرها » . ولقد كان لتحذير زنكى أثر بالغ على إمبراطور الروم حتى أنه رفض نصيحة الفرنجة له فى مواصلة القتال ، وقال لهم : « أتظنون أن له من العسكر إلا ما ترون ، إنما هو يريد أن تلقونه ، فيجيئه من نجدات المسلمين ما لا حد له .

(ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٥ — ٥٦
أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨١—٨٢)

(٨) ابن النديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٨

من دمشق نجدة لعماد الدين زنكى ، كما أنفذ أتابك الموصل رسولا من قبله إلى السلطان السلجوقى مسعود يستنجده ويحذره من التوانى عن نجدته ويبلغه أن الروم زاحفون إلى حلب ، (١) وإن امتلكوها عبروا الفرات قاصدين بغداد ، فاستجاب السلطان السلجوقى لطلبه ،(٢) وأعد عشرة آلاف فارس للمسير إلى بلاد الشام ، (٣) وفى نفس الوقت أرسل زنكى قوات للاغارة على آسيا الصغرى ليوجه اهتمام البيزنطيين إليها (٤)

على أن الامبراطور البيزنطى لم يواصل مهاجمة البلاد الخاضعة لزنكى لأن حليفيه أميرى أنطاكيه والرها ، انصرفا إلى تحقيق مآربهما الخاصة عن الوقوف إلى جانبه (٥) فضلا عن ظهور الخلاف بين أمراء الفرنجة ، وتجدد العداء بينهم وبين البيزنطيين فكان جوسلين الثانى — أمير الرها — يخشى من انتصار الفرنجة والبيزنطيين على المسلمين ، (٦) لاعتقاده أن ريمون سيحصل عقب النصر — بمقتضى الاتفاق بينه وبين البيزنطيين — على حلب وغيرها من البلاد الاسلامية (٧) وبذلك يصبح قريبا منه ، وهذا ما كان يحذر منه جوسلين (٨)

وقف زنكى على الخلافات بين الفرنجة والبيزنطيين ، فعمل على زيادة

---

(١) ابن واصل مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٨٠ — ٨١
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ
(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٦
ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٦ — ٥٧
(٤) Runciman : A history of the Crusades Vol. 2. p. 216-217
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٨٠ — ٨١
(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٨١
(٧) Runciman. A history of the Crusades. Vol. 2 p. 216
(٨) Setton : A hist. of the Crusades Vol. I p. 440
(٩) أسامه بن منقذ : الاعتبار ص ١٣ — ١٤ ، ٢١

الفرقة(١) بينهما، ولما رأى الامبراطور البيزنطي أن جهوده لن تكلل بالنجاح بسبب موقف الفرنجة منه، ومقاومة عماد الدين زنكي له، رحل عائدا إلى بلاده، فسار زنكي في أثره وقضى على كثير من قواته، وغنم مغانم كثيرة، وبذلك فشلت الحملة الصليبية على بلاد الشام في إضعاف نفوذ أتابك الموصل في هذه البلاد، بل اتسع سلطانه باستيلاء قـواته على كفرطاب والأثارب (٢).

لم يشترك البيزنطيون بعد ذلك مع الفرنجة في حرب ضد عماد الدين زنكي بسبب قيام الخلافات بينهما، ولما سقطت الرها في أيدي زنكي سنة ٥٢٩ هـ — (١١٤٤ م) عاد ريموند — أمير أنطاكية — إلى محالفة البيزنطيين ليقفوا إلى جانبه في وجه زنكي الذي أصبح يشكل خطراً كبيراً على إمارته (٣) فسار إلى القسطنطينية، وأعلن ولاءه للامبراطور البيزنطي مانويل كومنين، فعفا عنه، ووعده بمساعدته ضد عماد الدين زنكي (٤).

غير أن تحالف البيزنطيين مع الصليبيين لم يمكن الصليبيين من درء خطر القوات الاسلامية، فهزم نور الدين محمود، ريموند — أمير أنطاكية — وقتله سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م)(٥)، واستولى على معاقـل وحصون

---

(١) أرسل عماد الدين زنكي إلى الامبراطور البيزنطي يحذره بأن الفرنجة في الشام خائفون منه، فلو فارق مكانه، تخلفوا عنه، وبعث إلى الفرنجه يخوفهم من الامبراطور البيزنطي، ويقول لهم: إن إمبراطور الروم إن ملك حصنا واحدا في بلاد الشام ملك بلادكم جميعا. (ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٦

ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ١ ص ٨١ — ٨٢)

(٢) Setton ; A History of the Crusades. Vol. I. p. 441

(٣) Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 pp. 265-266

(٤) Grousset : Histoire des Croisades. Vol. pp. 228-229

(٥) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين جـ ١ ص ٥٧ — ٥٨

أنطاكية شرقى نهر العاصى(١) بينما وقع جوسلين الثانى — أمير تل باشر أسيرا فى أيدى المسلمين(٢) .

ولما عرض الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين على بتريس — زوجة جوسلين الثانى ، والوصية على إمارة الرها — شراء ما تبقى من البلاد التابعة لإمارة الرها ، وافقت على الفور ، واستولى الامبراطور على هذه البلاد سنة ٥٤٦ هـ (١١٥٠ م) (٣) على أن الامبراطور البيزنطى لم يستطع الاحتفاظ بها لبعدها عن مركز الامبراطورية البيزنطية ، وقربها من البلاد الاسلامية (٤) ، الأمر الذى شجع الأمراء المسلمين على انتزاع هذه الحصون من البيزنطيين ، فاستولى نجم الدين ألبى بن تمرتاش الأرتق — صاحب ماردين — على سميساط والبيرة سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) (٥) . أما نور الدين محمود ، وسلطان سلاجقة الروم ، فقد استوليا على بقية هذه البلاد(٦) .

لم يقف العداء بين أتابكة الموصل والجزيرة وبين البيزنطيين عند هذا الحد فقد انضم قطب الدين مودود — أتابك الموصل — وقرا أرسلان — صاحب حصن كيفا — ونجم الدين ألبى بن تمرتاش — صاحب ماردين — إلى نور الدين محمود فى حروب مع البيزنطيين والصليبيين عندما هاجم حارم سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) وقد انتهت هذه الحروب بانتصار نور الدين محمود وأتابكة الموصل والجزيرة على أعدائهم البيزنطيين والصليبيين (٧) .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٢١
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٦ هـ
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٢٣
(٣) Stevenson : The Crusadersin the East. p. 168
(٤) Setton : A History of the Crusaders Vol. I. p. 534
(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٥
(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٤٤
(٧) ابن الأثير التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٢٣

٢ – مع الصليبيين

قبل أن نتحدث عن دور الأتابكة فى قهر الصليبيين يجدر بنا أن نناقش أسباب الحروب الصليبية .

الحروب الصليبيه من الناحية النظرية تعتبر حربا مقدسة ، والغرض منها والدافع إليها تأمين طريق الحجاج المسيحيين إلى بيت المقدس والأراضى المقدسة المحيطة به ، والتى كان يمتلكها المسلمون ، ولقد استشار رجال الدين فى أوربا المسيحيين حول ضرورة تخليص الأرض المقدسة ، ورأوا أن ذلك أفضل سبيل يسعى إليه الانسان لتخليصه من الذنوب والخطايا التى اقترفها ومن وسائل طلب المغفرة من الله الوقوف فى الأراضى المقدسة التى وقف بها المسيح والرسل فى أمن وسلام . ورأت الكنيسة أن خير وسيله لتخليص بيت المقدس هو دفع أمراء الاقطاع إلى حمل السلاح والذود عن القدس بدلا من أن يحاربوا بعضهم بعضا ، وعلى ذلك يمكن اعتبار الحروب الصليبية إصلاحا للمحاربين من الناحيه الدينية ، وإذا كان من مبادىء الفروسية الأساسية الدفاع عن كل ماهو حق ، فإن الدعوة للحروب الصليبية دعوى لمهاجمة كل ماهو باطل ومنكر . وهذا الباطل من وجهة النظر البابوية — وجود بيت المقدس فى أيدى المسلمين . والفارس الذى يستجيب لنداء البابوية يشبع فى نفسه غريزة المقاتلة بمهاجمة بلاد الشرق ، والسعى إلى تخليص الأراضى المقدسة ، وفى الوقت نفسه يرضى الجانب الروحى من طبيعته وهو التماس الخلاص وغفران الذنوب .

والحروب الصليبية قامت لإنقاذ المسيحية من الأخطار التى يمكن أن تتعرض لها من السلاجقه الذين ازداد نفوذهم وقوى أمرهم وهددوا الدولة البيزنطية ، وأضعفوها بعد انتصارهم الرائع على البيزنطيين فى موقعة ملاذكرد ، مما دعا إلى استنجاد الأباطرة البيزنطيين بالبابوية لتخليص مافقدوه

من ممتلكاته فى آسيا الصغرى ، فأرسلت أوربا الحملة الصليبية الأولى . على أن الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين لم يكن يقصد من هذه الاستغاثة سوى استرداد مافقده من ممتلكات ، ولم يقصد حملة تتجه إلى بيت المقدس كما حدث فعلا إذ فوجىء بحملة تضم مئات الألوف من الأوربيين المسلحين يقودهم أمراء لايخضعون للامبراطور البيزنطى ، ووجهتهم الأولى تخليص بيت المقدس .

ويجب أن نشير هنا إلى أن الحروب الصليبية لم تحدث لأسباب دينية فقط ، بل لأسباب أخرى سياسية واقتصادية واجتماعية كذلك ، ومن هذه الأغراض مطامع الأمراء والنبلاء فى تكوين إمارات فى الشرق ، والحصول على منتجات الشرق ومتاجره بدون وساطة وبأثمان معقولة ، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بانشاء مستعمرات فى الشرق تكون مراكز تجارية هامه . ولقد حدثت مجاعات فى أوربا ، وساءت الأحوال الاقتصادية فى كثير من بلدانها الأمر الذى دفع الكثيرين إلى الاتجاه إلى الشرق ليحيا حياة أفضل . ولا يغيب عن الأذهان مقدار البؤس الذى كان يعيش فيه الفلاح فى أوربا فى العصور الوسطى فى ظل نظام الاقطاع ، ومدى الاستغلال الذى كان يعرض له من السيد الاقطاعى وإرهاقه بالضرائب . كل ذلك دفع الكثيرين منهم إلى البحث عن الخلاص من الجور الذى تردى فيه ، فكان الشرق وما عرف عنه من سعة فى الرزق ووفرة فى الخيرات خير ملاذ يلوذ به الفلاح الأوربى لتحسين معيشته .

بدأت الدعوة للحرب الصليبية فى مؤتمر كلير مونت فى جنوب فرنسا فى خطاب مشهور دعا فيه البابا أربان الثانى إلى مساعدة البيزنطيين ، وأشار إلى ما يحيط بالمسيحية من خطر داهم نتيجة تقدم الترك السلاجقه ، ودعا

الناس إلى المبادرة بمحاربة المسلمين ، فى حملة نظامية ، وذلك ضمان بقبول التوبة وغفران الزنوب .

ولقد أثار البابا بخطابه حماس المجتمعين فى أرجاء المجمع حتى أنهم هتفوا بعبارة « هكذا أراد الله » وأعقب ذلك مسارعة الألوف إلى حمل الصليب واتخاذه شارة لهم . وحدد خطة الحملة وموعد مسيرها ، وقرر بأن تكون القسطنطينية مكاناً يلتقى فيه الصليبيون .

ونلاحظ أن فكرة الحروب الصليبية قد نبتت فى أرض فرنسية ، ودعا إليها بابا من أصل فرنسى ، ولذلك اعتبرت الحروب الصليبية من الأعمال الفرنسية ، يضاف إلى ذلك أن المملكة التى أقامها الصليبيون فى الشرق كانت فرنسية فى نظامها وعاداتها وتقاليدها ، وكانت فرنسا مهد الفروسية الذى زود الجيوش الصليبية بخيرة الفرسان ، وفعلا حشدت فرنسا جيشا قويا يتقدمه أمراء الاقطاع ، وهم الذين كانوا على استعداد لأن يقوموا بمغامراتهم الحربية الجريئة ، ورأى الفرنسيون أن الحروب الصليبية فرصة للخروج من الأوضاع السيئة التى عانوها نتيجة الحروب والأوبئة والمجاعات ولعب النورمانويون دوراً هاماً فى الحروب الصليبية لأنهم يحبون التجوال والترحال ، ويتحمسون للدين وأهله ،لذلك كانوا حلفاء مخلصين للبابوية

الحملة الصليبية الأولى :

تشمل الحملة الصليبية الأولى حملتين ، يطلق على الأولى حملة الشعوب ، والأخرى يطلق عليهما حملة الأمراء . أما حملة الشعوب فهى أسبق فى قيامها من حملة الأمراء ذلك أن خطاب أربان الثانى فى كليرمونت كان، الزاد الذى تزود به المبشرون الذين جابوا البلاد يدعون للحروب الصليبية، وأشهر هؤلاء المبشرون بطرس الناسك الذى عرف عنه المقدرة على إثارة حماس الجماهير ، وهو قسيس فرنسى حاول تأدية فريضة الحج فيما مضى ،

غير أنه لم يتيسر له ذلك بسبب ما لقيه من الأتراك السلاجقة من سوء المعاملة ، فاضطر إلى العودة إلى بلاده ، واشتهر بطرس بأنه كان يسير حافى القدمين رث الثياب ، لا يأكل الخبز ولا اللحوم ، إنما يعيش على السمك وشرب النبيذ ، ولقد كان شديد التحمس للدعوة الصليبية ، واستطاع بشكله الأسطورى أن يؤثر تأثيرا بالغا فى العوام فى غرب أوربا(١) .

لم يشهد بطرس الناسك مجمع كلير مونت ، بل بدأ رحيله للدعوة الصليبية قبل انعقاد هذا المؤتمر ، وطاف على حماره الأعرج ببلاد أوربا مثل أورليان وشامبنى واللورين ، وانتهى به المطاف فى كولونيا على نهر الرين حيث أمضى عطلة عيد الميلاد ، ومن كولونيا بعث بتلاميذه ومريديه إلى الجهات التى لا يستطيع أن يزورها ، وأخذ بطرس يتنقل من جهة لأخرى راكبا حماره مبشرا بالحروب الصليبية ، فكثر جمعه حتى زاد أنصاره على خمسة عشر ألفا ، وهاجروا رجالا ونساء منازلهم وحقولهم ، وازداد عددهم بمن انضم اليهم من الألمان . فتكون من هؤلاء الفقراء خمس جموع ، قبل حلول الموعد الذى حدده البابا لاجتماع الجيوش الصليبية بالقسطنطينية وهو مايو ١٠٩٦ .

غير أن ثلاثة من هذه الجموع لم تصل إلى القسطنطينية ، إذ هلك أغلبها أثناء اجتيازهم بلاد المجر ، بسبب ما ارتكبوه من أعمال السلب والنهب أثناء سيرهم ، فتعرض لهم المجريون ، ومزقوهم شر ممزق ، أما الجمعان الآخران فقد وصلا إلى العاصمة البيزنطية فعلا ، وقاد أولهما والتر المفلس ، والثانى بطرس الناسك ، بعد أن فقد كثيرا من أنصاره بسبب اعتداءات البلغاريين عليهم . وقد أحسن الامبراطور البيزنطى معاملة أفراد الحملتين على الرغم مما ارتكبته هذه الجموع من تخريب وتدمير فى

---

(١) Grousset : Hist . des Croisades .1 . p. 5

البلاد الأوربية التابعة للامبراطور ، وعبرت هذه الجموع مضيق البوسفور في أغسطس ١٠٩٦ (١)

واشتبكت هذه الجموع الغفيره بالأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى وهزمهم السلاجقة ، وقتلوا منهم كثيرين. وقد حاول الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين إنقاذ هذه الحملة ، فأرسل عدداً من السفن ، وصلت بعد فوات الأوان ، وحملت الفلول المهزومة إلى القسطنطينية (٢) . وهكذا فشلت حملة العامة في تحقيق أهدافها .

حملة الأمراء .

حدث هذا وأمراء وفرسان أوربا يعدون العـدة للسير إلى الشرق وقسموا حملتهم إلى ثلاثة أقسام ، يقود كل فريق أمير من أمراء أوربا المعروفين بالشجاعة والفطنة ، وتولى جود فرى وأخوه بلدوين قيادة جيش اللورين ، وأخذوا طريقهم عبر المجر فالقسطنطينية فبلغوها في ديسمبر ١٠٩٦ م ٤٩٠ هـ . أما ريموند — أمير تولوز ، وأول من حمل الصليب من الأمراء — فقد قاد جيشه من البروفنسال وبلغوا القسطنطينية في ابريل سنة ١٠٩٧ م ٤٩١ هـ ، بينما سار بوهيموند مع ابن أخيه تانكرد على رأس النورمانديين بطريق البحر إلى القسطنطينية، فوصلوها في الوقت الذى بلغها فيه ريموند ، وبلغ القسطنطينية أمراء آخرون يقودون جيوشاً أوربية من بلدان مختلفة من القارة الأوربية ، غير أن دورها كان ثانويا إذا قيس بالدور البارز الذى قام به الأمراء الذين تحدثنا عنهم .

ومهما يكن من أمر فقد تجمع في القسطنطينية جيش كبير قدره بعض

---

(١) Runciman : A Hist. of the Crusades . 1 . p. 114

(٢) Grousset : Hist. des Croisades . I . P. 5

المؤرخين بأكثر من نصف مليون مقاتل من بينهم أكثر من مائة وخمسين ألف فارس من شجعان أوربا وأشدائهم (١).

وكانت تكتنف العلاقات الصليبية البيزنطية بعض الصعوبات ، فحينما وجد الامبراطور البيزنطى الكسيوس نفسه أمام جموع الصليبيين الضخمة كان عليه أن يواجه أحد أمرين ، إما يعتبر الأمراء حلفاء له ، وفى ذلك عليه أن يشترك مع هؤلاء الأمراء بجيشه ويحارب فى الشرق معهم ، ويقاسمهم مكاسب الحرب وغنائمها ، وإما يعتبرهم أتباعا له ، يقسمون له يمين الولاء والطاعة ويحاربون بأمر منه ، وكل الأراضى والمكاسب من الحروب تؤول للأمبراطور البيزنطى ، وقد تشبث الامبراطور بالفكرة الثانية ، وحمل الأمراء على أن يقسموا يمين الولاء والتبعية له ، واعتبر الأراضى التى تؤدى إلى بيت المقدس أراض بيزنطية انتزعها المسلمون ومن حقه استردادها بعد أن يفتحها الصليبيون (٢).

على كل حال عبر الصليبيون البسفور أوائل مايو ١٠٩٧ ـ ٤٩١ هـ إلى أملاك قلج أرسلان فى آسيا الصغرى ، وحاصروا نيقيه ـ عاصمة السلاجقة ـ وشددوا عليها الحصار حتى استولوا عليها ، وانضمت إلى الدولة البيزنطية ، بحجة أنها كانت ملكا لها من قبل ، لذلك ارتاب الصليبيون فى نوايا الامبراطور ، ووقفوا على مدى استغلاله لهم . على أن الصليبيين رغم ذلك واصلوا زحفهم فى آسيا الصغرى وهزموا كل من اعترض طريقهم من السلاجقة ، واستولوا على مدن آسيا الصغرى

بلدوين والرها :

استطاع الأمير بلدوين أن يحرز تقدما كبيرا ، وأن يستولى على كثير من المواقع والمدن والقلاع فى شمال الجزيرة . وذلك بفضل مساعدة العنصر الأرمنى الذى كانت له السيادة فى تلك الجهات ، والذى نظر إلى تقدم

(١) Runciman : A Hist. of the Crusades. I. p. 163

(٢) IBID p. 47

الصليبيين بعين الرضا للتخلص من حكم الأتراك المسلمين . لذلك استولى بسهولة على تل باشر بمؤازرة الأرمن الذين ثاروا ضد الحاميات التركية الضعيفة . وفى غضون ذلك كان ثوروس — حاكم الرها — قد سمع بنجاح الصليبيين فى الاستيلاء على تل باشر من السلاجقة . فأرسل إلى بلدوين يدعوه للحضور إلى الرها للوقوف إلى جانبه ، وكان ثوروس رجلا مسنا ، ليس له ولد يرثه فى إمارته ، فخشى أن تضيع الرها من يد المسيحيين ، ويستولى عليها الأتراك المسلمون ، وزاد من مخاوف ثوروس أن كربوقا — صاحب الموصل — كان يعد عندئذ جيشا كبيرا لانقاذ أنطاكية من الخطر الصليبي ، مما جعل ثوروس يتخوف من أن يكتسح ذلك الجيش — وهو فى طريقه إلى الشام — الرها وغيرها من الأمارات الأرمنية[١] .

ووافق بلدوين على نجدة ثوروس ، فشد رحاله إلى الرها سنة ١٠٩٨م على رأس عدد قليل من الفرسان ، وتمكنت فرقة بلدوين من تثبيت أقدام ثوروس فى الرها ، ومن حمايتها من أعدائها الأتراك فى سميساط ، ولم يكتف ثوروس بحماية بلدوين لامارته ، بل أعلن تبنيه له حتى يخلفه فى حكم الاماره ، ولم يبق ثوروس طويلا على قيد الحياة بعد هذا ، إذا لقى مصرعه فى ثورة أشعل نارها الأرمن ، فخلفه بلدوين فى حكم الرها : وهذه أول إمارة صليبية فى الشرق ، قامت أثناء الحملة الصليبية المعروفة بالأولى ، أميرها بلدوين البولونى .

وللرها مكانة كبيرة فى العالم المسيحى ، إذ كانت أولى البلاد التى عاشت فيها جالية مسيحية كبيرة ، وترجمت فيها أجزاء من الانجيل باللغة السريانية فى القرن الثانى للميلاد . واستفاد الصليبيون من سيطرتهم على الرها ، لأنها مركز دفاعى ممتاز يحمى ممتلكات الصليبيين فى الشام من هجمات المسلمين التى قد يشنونها من الشرق[٢] .

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١٨٣
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٨٤

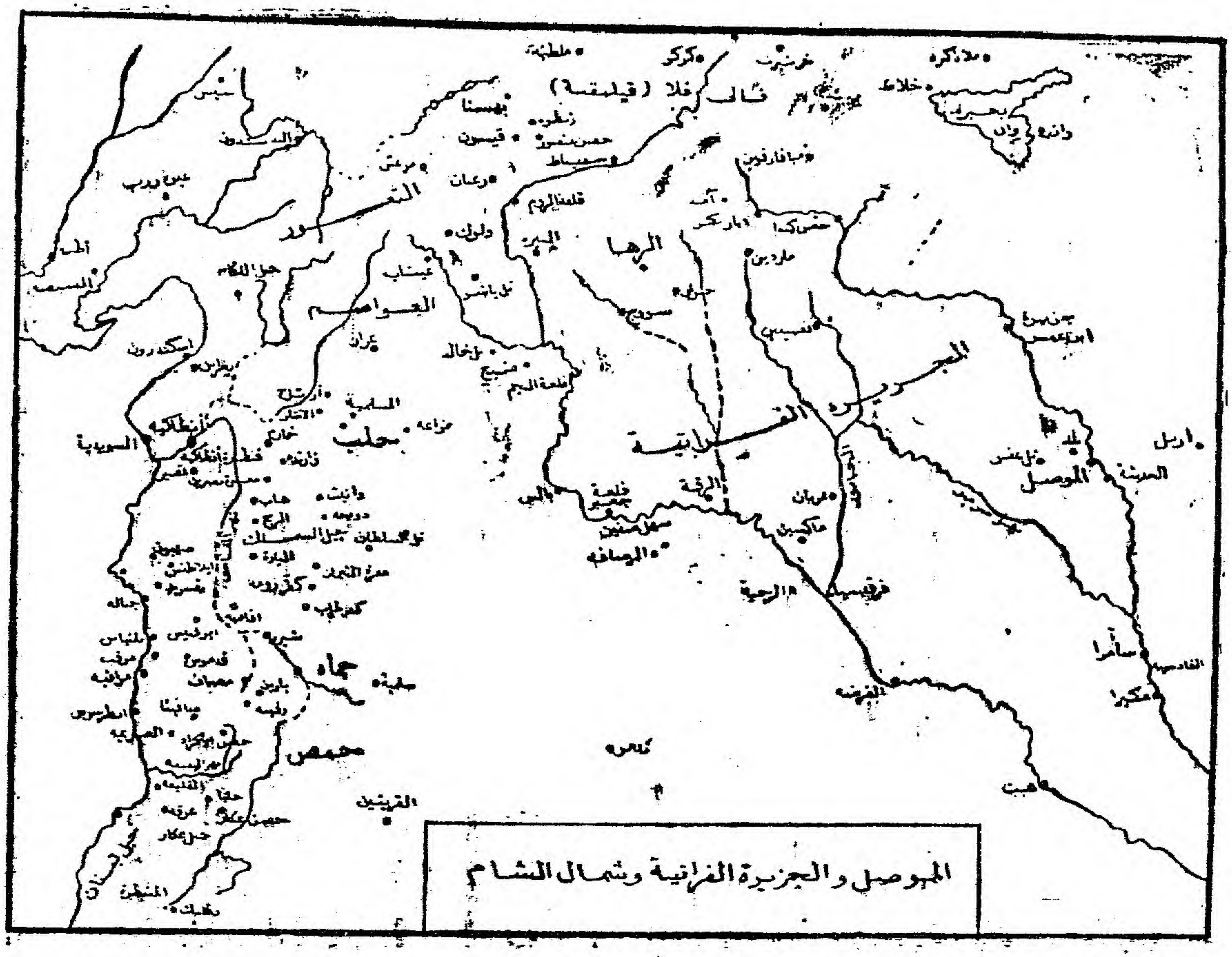
الموصل والجزيرة الفراتية وشمال الشام
حلب
حماة
حمص
الموصل
الرها
العواصم
سامرا
الرقة
قرقيسيا
الرحبة
انطاكية

عول بلدوين على توسيع رقعة إمارته ، فبسط سيطرته على سميساط التى كان وقوعها على الضفة المقابلة للفرات يشكل خطرا على الرها ، ولم يكتف بالاستيلاء على سميساط ، بل زحف إلى سروج على بداية الطريق الموصل إلى حلب ، وبذلك أمن بلدوين إمارته الجديدة ، وكفل لها الحماية والطمأنينة ، فضلا عن زيادة ممتلكاتها .

اتجه الصليبيون إلى انطاكية ، وحاصروها فى ٤٩١ هـ وظل هذا الحصار قائما حتى سقطت المدينة فى أيدى الصليبيين ، وكان بوهيموند الذى تمكن من الاستيلاء على أنطاكية قد أحبط جميع المحاولات التى قام بها دقاق ورضوان لانقاذ المدينة ، ولما سمع ياغى سيان بقوه بأس الصليبيين ، أمر أهل أنطاكية من المسلمين بالخروج منها لأنه خشى عليهم من أعدائهم وأمرهم بحفر خندق . ودافع عن المدينة التى ظلت محاصرة تسعة أشهر وظهر من شجاعه ياغى سيان وجودة رأيه وحزمه واحتياطه مالم يشاهد من غيره ، وشدد هجماته على الصليبيين حتى أفنى الكثير منهم ، ولم يستطع الصليبيون الاستيلاء على انطاكية إلا بخيانة فيروز الأرمنى مستحفظ القلعة فقد تواطأ مع الصليبيين ويسر لهم عملية الإستيلاء على أنطاكية ، وكانت الامدادات تصل الصليبيين من البحر المتوسط على السفن الايطالية ، ولكن الصليبيين ما كادوا يستولون على أنطاكية حتى هاجمتهم قوات كربوقا — أمير الموصل — وقاسى الصليبيون من ضغط هذه القوات الويلات والبؤس على أن الصليبيين قد شددوا هجماتهم على القوات الإسلامية حتى طردوهم نهائيا من المدينة ، وأتموا سيطرتهم عليها .

سار ريموند إلى بيت المقدس تاركا أنطاكية فى يد بوهيموند ، وأضاع وقتا طويلا فى الاستيلاء عل المدن التى فى طريقه ، وتجنب الصليبيون مهاجمة المدن الساحلية حتى لا يفقدوا قوتهم قبل تحقيق هدفهم المنشود وهو

(١) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٤٩١ﻫ

الاستيلاء على بيت المقدس ، واكتفوا بحصولهم من أصحابها على ضمانات عدم الاعتداء عليهم أو التعرض لهم ، والتعهد بتقديم المؤن لهم . وأخيرا وصل الجيش الصليبي إلى بيت المقدس في يونيو سنة ٤٩٢ هـ ١٠٩٩ م .

كان بيت المقدس لتاج الدولة تتش وأقطعه للأمير سقمان بن أرتق التركماني فظفر الفرنج بالأتراك في أنطاكيه وقتلوا منهم كثيرا ، فلما رأى الفاطميون ضعف الأتراك السلاجقة ساروا إلى القدس بقيادة الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي ، وحاصروا القدس ، وامتلكوها بالأمان سنة ٤٩٠ هـ ، وأحسن الأفضل إلى حاكم القدس سقمان ، وأجزل له العطاء هو ورفاقه ، وسيرهم إلى دمشق ، وبذلك انضمت القدس إلى الدولة الفاطمية ، وعمد الفاطميون إلى افتخار الدولة بحكم المدينة الكبرى .(١) .

قدم الصليبيون إلى القدس وحاصروها نيفا وأربعين يوما نصبوا عليها برجين أحدهما من ناحية صهيون ، أحرقه المسلمون ، وقتلوا كل من به فلما فرغوا من احراقه ، كان الصليبيون قد امتلكوا البلدة من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال ، وأعمل الصليبيون السيف في رقاب أهل المدينة ، ومكثوا أسبوعا يقتلون فيه المسلمين ، واحتمى جماعه من المسلمين بمحراب داود « فاعتصموا به ، وقاتلوا فيه ثلاثة أيام ، فبذل لهم الصليبيون الأمان . فسلموه إليهم ، وخرجوا ليلا إلى عسقلان ، وأقام الصليبيون في المسجد الأقصى مذبحة مروعة قتلوا فيها على حسب تقدير ابن الأثير ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان ، وجاور بذلك الموضع الشريف ، واستولوا على الأموال والتحف والنفائس التي وجدوها في القدس ، وعبثا حاول أهل القدس الذين غادروها الاستنجاد بالقوى الاسلامية لانقاذ

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٤٥

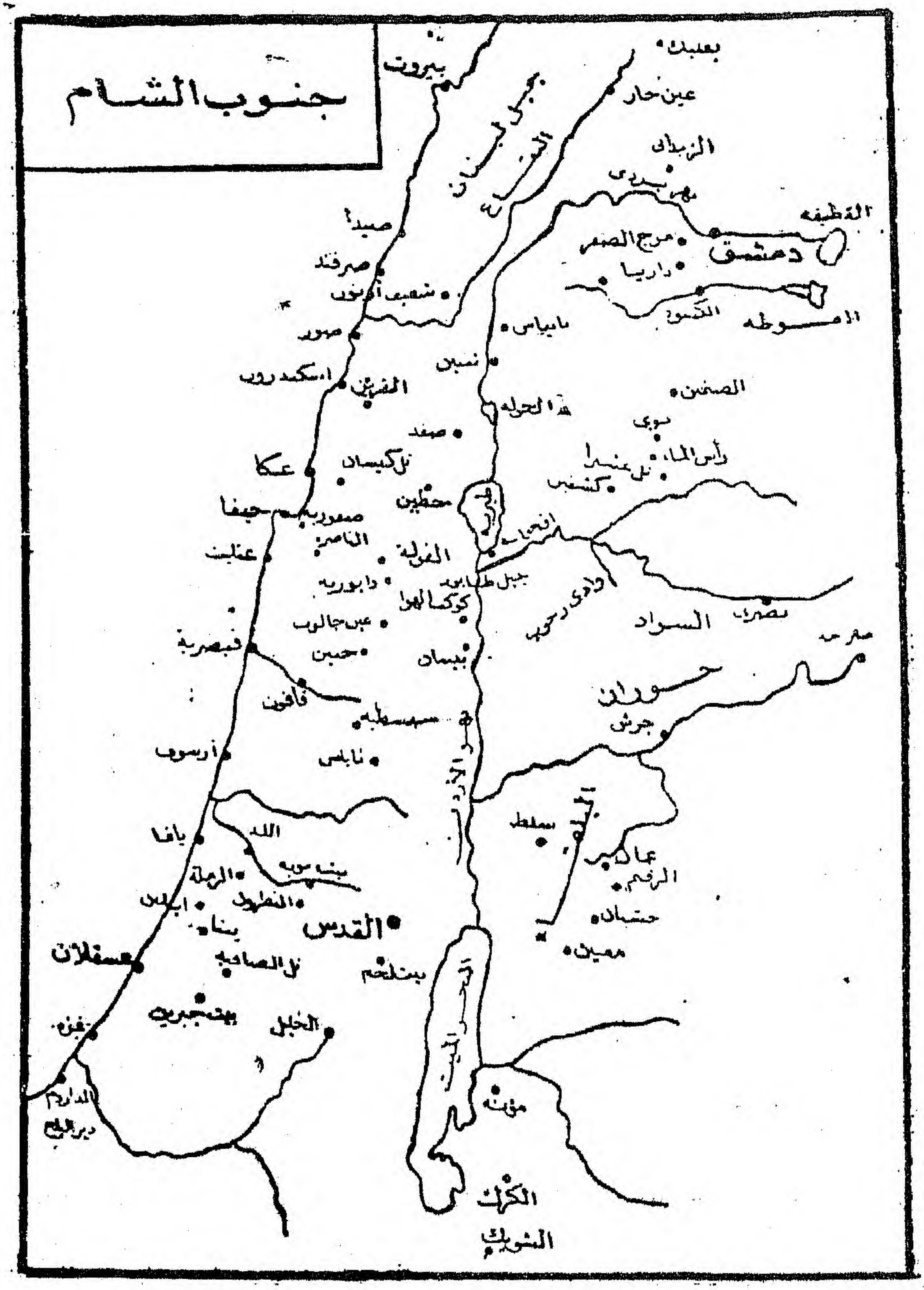

جنوب الشام
بيروت
بعلبك
الزبداني
نهر بردى
القطيفة
دمشق
مرج الصفر
داريا
صيدا
صرفند
صور
بانياس
الصنمين
نوى
صفد
عكا
حيفا
حطين
الناصرة
عثليث
عين جالوت
بيسان
قيسارية
جنين
قاقون
سبسطية
نابلس
أرسوف
يافا
اللد
الرملة
القدس
عسقلان
بيت لحم
الخليل
بيت جبرين
الداروم
الكرك
الشوبك
حوران
السواد
بصرى
جرش
السلط
حسبان
معين

مدينتهم ، من ذلك أن وفدا منهم قصد بغداد ، وتكلموا كلاما أبكى العيون وأوجع القلوب ، واستغاثوا بالناس فى صلاة الجمعة وبكوا وأبكوا وذكروا مادهم المسلمين من ذلك الشر وما تخلله من قتل الرجال وسبى الحريم والأولاد ونهب الأموال (١).

وبذلك حققت الحملة الصليبية الأولى أهدافها باستيلائها على بيت المقدس واختار الصليبيون جود فرى حاكما على بيت المقدس لما اشتهر به من التقوى والورع ، وتوج ملكا فى بيت المقدس ، واتخذ لنفسه لقب حامى القبر المقدس ، وكان على جود فرى أن يدافع عن كل محاولة تبذل لاسترداد مدينة القدس ففى سنة ٤٩٢هـ لما علم الفاطميون فى مصر تباستيلاء الصليبيين على القدس جمع الوزير الفاطمى الأفضل أمير الجيوش العساكر ، وسار إلى عسقلان ، وأرسل إلى الصليبيين ينكر عليهم جريمتهم ، ويتهددهم ، فأعادوا الرسول بالجواب ، وراحوا على أثره ، وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ، وباغتوا المصريين ، ولم يكونوا على أهبة للقتال فركبوا خيولهم ولبسوا أسلحتهم ، لكن الصليبيين هاجموهم فهزموهم ، وقتلوا منهم كثيرين ، وغنموا ما فى العسكر من مال وسلاح ، وانهزم الأفضل ، وعاد بخواصه إلى مصر ، ونازل الصليبيون عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها إتاوة مالية كبيرة .(٢)

وبعد أن توفى جود فرى خلفه فى حكم مملكة بيت المقدس التى ضمت يافا وحيفا والرملة — بلدوين الأول أمير الرها والمؤسس الحقيقى لمملكة بيت المقدس وقد اتسعت المملكة الجديدة فى عهده بأن ضم اليها أرسوف وقيصرية وعكا وصيدا وبيروت ، وقد ساعد انضمام هذه المدن على تأمين وصول الأساطيل الايطالية محملة بالمؤن والامدادات للصليبيين .

لما أيقن الفرنجة فى بلاد الشام أنهم فى مأمن من الدولة البيزنطية

---

(١) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٤٩٢ هـ

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص١٣٧

عولوا على التوسع فى البلاد الإسلامية . فشنوا عدة غارات على حلب وأعمالها (١) منتهزين فرصة انشغال الأمراء المسلمين وجندهم بقتال بعضهم بعضا فضلا عن تفرق كلمتهم (٢) ، فقضى الفرنجة على كثير من سكان حلب ، وفرضوا عليهم مبالغ كبيرة من المال ليتقوا أذاهم (٣) . كما اعتزم جوسلين — أمير تل باشر — وبوهيموند — صاحب أنطاكية — الاستيلاء على حران — التى تقع بين الرها ونهر الفرات ليقطعوا ما بين المسلمين فى الشام واخوانهم فى العراق وفارس من صلات (٤) .

نهض الأميران سقمان بن أرتق — صاحب ماردين — وجكرمش — أتابك الموصل — للذود عن بلادهما ، فتناسيا ما بينهما من خلافات ، وأرسل كل منهما إلى صاحبه يدعوه للتشاور معه فى جهاد الفرنجة ، فاجتمعا فى الخابور ومعهما عشرة آلاف جندى من العرب والأكراد والتركمان (٥) وهاجما الرها ، فانضم بلدوين دى بورج — أمير الرها — إلى جوسلين — صاحب تل باشر — وبوهيموند — أمير أنطاكية — وهاجموا حران (٦) حتى تنصرف القوات الاسلامية عن مهاجمة الرها ولكن المسلمين لم يمكنوهم منها ، إذ اشتبكوا معهم فى معركة حاسمة سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) دارت فيها الدائرة على الصليبيين (٧) ، وغنم التركمان كثيرا من الغنائم (٨) . بل وقع بلدوين دى بورج — أمير الرها — أسيرا وكذلك جوسلين ،

---

(١) Grousset : Hisforie des Croisades. Vol. 1. P. 401

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٤٥ — ١٤٦

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٧ هـ

(٤) Runciman: A History of the Crusades Vol . 2 P. 40

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٤٨

(٦) Setton : A History of the Crusades . Vol . 1 P. 389

(٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٧ هـ

(٨) Runciman : A History of the Crusades . Vol . 2 P. 43

أما بوهمند وجنده ، فعادوا إلى انطاكية لا يلوون على شيء واتجه سقمان إلى ديار بكر ، واستولى وهو فى طريقه إليها على عدة حصون للفرنجة ، أما جكرمش ، فسار إلى حران وفتحها (١) .

على أن ايلغازى بن أرتق — الذى ولى ماردين بعد وفاة سقمان — أطلق سراح جوسلين مقابل الحصول على مبلغ قدره عشرون ألف دينار (٢)، ثم سعى جوسلين إلى أطلاق سراح بلدوين بفدية قدرها ثلاثين ألف دينار (٣) .

كان لموقعة حران أهمية كبيرة ، إذ أوقفت توسع الصليبيين نحو الشرق على حساب المسلمين ، كما أدت إلى تأمين مدينة حلب بصفة خاصة وسورية الشمالية من خطر الفرنجه ، بل أثبتت أن الصليبيين لا يستطيعون قطع الصلة بين القوى الإسلامية فى العراق والشام وآسيا الصغرى (٤) .

على أن الفرنجة لم يكفوا عن الزحف على المدن الاسلامية فى الشام ، فاغاروا سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٤ م) على طرابلس، فاستنجد فخر الملك عمار — صاحبها بسقمان بن أرتق — أمير ماردين — فاستجاب (٥) له ، وتوجه إلى طرابلس ، غير أنه توفى وهو فى طريقه إليها ، وضم الفرنجة طرابلس إلى حوزتهم سنة ٥٠٣ هـ (١١٠٩ م) (٦) .

ولما ولى محمد بن ملكشاه السلطنة السلجوقية عول على قتال الفرنجة (٧)

---

(١) ibid .

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٣٣

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٤٨

(٤) Stevensson: The Crussaders in Thé East. 78

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٨ هـ

(٦) نفس المصدر حوادث سنة ٥٠٣ هـ

(٧) Runciman: A History of the Crusadas .Vol .2 PP. 114-115

فأنفذ جيشا كبيرا يتكون من جند الموصل بقيادة أتابكها[١] مودود ، وجند التركمان تحت امرة ايلغازى بن أرتق — صاحب ماردين — وجند من خلاط وميا فارقين ، وطلب اليهم الاستيلاء على الرها[٢] .

زحفت قوات الموصل والجزيرة إلى الرها سنة ٥٠٤ هـ — ١١١٠ م ، فاستنجد بلدوين دى بورج — صاحبها — ببلدوين الأول — ملك بيت المقدس — فخرج لنجدته وأنضم اليه الأمراء الصليبيون فى بلاد الشام[٣] ، غير أن الفرنجة تفرق شملهم إذ وصل إلى تانكرد — أمير أنطاكية — أن رضوان — أمير حلب — غزا امارته[٤] ، كما أن بلدوين الأول — ملك بيت المقدس — عاد إلى مملكته بعد أن بلغه أن الفاطميين ازدادت هجماتهم عليها[٥] .

ولما اشتدت هجمات قوات الموصل والجزيرة على امارة الرها ، وعجز أميرها عن حماية بلاده الواقعة شرقى الفرات ، أمر السكان المسيحيين بأن يغادروا هذه البلاد ، فرحلوا إلى البلاد الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات لأنها أكثر أمنا . ولما شرع هؤلاء السكان فى المسير إلى تلك البلاد التى اتخذوها موطنا لهم ، باغتهم مودود — أتابك الموصل — ونكل بهم[٦].

استقر رأى تانكرد — أمير أنطاكية — بعد عودة جند الموصل والجزيرة إلى بلادهم — على الانتقام من رضوان — أمير حلب —[٧] الذى

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٩

(٢) Runciman : A History of the Crusades . Vol .2 P. 115

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٠

(٤) Runciman : AHistory of the Crusades . Vol 2 p.116

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .

(٦) Run ci mcan A History of the Crusades. Vol 2.PP 117,- 118

(٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣

هاجم بلاده ، فأغار على حلب ، وأخذ يشدد الحصار على حصن الاثارب (١) حتى يتيسر له الاستيلاء عليه (٢) ، ثم قصد حصن زردنا ، وأمتلكه سنة ٥٠٤ هـ — (١١١٠ م (٣)) ولما بلغ ذلك أهل منبج وبالس غادروا بلديهما مما أتاح للفرنجة الفرصة لدخول هذين البلدين ، لكنهم سرعان مارحلوا عنها ، وساروا إلى صيدا ، واستولوا عليها (٤) ، الأمر الذى أدى إلى اثارة المسلمين ، وتخوفهم من اقدام الفرنجة على الاستيلاء على سائر بلاد الشام (٥) فسار جماعة من أهل حلب إلى بغداد لتحريض أهلها على الفرنجة (٦) .

وذكر ابن الأثير (٧) أنه قبل وصول وفد حلب إلى بغداد أرسل الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين — وكان فى خلاف مع الفرنجة — إلى السلطان السلجوقى فى بغداد يستفزه على الفرنجة ، ويحثه على قتالهم ، ولما علم بذلك أهل بغداد صاحوا فى السلطان : « أما تتق الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للاسلام ، حتى أنه أرسل اليك فى جهادهم . عندئذ لم يتردد السلطان السلجوقى فى انفاذ عساكر الموصل والجزيرة إلى بلاد الشام لصد الفرنجة عنها (٨) .

اجتمعت قوات كبيرة من الموصل والجزيرة بقيادة مودود — أتابك الموصل — وإيازبن ايلغازى بن أرتق (٩) ، وسارت نحو سنجار ،

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٨ :

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٥٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ .

Grousset: Histoire des Croisades. Vol . I p. 460

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٥٨ .

Runciman: A History of the Crusades. Vol. 2 p. 121

(٧) ابن الأثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .

(٨) ابن القلانسى . ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣ .

(٩) Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 p. 121

فاستولت على بعض حصون الفرنجة القريبة منها سنة ٥٠٥هـ (١١١١م[١])، ثم حاصر جند الموصل والجزيرة مدينة الرها ، غير أنهم مالبثوا أن اضطروا إلى التقهقر عنها إلى حران لحمل الفرنجة على تعقبهم[٢] ، لكن الفرنجة فطنوا إلى خدعة قواد المسلمين ولم يتبعوا قواتهم بل عمدوا إلى تحصين مدينة الرها ، وتزويدها بالجند والعتاد والمؤن حتى تستطيع الصمود ضد هجمات قوات الموصل والجزيرة[٣] .

ولما عاد مودود وأياز بن ايلغازى إلى الرها حاصراها ، فاستعصت على قواتهم[٤] ، مما اضطرهم إلى الرحيل عنها ، فقصدوا تل باشر[٥] ، وحاصروها خمسة وأربعين يوما ، وكادت تسقط فى أيديهم لولا أن جوسلين الثانى — صاحب تل باشر — اتصل بأحد قواد القوات الإسلامية الأكراد ، واتفق معه على رفع الحصار عن تل باشر مقابل مبلغ من المال[٦] ، وفى نفس الوقت اتصل رضوان — صاحب حلب — بمودود — أتابك الموصل — يستنجده على الفرنجة — الذين زادت غاراتهم على حلب[٧] وهكذا أتيحت الفرصة للقائد الكردى ليقنع مودود برفع الحصار عن تل باشر ، والمسير إلى حلب[٨] . غير أن القوات الإسلامية التى اتجهت اليها مالبث أن هاجمها جوسلين[٩] — ولما اقتربت قوات الموصل والجزيرة

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٥٩

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥ .

Setton : A History of the Crusades Vol.1 P. 399

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٥٩

(٧) Runciman: A History of the Crusades Vol .2p. 122

(٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٧

Setton: A History of the Crusades Vol , I p. 406

(٩) ابن الأثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

Runciman: A History of the Crusades Vol 2 P. 122

من حلب أدرك أميرها رضوان أن تلك القوات وهؤلاء الأمراء الذين يتولون قيادتها يشكلون خطراً عليه وعلى سلطانه (١)، ومن ثم لم يخرج لاستقبال مودود وحلفائه، بل أغلق أبواب حلب فى وجوههم (٢).

لم يكف مودود — أتابك الموصل — عن مواصلة جهاد الفرنجة، فسار على رأس قوات الموصل والجزيرة إلى معرة النعمان لاسترداد النواحى التى استولى عليها تانكرد — صاحب أنطاكية — وانضم اليه طغتكين — أتابك دمشق (٣) — لكن حدثت خلافات بين الأمراء المشتركين فى حملة مودود وبين أتابك دمشق الذى طلب منهم المسير إلى طرابلس والاستيلاء عليها (٤)، فأبوا إجابة طلبه لأنهم رأوا فى ذلك مخاطرة لا يستفيد منها إلا هو (٥)، كما أن — أتابك دمشق — رفض التعاون مع هؤلاء الأمراء (٦). وتوجس منهم خيفة حين علم أن بعضهم يزمع التآمر عليه بغية انتزاع دمشق بل شرع فى مهادنة الفرنجة سراً (٧)، وسرعان ما تفرق الأمراء المسلمون ولم يبق مع مودود سوى أياز بن ايلغازى وطغتكين فاتجهوا إلى نهر العاصى (٨).

لما علم الفرنجة بتفوق القوات الإسلامية، عولوا على استغلال هذه الفرصة لتحقيق مطامعهم، فساروا إلى فامية بقيادة بلدوين الأول — ملك بيت المقدس وبلدوين دى بورج — أمير الرها، وجوسلين — صاحب

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٧

Grousset: Histoire des Croisades Vol. I. p. 465.

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٥٩

Setton: A History of the Crusades Vol. I, p.400

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٤ — ١٧٥

(٥) Setton: A History of the Crusades Vol. I P. 400

(٦) لم يكن مودود بين هؤلاء الأمراء إذ كان متحالفاً مع طغتكين.

(٧) Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 p. 126

(٨) ابن الأثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

تل باشر — وبرترام — أمير طرابلس (١) — عند ما اقتربوا من شيزر ، استنجد صاحبها — سلطان بن منقذ — بمودود فاستجاب له ، وسار إلى شيزر ، واشتبكت قواته مع قوات الفرنجة (٢) فى معركة دارت فيها الدائرة على الصليبيين (٣) .

ظل مودود — أتابك الموصل — يعمل على الاستيلاء على الأمارات الصليبية فى بلاد الشام ، على الرغم مما واجهه من صعوبات فى سبيل تحقيق غايته ، فقصد الرها سنة ٥٠٦ هـ — (١١١٢ م) منتهزا فرصة اتصال سكانها الأرمن (٤) — المقيمين فيها — به . وتشجيعه على المسير اليهم لكراهتهم بلدرين دى بورج — أمير الرها — ولما سار مودود إلى هذه المدينة أبقى فيها فريقا من جنده لمحاصرتها . بينما توجه إلى سروج — على اعتبار أنها المركز الثانى للصليبيين شرقى الفرات — وحاصرها ، غير أن حاكم الرها فطن إلى تآمر الأرمن عليه ، فأنزل بهم عقابا صارما (٥) . أما جوسلين — صاحب تل باشر — باغت عسكر الموصل ، ويبدو أن صاحب الموصل لم يأخذ حذره من الفرنجه . وفى ذلك يقول ابن الأثير (٦) :

« ولم يحذر منهم ، فلم يشعر الا وجوسلين — صاحب تل باشر — قد كبسهم » :

. عاد أتابك الموصل والجزيرة إلى مهاجمة الأمارات الصليبية فى بلاد الشام ، حين توالت غارات بلدوين الأول — ملك بيت المقدس —

---

(١) Runciman : A History ofthe Crusades Vol . 2 P. 123

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٧

(٣) Setton : A History of the Crusades. Vol 1 P. 400

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٦ هـ

(٥) Setton: A History of the Crusades. Vol. I . P. 401

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٦ هـ

على دمشق (١) ، فأعد مودود حملة اشترك فيها اياز بن يلغازى ، وبعض امراء الجزيرة وساروا إلى بلاد الشام (٢) حيث التقوا بطغتكين — أتابك دمشق — عند سلمية — من أعمال حماه — وعمدت القوات الاسلامية إلى استدراج قوات الصليبيين إلى نواحى دمشق ، واشتبكوا معهم فى معركة لقى فيها الصليبيون هزيمة فادحة سنة ٥٠٧ هـ — (١١١٣ م (٣)

أخذت القوات الاسلامية بعد ذلك النصر الذى أحرزته على الصليبيين تتابع اغارتها على بلاد الفرنجة بين عكا وبيت المقدس ولم يفلح الفرنجة فى صد هجمات المسلمين (٤) ، بل تحصنوا فى الاستحكامات والحصون دون أن يتمكنوا من مغادرتها (٥) . ثم أذن مودود لقواته بالعودة إلى العراق ، والبقاء هناك حتى الربيع ، وسار مع بعض خواصه إلى دمشق (٦) حيث قتله الاسماعيليون بايعاز من طغتكين — أتابك دمشق — ويذكر ابن الأثير (٧) أن طغتكين عمل على التخلص من مودود ، إذ رآه خطرا يهدد حكمه فى دمشق ، ولما خشى من انتقام السلطان السلجوقى عقد هدنة مع بلدوين الأول — ملك بيت المقدس — سنة ٥٠٨ هـ — (١١١٤ م) ثم تحالف مع الفرنجة فى العام التالى (٨) .

تخلص الفرنجة بوفاة مودود من أقوى أعدائهم كما تحطمت جهود السلاجقة الرامية إلى تكوين جبهة اسلامية متحدة تقف فى وجه الصليبيين (٩) .

---

(١) Setton: A History of the Crusades Vol I. P. 402

(٢) Runciman: A History of the Crusades: Vol. 2 P. 126

(٣) Grousset: Histoire des Croisades Vol. 1. P. 484

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٧ هـ

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٤ — ١٨٥

(٦) Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 P. 127

(٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٧ هـ

(٨) Setton: A History of the Crusades Vol. 1. P. 403

(٩) Ibid.

١٠ — بلاد الجزيرة

على أن السلطان محمد واصل سياسته فى العمل على استئناف الجهاد ضد الفرنجة : فأسند أتابكية الموصل إلى آقسنقر البرسق [١] ، وأمره بقتال الصليبيين فأعد جيشاً كبيراً انضم إليه صاحب ماردين وعماد الدين زنكى ، وبعض أمراء الجزيرة [٢] ، وهاجمت القوات الإسلامية الرها وسروج وسميساط سنة ٥٠٨ هـ — [٣] (١١١٤ م) .

حالت الخلافات التى ظهرت بين أتابكيه الموصل والجزيرة دون تنفيذ سياستهم فى محاربة الصليبيين فنشب النزاع بين آقسنقر البرسق — أتابك الموصل — وأياز بن ايلغازى [٤] — ولما وقع اياز أسيراً فى يد البرسق ، استدعى أبوه ايلغازى جند التركمان وهاجم البرسق ، وهزمه وأرغمه على العودة إلى الموصل [٥] ، ولم يلبث بعد ذلك أن عزله السلطان السلجوقى محمد ، وأحل محله فى أتابكية الموصل جيوش بك [٦] . أما ايلغازى بن أرتق فخشى انتقام السلطان السلجوقى منه ، وسار إلى الشام حيث تحالف مع طغتكين — أتابك دمشق [٧] — واتفقا على الوقوف فى وجه السلطان محمد بل تحالف مع الفرنجة وراسلا روجر — صاحب أنطاكية [٨] .

واصل السلطان السلجوقى محمد مناهضة الصليبيين ، فأعد قوات كبيرة ضمت جيش الموصل بقيادة أتابكها جيوش بك وجند الجزيرة ، وأسند قيادة هذه القوات إلى برسق — أمير همذان وأصفهان — وطلب السلطان من هذا الأمير البدء بالتخلص من طغتكين وايلغازى .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٢) Setton : A History of the Crusades. Vol . 1. P.403

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٤) Setton : A History of the Crusades. Vol. 1. P.404

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٧) Runciman: A History of the Crusades Vol. S p.131

(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٩ هـ

سار برسق إلى الرها وحاصرها ، ثم مالبث أن رفع عنها الحصار واتجه إلى حلب ، بعد أن علم أن لؤلؤ — نائب أمير حلب — انضم إلى ايلغازى وطغتكين ، فلما اقترب منها ، أرسل إليه يطالبه بتسليمها ، وعرض عليه كتب السلطان بذلك (١) . لكن لؤلؤ رفض تسليم حلب ، واستنجد بطغتكين وايلغازى فسار إلى حلب ، وكان ذلك مما حمل برسق على العدول عن مهاجمتها وقصد حماه — وكانت فى حوزة طغتكين ، فاستولى عليها بمساعدة أمير حمص (٢) .

استنجد طغتكين ببلدوين الأول — ملك بيت المقدس — وبونز — أمير طرابلس — نخشى برسق من تجمع أعدائه وعاد إلى الجزيرة ، غير أنه لم يلبث أن أنقض فجأة على كفر طاب ، فاستولى على قلعتها (٣) ، وسلمها إلى بنى منقذ — أصحاب شيزر — ثم سارت قوات الموصل والجزيرة إلى قلعة فاميه — وكانت وقتذاك خاضعة للفرنجة — فلما شاهدت هذه القوات تحصيناتها القوية انصرفت عنها إلى المعرة (٤) ، لكنها لم تتمكن من الاستيلاء عليها ، واتجه جيوش بك — أتابك الموصل — إلى بزاعة ، وانتزعها من الفرنجة ، بينما اتجه جيش برسق إلى حلب مما اضطر روجر — أمير أنطاكية — إلى المسير للقاء المسلمين سنة ٥٠٩ ﻫ (١١١٥) فالتقى بجند الموصل والجزيرة على مقربة من مدينة سرمين حيث انقض عليهم (٥) ، فأدى ذلك إلى اثارة الاضطراب بين قوات المسلمين وعجز برسق عن جمع شملهم (٦) وحلت به الهزيمة (٧) .

---

(١) Setton : A History of the Crusades Vi.1 p. 494

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٧٦

(٣) نفس المصدر : ج ٢ ص ١٧٦ — ١٧٧

(٤) Runciman: A Historyof the Crusades Vol . 2 p. 131 - 132

(٥) Grousset : Histoire des Croisades , Vol 1 : pp.510 - 511

(٦) Setton : A History of the Crusades.Vol . 1 pp . 404 -

(٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٩ ﻫ

لم يحاول سلاطين السلاجقة فى العراق — بعد هذه الهزيمة — استعادة الشام من الفرنجة ، كما أن السلطان محمد لم يعد مستعداً لانفاذ حملة أخرى لمحاربة الصليبيين ومن ثم تمتعت الامارات الصليبية بقدر من الهدوء لم تعرفه من قبل . أما روجر — صاحب أنطاكيه — فإنه سار إلى كفر طاب ، وضمها إلى حوزته ، ومن ناحية أخرى ، أزعج ذلك الانتصار الذى أحرزه الصليبيين طغتكين — أتابك دمشق — وايلغازى بن أرتق — أمير ماردين — وسارعا إلى مصالحة السلطان السلجوقى (١) .

ظلت الموصل والجزيرة محط أنظار المسلمين فى بلاد الشام فلما اضطربت الأمور فى حلب (٢) بعد مقتل حاكمها لؤلؤ سنة ٥١٠ هـ — (١١١٧م (٣)) ، سار روجر أمير أنطاكية إليها ، واستولى على بعض أعمالها (٤) ، وساءت الأحوال الاقتصادية فى هذه المدينة ، فلم يتوافر فيها من المؤن ما يكفى أهلها واستبد بهم الخوف ، ولو أتيحت لهم الفرصة للرحيل عنها لما ترددوا فى ذلك (٥) ، غير أن هذه المدينة مالبثت أن دخلت فى حوزة نجم الدين ايلغازى — أمير ماردين — الذى سار إليها سنة ٥١١ هـ (٦) — (١١١٧م) ورحب به أهلها لاعتقادهم أن قواته من جنب التركمان قادرة على حماية بلدهم من خطر الفرنجة (٧) .

بذل ايلغازى أموالا للفرنجة مقابل هدنة عقدها معهم ، ثم سار إلى

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٧٩ — ١٨١

Setton : A History of the Crusades Vol. 1 pp. 404 - 405

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٧٩ — ١٨١

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٨

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١١ هـ

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ص ١٨٠ — ١٨١

(٦) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 pp. 133-134

(٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٩

ماردين لجمع العساكر ، واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش(١) .

على أن الفرنجة مالبثوا أن نقضوا هذه الهدنة ، ففي سنة ٥١٣ — (١١١٨ م) هاجم روجر — أمير أنطاكية — عزاز والبزاعة(٢) واستولى عليها وكانتا في حوزة ايلغازي بن أرتق ، وبذلك انقطع الطريق الذي يصل بين حلب والبلاد الواقعة شرقي الفرات ، ثم أغار صاحب أنطاكية على حلب(٣) ، ولم يكن بها من الذخائر ما يكفيها ، وبلغ من تخوف أهل حلب من الفرنجة أنهم تقاسموا معهم أملاكهم التي بباب حلب(٤) .

عاد ايلغازي بن أرتق — أمير ماردين — إلى حمل لواء الجهاد ضد الصليبيين سنة ٥١٣ هـ — (١١١٩ م) حين خرج إلى الشام على رأس عشرين الف مقاتل من العرب والأكراد والتركمان ، فنزل روجر — أمير أنطاكية على مقربة من الأثارب ظنا منه أن أحدا لا يستطيع اعتراض قواته لضيق الطريق ، وأرسل إلى ايلغازي يهدده ويحذره(٥) . على أن ايلغازي لم يعبأ بتهديد الفرنجة فهاجم بلاد الرها ، وألحق بالفرنجة خسائر فادحة ، ثم عبر الفرات ، ومضى إلى قنسرين — جنوب دمشق — ، فانضم اليه طغتكين ، وشنت القوات الاسلامية عدة هجمات على حارم وجبل السماق ، على حين هاجم بنو منقذ — أصحاب شيزر — الأراضي التي في حوزة روجر

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

Setton: A History of the Crusades. Vol. 1 P. 409

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج٢ ص١٨٦ — ١٨٧

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

(٤) يذكر ابن العديم أن ايلغازي جدد الايمان على الأمراء والمقدمين بأن يناصحوا في حربهم ، ويصابروا في قتال العدو ، وأنهم لا ينكلون ويبذلون مهجهم في الجهاد ، فحلفوا على ذلك بنفوس طيبة .

(زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٨٧)

(٥) ابن الأثير :الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

(٦) Runciman : A History of the Crusades , Vol . 2 p. 153

— أمير أنطاكية — رغبة فى اشغاله عن مقاتلة المسلمين (١).

استنجد روجر بجوسلين — أمير الرها — وبونز — أمير طرابلس — وبلدوين الثانى — ملك بيت المقدس — (٢). ولما أتم ايلغازى اعداد قواته انقض على جيش الفرنجة وأحاط به ، وأنقطع وصول الامدادات إلى الصليبيين مما اضطر روجر إلى اقتحام صفوف القوات الاسلامية حتى لا يتعرض هو وجيشه للهلاك (٣) ، لكن المسلمين ما لبثوا أن أوقعوا الهزيمة بالفرنجة ، وخر روجر صريعاً (٤) فى ميدان القتال ، ولم ينج من فرسانه إلا القليل ، ووقع فى أيدى المسلمين من السبي والغنائم والدواب مالا يحصى (٥). وبلغ من كثرة ما قتل من الصليبيين فى هذه الواقعة أن أطلقوا على السهل الذي دارت فيه اسم ساحة الدم (٦) .

كفل انتصار المسلمين على الصليبيين فى واقعة ساحة الدم الأمان لمدينة حلب ، وفى نفس الوقت أصبح الطريق إلى أنطاكية مفتوحا أمام قوات ايلغازى (٧) ، ولو أنه سار لمنازلتها لما استعصت عليه (٨) . غير أن ايلغازى قصد الأثارب ، واستولى عليها ، ثم زحف إلى زردنا وامتلكها ، وخشى بلدوين الثانى — ملك بيت المقدس — تحرك المسلمين جنوبا لانتزاع بعض أملاكه ، فسار إليهم واشتبك مع ايلغازى فى معركة غير حاسمة (٩) ،

---

(١) Runciman : A History of the Crusades Vol 2 p. 153

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٨٧ .

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ .

(٥) Setton : A History of the Crusades Vol.I p. 413

(٦) Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 p. 155

(٧) Ibid ; Vol. 2 p. 155.

(٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠١ .

(٩) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٤ .

عاد بعدها الأمير الأرتقى إلى حلب ، وأصلح أمورها (١) .

استقر رأى بلدوين الثانى — ملك بيت المقدس — على السير إلى انطاكية وتحصينها ، كما ولى الوصاية عليها ريثما يبلغ بوهمند — أميرها الشرعى — سن الرشد (٢) ، وانضم اليه جوسلين — صاحب تل باشر — فى الدفاع عن أنطاكية بسبب تعرضها لغارات ايلغازى بن أرتق (٣) ، غير أن الأمير الأرتقى ما لبث أن عقد هدنة مع الفرنجه تضمنت اعترافه بامتلاك امارة أنطاكيه البلاد الواقعة شرق نهر العاصى (٤) .

على أن الفرنجة سرعان ما نقضوا هذه الهدنة ، وأغاروا على بلاد الشام والجزيرة ونهبوها (٥) ، وتوالت غارات جوسلين — أمير الرها — على منبج وبزاعة والأثارب (٦) كما انتهز بلدوين الثانى — ملك بيت المقدس فرصة ثورة سليمان بن ايلغازى — والى حلب — على أبيه ، فشن غارات على أعمال حلب مما اضطر ايلغازى إلى عقد صلح مع بلدوين الثانى ، نزل له فيها عن زردنا والأثارب سنة ٥١٥ هـ (١١٢٢ م) (٧) .

أتاحت هذه الهدنة لايلغازى بن أرتق — أمير ماردين وحلب — الفرصة لجمع قوات كبيرة من جند التركمان من ديار بكر ، ثم عبر بهم الفرات قاصدا الشام لمواصلة جهاد الصليبيين (٨) ، وحاصر هو وابن أخيه بلك

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٤ هـ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٤ هـ .

(٣) Setton : A Histor y of the Crusades. Vol I pp. 415—416

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٦ — ١٩٧ .

(٥) Runciman : A History of the Crusades Vol 2. p 159

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٨ .

(٧) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٨ .

(٨) انتهز ايلغازى بن أرتق فرصة خروج بونز — أمير طرابلس — على طاعة ملك بيت المقدس ، ومسير بلدوين الثانى إلى طرابلس لإرغام بونز على الدخول فى طاعته .
(Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p 161)

ابن بهرام الأرتق زردنا (١) ، واشتبكا مع بلدوين فى قتال حول الأثارب سنة ٥١٥ هـ - (١١٢٥) (٢) . غير أن ايلغازى ما لبث أن انسحب إلى حلب لمرضه (٣) .

أما بلك بن بهرام الأرتق فسار إلى الرها ، وحاصرها ، لكنه عجز عن الاستيلاء عليها ، ورفع عنها الحصار ، ولما علم أن أميرها يتعقبه ، عول على مهاجمته (٤) ، وأحل بقواته الهزيمة . وانتهت هذه المعركة بأسر جوسلين ، ٥١٥ هـ ١١٢٢ م) (٥) ، ونقله إلى قلعة خرتبرت حيث عرض عليه الأمير بلك اطلاق سراحه مقابل النزول عن الرها ، لكنه رفض (٦)

أضعفت وفاة ايلغازى بن أرتق من شأن الأراتقة بسبب اقتسام أملاكه بين أولاده وأقاربه ، فآلت حلب إلى سليمان بن عبد الجبار الأرتق ، واستفاد الملك بلدوين الثانى من ضعف الأراتقة ، فاستولى على البيرة - شرقى حلب - واقليم بزاعة وبالس بالقرب من حلب (٧) ، ولما عجز سليمان عن رد هجماتهم عقد صلحا مع بلدوين الثانى تضمنت اعادة الأثارب اليه سنة ٥١٧ هـ - (١١٢٣ م) فى مقابل أن يكف الفرنجة عن بلاده (٨) .

ولما علم بلك بن بهرام بن ارتق أن صاحب حلب نزل عن حصن

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٣ - ٢٠٤

(٢) Setton ; A History of the Crusades. Vol. I. p. 417

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٤) نصب بلك له كمينا فى موضع رطب زاده سوءاً انهمار الأمطار ، فانزلقت أرجل الخيل ، وتعثرت فى سيرها ، ولم يجد فرسان التركمان صعوبة فى تطويق الفرنجة ، فقتلوهم عن آخرهم .

(Setton : A History of the Crusades. Vol I. p. 418)

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ .

(٦) Runciman ; A History of the Crusades. Vol. 2 p. 161

(٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ .

(٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٩ .

الأثارب للفرنجة ، عظم ذلك عليه وأنكره ، فسار إلى حران وملكها(١) ، ثم قصد حلب وهاجمها ومنع الميرة عنها (٢) ، واضطر صاحب حلب إلى تسليم البلدان لابن عمه بلك بن بهرام (٣).

كان لوقوع جوسلين - أمير تل باشر - أسيرا أثر بالغ فى نفوس الفرنجة فولى بلدوين الثانى - ملك بيت المقدس - أمارة الرها (٤) ، وسار على رأس قوة صغيرة وأقام معسكرا فى موضع لا يبعد كثيراً عن كركر - الواقعة على نهر الفرات ، والتى انتزعها بلك من الفرنجة (٥) ، لكن بلك سرعان ما انقض على معسكر بلدوين ، وقضى على كثير من جند الفرنجة ، وأسر بلدوين ؛ ثم نقل إلى قلعة خرتبرت (٦).

عول الفرنجة على الانتقام من بلك فهاجموه ، بينما كان يحاصر منبج لانتزاعها منه ، فتصدى لهم ، وألحق بهم الهزيمة ، ثم عاد إلى منبج حيث انتهت حياته أثناء حصاره القلعة سنة ٥١٨ - (١١٢٤ م) (٧).

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢١٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ .
Runciman : A History of the Crusades. vol. 2. p. 167

(٣) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٩ .
Setton :/A History of the Crusades vol.I. p. 422

(٤)

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ .

(٦) فر بلدوين الثانى من الأسر بعد أن حنف للأسرى الفرنجة « على أنه لا يغير ثيابه ، ولا يأكل لحماً ، ولا يشرب إلا وقت القربان إلا أن يجمع الجموع الفرنجية ، ويصل بهم إلى خرتبرت ويخلصهم » وسار إليهم جوسلين حينما ساعد سكان القلعة الأرمن ، بلدوين والأسرى الفرنجة فى الاستيلاء على القلعة ، غير أن بلك ، لم يمكن جوسلين من القلعة واستعادها ، ورتب فيها من يحفظها ، ونقل بلدوين إلى حران.
ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢١٣ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ .
Runciman : A History of the Crusades. vol. 2. pp. 163—165

(٧) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٢ ص ٢٤٩ .

تفرق عسكر بلك أثر وفاته ، فسار حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى ـ أمير ماردين ـ إلى حلب ، واستولى عليها [١] ، ونازعه فى حكمها الأمير دبيس بن صدقه ـ صاحب الحله ـ وفى هـــذه الأثناء رأى حسام الدين أن يطلق سراح بلدوين الثانى ـ ملك بيت المقدس [٢] ـ بعد أن تعهد بأداء مبلغ كبير من المال ، وأن يعيد إلى حلب مدن الأثارب وزردنا وعزاز وكفر طاب والجسر ، وأن يقف إلى جانبه فى قتال دبيس بن صدقة ، وأن يحتفظ صاحب حلب بالرهائن ريثما يؤدى بلدوين الفدية كاملة . غير أن ملك بيت المقدس تخلى عن تعهداته بعد اطلاق سراحه [٣] .

ولما انتزع الفرنجة مدينة صور من الفاطميين سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) طمعوا فى الاستيلاء على بقية مدن الشام [٤] فقصدوا حلب ، وانضم اليهم دبيس بن صدقة - صاحب الحله ـ وياغى سيان الأرتقى وسلطان شاه ابن رضوان . غير أن حسام الدين تمرتاش ـ صاحب ماردين وحلب ـ لم يغادر ديار بكر لنجدة أهل حلب ، ويرجع السبب فى ذلك إلى ، انشغاله بالاستيلاء على ميافارقين [٥] بعد وفاة سليمان ، وظل أهل حلب يقاومون الفرنجة حتى ضعفت مقاومتهم [٦] فلجأوا إلى البرسقى ـ أتابك الموصل ـ وبعثوا اليه يستنجدونه فلبى طلبهم ، ولما أشرفت قوات الموصل على حلب [٧] ، رحل الفرنجة وحلفاؤهم عنها [٨] . ورأى البرسقى أن من

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢١٧ ـ ٢١٩ .

(٢) Runciman : A History of the Crusades, vol, 2 p. 165

(٣) Setton : A History of the Crusades. vol. I p. 423

(٤) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ .

(٥) Setton ' A History of the Crusade vol. I. 452

(٦) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٢ ص ٢٤٩

(٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ

(٨) Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 P.173

المصلحة عدم تتبع الفرنجة حتى تستقر الأمور فى حلب ، ولما دخلها رحب به أهلها (١) . وهكذا اتحدت حلب والموصل تحت زعامة آقسنقر البرسقى ، مما يعتبر نواة لتكوين جبهة اسلامية ، تستطيع الوقوف فى وجه الصليبيين (٢)

ظل البرسقى يواصل الحرب ضد الصليبيين بعد عودته إلى الموصل ، فسار إلى الشام ، وشن عدة هجمات على بلاد أنطاكية ، وحاصرت الأثارب (٣) ثم اضطر إلى رفع الحصار عنها والعودة إلى حلب ثم إلى الموصل حيث قتلته الاسماعيلية (٤) ، خلفه ابنه عز الدين مسعود . لكنه لم يكن كأبيه فى جهاد الفرنجة ، ولم يلبث أن توفى ، وسادت الفوضى مدينة حلب ، فولى الناس عليهم أميرا من بنى أرتق يدعى سليمان بن عبد الجبار (٥) فانتهز جوسلين - أمير الرها - وبوهمند الثانى - صاحب أنطاكية - فرصة ذلك الاضطراب الذى ساد حلب (٦) ، وحاولا الاستيلاء عليها (٧) غير أن محاولتهما باءت بالفشل (٨) . ولم يمض غير قليل حتى دخل عماد الدين زنكى بن آقسنقر هذه المدينة سنه ٥٢٢ هـ - (١١٩٩ م) حاملا تقليدا بحكمها من السلطان السلجوقى (٩) ، فأحسن أهلها استقباله (١٠) . وبانضمام حلب إلى الموصل

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٨

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٦١٥

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٩ هـ

(٤) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 P. 173 - 174
Setton : A History of the Crusades Vol. 1 PP. 426 - 427

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٣٧

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٢ هـ
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٣٧ - ٣٨

(٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٨

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٤١
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٣٨ - ٣٩

(٩) Setton : A History of the Crusades Vol. 1. P. 453

(١٠) ويذكر ابن الأثير أن أهل حلب أظهروا من الفرح والسرور بمقدم زنكى مالا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى . (التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٣٧ - ٣٨)

تحت سلطان زنكى ، انتقل صراع أتابكة الموصل والجزيرة مع الصليبيين إلى دور جديد .

واصل عماد الدين زنكى سياسة أسلافه - أتابكة الموصل - فى مجاهدة الفرنجة بعد أن استفحل خطرهم فى بلاد الشام (١) ، وامتد ملكهم من ناحية ماردين إلى عريش مصر ، فيما عدا حلب وحمص وحماه ودمشق التى بقيت فى حوزة بعض الأمراء المسلمين (٢) ، بل أن هذه البلاد تعرضت لغارات متعددة شنها الفرنجة بغية السلب والنهب (٣) ، ولم يكتفوا بذلك بل فرضوا اتاوات على البلاد المجاورة لهم ، مقابل عدم اعتدائهم عليهم (٤) .

بدأ زنكى يناهض الصليبيين منذ سنة ٥٦٤ هـ (١٢٩ م) وعلى الرغم من أنه لم يستفد من الاضطرابات التى حدثت بأنطاكية بعد مقتل أميرها بوهمند الثانى (٥) ، فإنه عمد إلى مهاجمة بعض حصون الفرنجة التى تهدد ممتلكاته فى بلاد الشام ومنها حصن الأثارب (٦) سنة ٥٢٤ هـ - (١١٣٠ م)

---

(١) ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة النبوية ورقة ٦١
Grousset : Histeire des Croisades . Vol . 1 .P 668
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ .
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٣٢ - ٣٣
(٤) Archer : The Crusades P : 199
Stevenson : The Crusaders in the East
(٥) حينما قتل بوهمند الثانى - أمير أنطاكية بأيدى الترك السلاجقة بآسيا الصغرى ، رفضت زوجته أليس تولية ابنة بوهمند - كونستانس - الحكم وانفردت بالسلطان ، وطلبت من عماد الدين زنكى مساعدتها ، وتعهدت له بالدخول فى طاعته إذا عمل على ابقاء أنطاكية فى حوزتها . غير أن بلدوين الثانى - ملك بيت المقدس - سار إلى أنطاكية ، واحبط مؤامرة أليس .
(Setton: A History or the Crusades Vol . 1. P.431)
(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : حوادث سنة ٥٢٤ هـ

- بين حلب وأنطاكية - وكان أهل حلب يلاقون كثيرا من الضر والضيق من هذا الحصن الذى اتخذه الفرنجة قاعـــدة لمهاجمة حلب ، ونهب أموالها ومحاصيلها [١] ، بل كانوا يقاسمون أهل حلب على جميع أعمالها الغربية [٢] ، فلما هاجر عماد الدين زنكى هذا الحصن ، حشد الفرنجة جندهم لصده ، ودارت بين عماد الدين والصليبيين معركة حلت فيها الهزيمة بهم [٣] ، ووقع كثير من فرسانهم فى الأسر [٤] ، واستطاع أتابك الموصل أن يستولى على حصن الأثارب عنوة [٥] ، ثم سار زنكى من الأثارب إلى قلعة حارم - على مقربة من أنطاكية لحاصرها ، وضيق عليها الحصار . ولما رأى الفرنجة أنه لا طاقة لهم بزنكى وجنده ، عرضوا عليه الكف عنهم فى مقابل منحه نصف دخل بلدهم ، فأجابهم إلى ذلك ورفع الحصار عن حارم [٦] .

على أن عماد الدين زنكى انصرف بعض الوقت عن قتال الصليبيين

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٣٩

Grousset : Histoire des Croisades · Vol . 1. pp.675 - 676

(٢) لما احتشد الفرنجة للدفاع عن الحصن ، استشار زنكى أصحابه فيما يفعل فأشاروا عليه بالعودة إلى الحصن خوفا من الهزيمة ، ولكن زنكى رفض مشورتهم ، وقال لأصحابه ، أن الفرنجة متى رأونا قد عدنا عن الحصن طمعوا وجاوزوا فى أثرنا ، وخربوا بلادنا .

(ابن الاثير) الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ)

(٣) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٣

(٤) ابو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٧٨

(٥) دمر عماد الدين زنكى هذا الحصن بعد الاستيلاء عليه ، وقال لقوابه :

« إن هذا أول مصاف عملناه معهم ، فلنذقهم من بأسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم »

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٤٣)

Archer : The Crusades . P. 200

(٦) ابو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٧٨

Stevenson : The Crusaders in the East . P. 33

بعد عودته إلى العراق ، وانشغاله بالصراع الدائر بين السلاجقة والخلفاء العباسيين ، والاضطرابات التى آثارها الأكراد فى شمال العراق (١) .

وعلى الرغم من تغيب زنكى عن الشام ، فان جهوده فى محاربة الصليبيين لم تتوقف ، فأمد سيف الدين سوار — نائبه فى حلب — بجند من التركمان وطلب اليه مجاهدة الفرنجة . فشن سوار هجمات على أنطاكية مما حمل أهلها على الاستنجاد بفولك — ملك بيت المقدس — فسار إلى أنطاكية (٢) ، وفى طريقه اليها علم أن سيف الدين سوار هاجم تل باشر التابعة لإمارة الرها — وغنم منها مغانم كثيرة (٣) ، ولم يستطع الصليبيون صده عنها ، فتقدم فولك إلى قنسرين ، حيث كان سوار معسكرا بقواته ، واشتبك الفريقان فى معركة انتصرفيها الصليبيون (٤) ، وعاد فولك إلى فلسطين سنة ٥٢٧ هـ — (١١٣٢ م (٥) .

انتهز سوار فرصة الفتن الداخلية التى حدثت فى أنطاكية نتيجة النزاع على الحكم ، فهاجر أنطاكية (٦) والقرى الصليبية المجاورة (٧) لها حتى بلغت غاراته اللاذقية (٨) سنة ٥٣٠ هـ — (١١٣٥ م) ويذكر

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٣ وما بعدها .

(٢) Runciman : A History of the Crusades vol .2 p. 194

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٠

(٤) Setton : A History of the Crusades Vol. 1 pp. 431—432

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٧ هـ

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٢
سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان (القسم الأول) ج ٨ ص ١٤٦

(٧) ابن العديم ، زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٠

(٨) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٠ هـ

ابن القلانسى (١) أن جند زنكى عادوا إلى حلب ومعهم ما يزيد على سبعة آلاف أسير عدا ما غنموه من الدواب والأسلحة .

رأى عماد الدين زنكى بعد عودته إلى بلاد الشام سنة ٥١٦هـ (١١٣٧م) أن يعمل على تحقيق سياسته فى إقامة جبهة إسلامية متحدة حتى يتيسر له استئناف الحرب ضد الصليبيين ، فهاجم حمص مرة أخرى لكن معين الدين أنر — واليها من قبل أتابك دمشق — تصدى (٢) له ، بل استعان عليه (٣) بالفرنجة فسار الصليبيون إلى حمص لمنع زنكى عنها ، فاضطر أتابك الموصل إلى رفع الحصار عن حمص ، وسار لمواجهة الصليبيين عند بارين — بين حماه وحمص — وكان الصليبيون قد اتخذوها قاعدة يشنون منها الغارات على البلاد الواقعة بين حمص وحماه (٤) .

استنجد ريموند — صاحب طرابلس — بفولك ملك بيت المقدس (٥) واشتبكا مع عماد الدين فى معركة رغبة فى صده عن بارين (٦) ، لكن عماد الدين زنكى هزم الفرنجة ، وألحق بهم خسائر فادحة فى الأرواح والعتاد (٧) ووقع فى الأسر كثيرون ، منهم ريموند — أمير طرابلس — بينما فر فولك إلى حصن بارين ، واحتمى به ، واضطر إلى الاستنجاد ببطريرك بيت المقدس ، وأميرى الرها وأنطاكية ، وقد لبى هؤلاء الثلاث تطلبه وخرجوا

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٥ — ٢٥٦

(٢) Stevenson : The Crusaders in the East. p. 137

(٣) Grousset : Histoire des Croisades, Vol. 2 pp. 69—79

(٤) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٨ — ٢٥٩

(٥) أبو شامه ، الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٨٧ — ٨٨
Setton : A History of the Crusades Vol. I. p. 438.

(٦) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣١ هـ

(٧) ابن واصل ، مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٧٢ — ٧٣

لنجدته على (١) رأس جيش كبير (٢) . غير أن جند زنكى شددوا الحصار على القلعة وقذفوها بالمنجنيقات ، ولما ندرت الذخائر والمؤن لدى الفرنجة اضطر فولك إلى طلب الأمان من زنكى فى مقابل تسليم القلعة ، فأظهر زنكى فى بداية الأمر عدم اكتراثه بهم (٣) . لكنه حين بلغه اقتراب جيوش الفرنجة — الذين استنجد بهم فولك — منح الأمان لجندهم المحاصرين بالقلعة فى مقابل تسليمها (٤) ، وأذن للملك فولك وفرسانه بمغادرة القلعة (٥) . والعودة إلى بلادهم ، كما أطلق سراح — أمير أنطاكية — وجميع أسرى الحرب الأخيرة (٦) . واستولى على القلعة وأنفذ اليه الفرنجة خمسين ألف دينار مقابل اطلاق سراح أسراهم (٧) .

كان لاستيلاء زنكى على قلعة بارين أهمية كبيرة إذ أن امتلاكه لها يعوق الفرنجة عن الوصول إلى أعالى وادى نهر العاصى فضلا عن أنه يمكن زنكى من السيطرة على حمص وحماه اللتين كانتا فى دائرة نفوذ دمشق (٨) .

وبينما كان زنكى محاصراً لقلعة بارين ، تمكن من فتح معرة النعمان وكفر طاب وغيرها من البلاد الواقعة بين حلب وحماه (٩) ، ومما يجدر

(١) ابن الأثير ، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٩ — ٦١
Runciman ; A History of the Crusades. Vol, 2 p. 204

(٢) ابن العديم ، زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦١ — ٢٦٠ .

(٣) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٩

(٤) ابن الأثير ، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦١

(٥) ابن العديم ، زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٢

(٦) Setton : A History of the Crusades Vol I. p. 438

(٧) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ
Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 204

(٩) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣١ هـ
Zoe Oldenbourg : Les Croisades p. 521

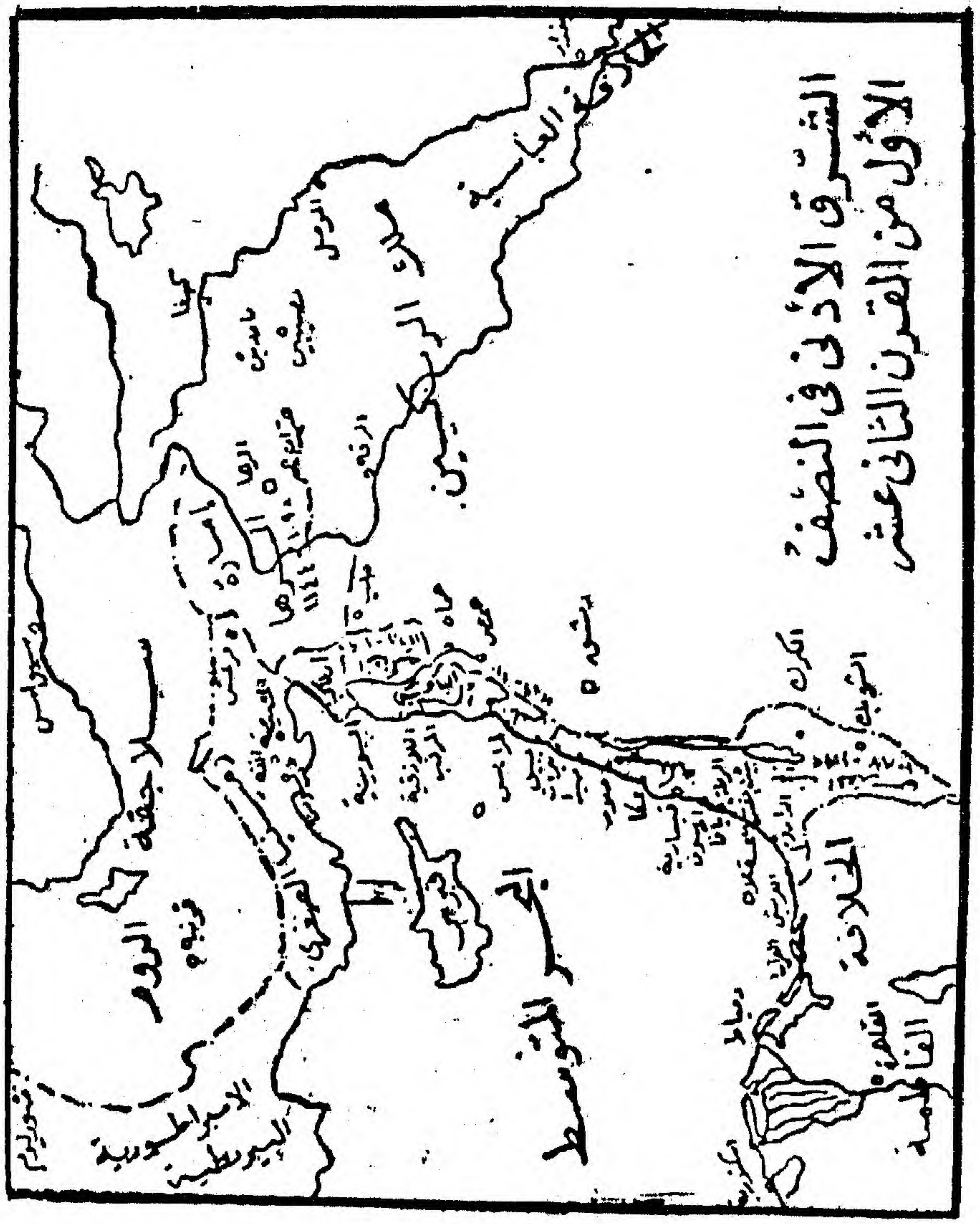
الشرق الأدنى في النصف الأول من القرن الثاني عشر
البحر المتوسط
الإمبراطورية البيزنطية

ذكره أن هذه البلاد أفادت من استيلاء زنكى عليها ، إذ عمرت وزاد دخلها (١) .

واصل زنكى سياسته التي تنطوى على توحيد القوى الاسلامية فى الشام لمواجهة الخطر الصليبي ، فهاجم دمشق سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) مما اضطر معين الدين انر — نائب أتابك دمشق — إلى الاستنجاد (٢) بالصليبيين، وبذل لهم الأموال فى مقابل صد زنكى عن دمشق ، فخرجوا لنصرته (٣) ، لأنهم أيقنوا بالخطر الذى يواجههم من جراء استيلاء زنكى على دمشق (٤)

ولما سارت الفرنجة إلى دمشق . أضطر عماد الدين زنكى إلى رفع الحصار عنها وقصد حوران معتزما قتال الفرنجة قبل أن يلتقوا بأهالى دمشق غير أن الفرنجة لم يواصلوا زحفهم إلى هذه المدينة خوفا من وقوع اشتباك بينهم وبين عماد الدين زنكى (٥) .

أما عن موقف معين الدين أنر — نائب أتابك دمشق — فإنه عمل على الوفاء بتعهداته للفرنجة ، فانتهز فرصة غياب — أتابك الموصل — عن بلاد الشام وسار إلى بانياس (٦) لانتزاعها وتسليمها الفرنجة — وكانت من أملاك (٧) زنكى — وانضم اليه فولك — ملك بيت المقدس — وريموند —

---

(١) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٣

(٢) أرسل معين الدين أنر ، أسامه بن منقذ إلى بيت المقدس للسعى الى الاتفاق مع الفرنجة على زنكى ، فاتفق أسامه معه على أن يساعد أنر الفرنجة فى انتزاع بانياس من عماد الدين زنكى ، وأن يبذل أمير دمشق للفرنجة ٢٠ ألف دينار كل شهر يجد بها الفرنجة قوات لمحاربة زنكى ، وأن يجعل صاحب دمشق رهائن عند الفرنجة ضماناً لتنفيذ الاتفاق .
(أسامه بن منقذ ، الاعتبار ص ٨)

(٣) Archer : The Crusades. p. 196

(٤) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 227

(٥) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ

(٦) Grousset : Histoire des Croisades. Vol. 2 p. 137

(٧) ابن واصل ، مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٨ — ٨٩
Zoe Olden Bourg : Les Croisades. p. 568

الممتلكات الصليبية فى بلاد الشام سنة ٥٣٥هـ (١١٤٠م)

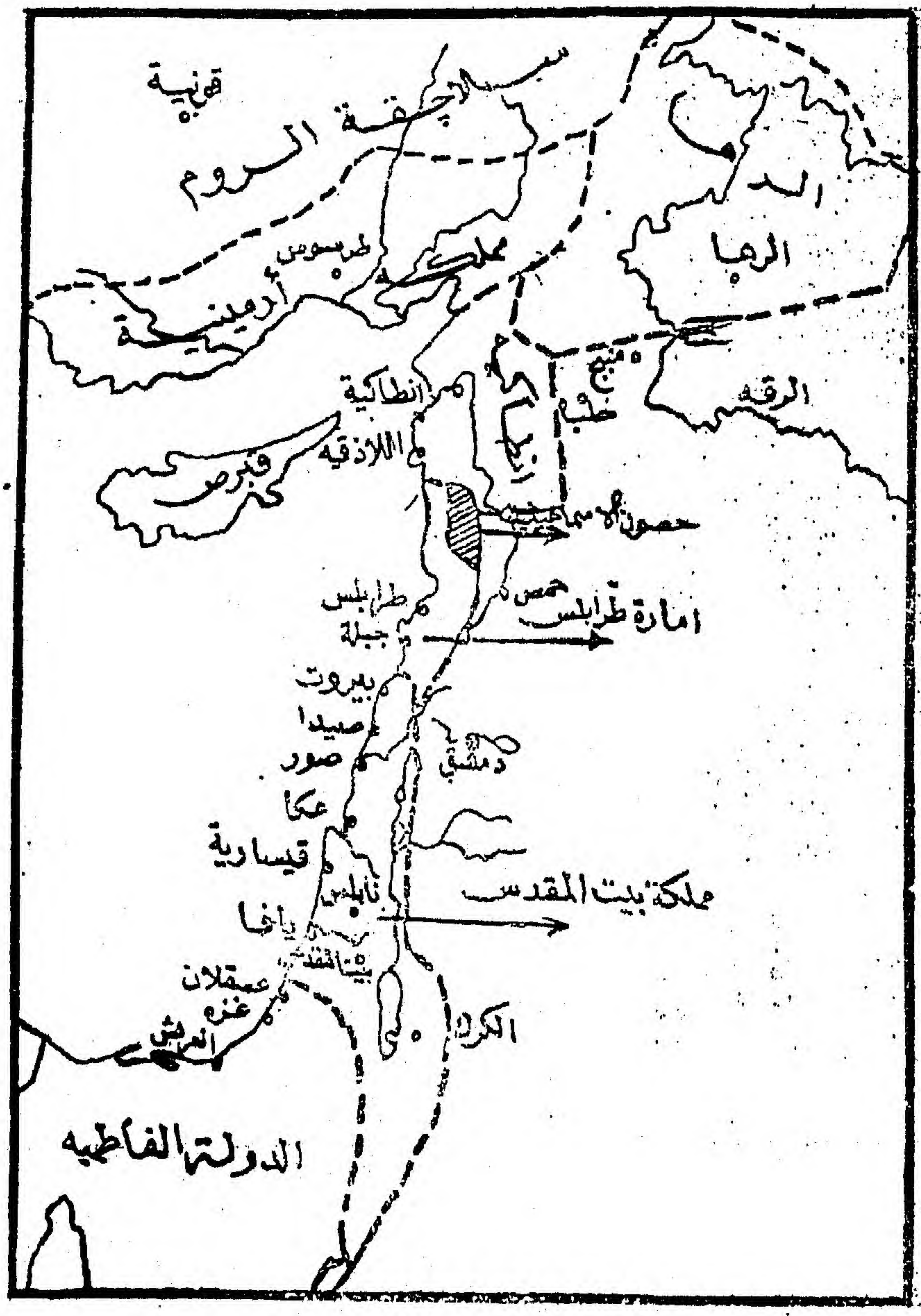

أمير أنطاكية — وعجز أهل بانياس — عن صد أنر وحلفائه عن بلدهم[١] مما هون عليه أمر الاستيلاء عليها ، وتسليمها للفرنجة[٢] ، وهكذا أدى التحالف بين حكام دمشق وبيت المقدس إلى عرقلة الجهود التى بذلها عماد الدين زنكى فى تكوين جبهة إسلامية متحدة تستطيع مواجهة الخطر الصليبى[٣] .

على أن غارات قوات عماد الدين زنكى لم تتوقف فى بلاد الشام ، فيذكر ابن العديم[٤] أن الفرنجة لما أغاروا سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) على سرمين وعاثوا فيها سلبا ونهبا ، ثم تحولوا إلى جبل السماق وكفر طاب[٥] ، لم يقف قواد عماد الدين زنكى فى بلاد الشام مكتوفى الأيدى إزاء أعمال الفرنجة التخريبية ، فاجتمع كثير من جند التركمان بقيادة علم الدين بن سيف الدين سوار ، وساروا إلى أنطاكية ، وشنوا عليها غارات وغنموا منها كثيرا من الغنائم[٦]

واصل قادة زنكى جهودهم فى مقاومة الصليبيين ، ففى سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) خرج القائد سيف الدين سوار ـ نائب زنكى فى حلب ـ إلى أنطاكيه واشتبك مع بعض القوات الصليبية وأوقع بهم الهزيمة وغنم منهم

---

(١) Setton : A History of the Crusades. Vol. I. p. 443

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٢

(٣) زاد التحالف بين فولك ملك بيت المقدس وأنر ـ نائب أتابك دمشق ـ حينما زار معين الدين أنر وأسامة بن منقذ الملك فولك فى عكا ، وأحسن استقبالهما ثم زارا حيفا وبيت المقدس .

(أسامة بن منقذ : الاعتبار ص ١٩٦)

(٤) زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٥

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٦ هـ

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٤

مغانم كثيرة ، ولما خرج صاحب أنطاكية إلى بزاعة للانتقام من جند زنكى رده سوار على أعقابه (١) .

كما استولى عماد الدين زنكى فى نفس السنة على بعض بلاد ديار بكر التى كانت فى حوزة جوسلين — أمير الرها (٢) — وعمل على إصلاح أمورها وأبقى بها حامية من الجند لدرء الأخطار التى تتعرض لها (٣) .

كان للنزاع الذى حدث بين ريموند — صاحب أنطاكية — وجوسلين — أمير الرها — وضعف مملكة بيت المقدس على أثر وفاة ملكها فولك ، وعجز خليفته بلدوين الثالث عن المحافظة على وحدة الفرنجة وتوحيد كلمتهم ؛ أثر بالغ فى إتاحة الفرصة أمام زنكى لاستئناف الجهاد ضد الصليبيين (٤) ، فأعد جيشاً لمهاجمة الرها التى كانت من أشرف المدن عند النصارى ، وأكثرها محلا (٥) .

كانت أمارة الرها تشكل خطراً كبيراً على المسلمين (٦) ، فأدى موقعها على خطوط المواصلات بين الموصل وحلب وبين بغداد ودول سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى (٧) ، إلى تعرض المسلمين لاخطار جسيمة (٨) .

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٨ هـ .
ابن واصل . مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٩٢

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٨ .

(٤) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades, p. 263
Stevenson : The Crusaders in the East, p. 153

(٥) ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ٦٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩هـ .

(٧) ابن واصل . مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٩٣

(٨) ابن الأثير . التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٧ .
أبو الفدا . المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٧

الإمارات اللاتينية فى الشام
(سنة ١١٤٠م – سنة ٥٣٥هـ)

كما أن الفرنجة اتخذوها قاعدة لشن غاراتهم على البلاد الجزرية (١).

رأى عماد الدين زنكى أنه إذا ما قصد الرها اجتمع بها من الفرنجة من يعمل على صده، فيتعذر عليه فتحها (٢)، فاتجه إلى ديار بكر ليوهم الفرنجة أنه منشغل عنهم بمحاربة قرا أرسلان — أمير ماردين — الذى تحالف مع جوسلين الثانى — أمير الرها (٣) — وقد تمكن زنكى من انتزاع عدة قلاع فى ديار بكر (٤). أما فيما يتعلق بأمير الرها فإنه لم ينشغل عن حليفه أمير ماردين (٥)، فخرج على رأس جيش كبير عبر به الفرات إلى البلاد الشامية (٦) ليحول دون الاتصال بين حلب والموصل، وعسكر بقواته فى تل باشر (٧). ولما وقف زنكى على تحركات خصمه جوسلين، عقد الصلح مع الأراتقة، وسار إلى الرها (٨).

لم يترك جوسلين فى الرها حامية كبيرة (٩)، بل اعتمد فى الدفاع عنها

---

(١) على الرغم من أن الفرنجة اتخذوا الرها قاعدة لشن الغارات على المسلمين فقد يسر موقعها على المسلمين أمر الاستيلاء عليها ذلك أن نهر الفرات فصلها عن الامارات الصليبية، وأحاط بها المسلمون من ثلاث جهات.

(Grousset : I. istoire des Croisades. Vol. 2 p. 172)

(٢) Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 p. 235

(٣) Setton : A History of the Crusades. Vol. I p. 461

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٧٦ — ٢٧٧

(٥) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٦ هـ

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٩٣

(٧) Setton , A History of the Crusades. Vol. I p. 461

(٨) قبل أن يصل زنكى الى الرها أرسل حملة استطلاعية بقيادة صلاح الدين الياغيسيانى أمير حماه — لمهاجمة الرها، غير أن الياغيسيانى ضل الطريق فى ليلة حالكة الظلام غزيرة الأمطار، فلم يبلغ بقواته الرها إلا بعد أن وصل اليها عماد الدين زنكى. (ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٩)

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٩٣ — ٩٤

على السكان الأصليين من المسيحيين (١) على الرغم من قلة خبرتهم بشئون الحرب والقتال ، كما تولى الدفاع عن المدينة الجند المرتزقة (٢) .

لما زحف عماد الدين زنكى إلى الرها شاهد مدينة تجمع بين حسن التنسيق ، ودقة التحصين (٣) ، فارسل أهلها يعرض عليهم الأمان — لكن زعماء المسيحيين رفضوا ذلك العرض الذى تقدم به زنكى (٤) . أملا فى أن تصل إليهم نجدات من جوسلين ، ومن أميرى أنطاكية وبيت المقدس (٥)

على أن ريموند — أمير أنطاكية — خيب أملهم حين رفض إرسال نجدة إليهم ، أما ميليسند — ملكة بيت المقدس — فأرسلت جيشا إلى الرها ، لكنه وصل إليها بعد فتحها (٦) ، بينما ازدادت قوات عماد الدين زنكى بما انضم اليها من الأتراك والتركمان (٧) .

حاصرت قوات عماد الدين زنكى الرها من جميع الجهات سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) وحالت دون وصول الأقوات والميرة اليها (٨) ، ونصبت على أسوارها المنجنيقات (٩) ، وبعد عدة هجمات ، تمكن جند الموصل من تحطيم أسوار الرها (١٠) ، ودخلوا المدينة بعد حصار دام ثمانية وعشرين

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣١ هـ .

(٢) Runciman ; A History of the Crusades. Vol. 2 p 235

(٣) Setton ; A History of the Crusades Vol. 1. p 461

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٣٧٧ — ٢٧٩

(٥) Runciman ; A History of the Crusades. Vol. 2 p, 273

(٦) Grousset ; Histoire des Croisades. Vol. pp. 179-180

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٨ — ٦٩

(٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٧٩ :

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٩٣

(١٠) Gibb , The Damascus Chronicle of the Crusades. pp. 266-267.

يوما (١) ، وفــــر أهلها إلى قلعتها (٢) ، لكن هيو — رئيس الأساقفة اللاتين — أمر باغلاق القلعة دونهم (٣) ، مما جعلهم يواجهون خطر هجوم قوات زنكى (٤) .

أما عن زنكى فإنه أمر جنده بالكف عن قتال المسيحيين الشرقيين ، بينما حاصرت قواته الفرنجة ، ونكلت بهم (٥) .

رأى زنكى بعد دخوله مدينه الرها أن يقطعها لزين الدين على كجك وطلب اليه أن يعمل على إصلاح أمورها ونشر العدل بين أهلها (٦) ، فسار زين الدين فى أهل الرها سيرة حسنة (٧) . وشملهم بعنايته ورعايته ، فطابت نفوسهم (٨) وانضموا إلى المسلمين فى الدفاع عن المدينة ضد هجمات الفرنجة الذين يخالفونهم فى مذهبهم الدينى (٩) . وهكذا عادت الرها إلى حالها الأول . مدينة مسيحية يحكمها أمراء مسلمون . (١٠)

علت مكانة زنكى بعد ذلك الإنتصار الرائع الذى أحرزه على الصليبيين

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩

(٢) ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ٦٢

(٣) ابن الأثير ، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٨ — ٦٩

(٤) ابن واصل . مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص ٩٤

Runciman , A History of the Crusades, Vol. 2 p. 273

(٥) ابن القلانسى . ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٩ .

ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٩

(٦) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٤

ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٩

Runciman , A History of the Crusades: Vol. 2 p. 237

(٧) Vasileiv , History of the Byzantine Empire. p. 418

(٨) أبوشامه ، الروضتين فى أخبار الدولتين ص ١٠١

Setton , A History of the Crusades. Vol. 1. p. 461

(٩) ابن القلانسى : ذيل تريخ دمشق ص ٢٨٤

(١٠) Grousset , Histoire des Croisades. Vol. 2 pp. 190—191

فنحه الخليفة العباسى الهدايا ، ولقبه بطل الإسلام ، الملك المظفر المنصور قاهر الكفرة والمتمردين(١) .

كان لسقوط الرها آثار بعيدة المدى على المسلمين ، إذ أنها أول أمارة صليبية قامت فى الشرق ، ولم يعد للفرنجة بعد زوالها إلا بلاد تقع على ساحل البحر المتوسط كما أن سبل الإتصال بين حلب والموصل صارت آمنه(٢) .

لم يكتف عماد الدين زنكى بفتح الرها ، بل عول على انتزاع أعمالها من جوسلين الثانى ، فسار إلى سروج (٣) — التى تعتبر ثانى الحصون الصليبية الكبيرة الواقعة شرق الفرات — .ويذكر ابن القلانسى (٤) ، أن هذا الحصين كان محصنا تحصينا قويا ، فلما نزل زنكى عليه ، قطع عنه سائر ما يصل إليه من المؤن والمعدات حتى استولى عليه (٥) ، كما امتلك زنكى البلاد والمعاقل التى كانت فى حوزة جوسلين على نهر الفرات(٦) ،حتى لم يبق لهذا الأمير الصليبي سوى البيرة التى تتوافر فيها المؤن والذخائر(٧) فحاصرها عماد الدين زنكى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٥ م)غير أن الفرنجة قاوموه مقاومة عنيفة ، واضطر زنكى إلى رفع الحصار عنها، وعاد إلى الموصل(٨) لاقرار أمورها إلى وضعها الصحيح (٩) ، بعد محاوله السلطان السلجوقى

---

(١) سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ١٩٣ .

(٢) Cambridge Medieval History vol. 2 p, 307

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

(٤) ذيل تاريخ دمشق ص ٨٤.

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٩ — ٧٠ .
Runciman , A History of the Crusades - vol. 2 P. 237

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٨٠ — ٢١٨ ؛

(٧) ابن الأثير : التاريخ فى الدولة الأتابكية ص ٧٠ — ٧١

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٨٠

(٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٠ — ٢١٨

(١٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ
ابن واصل مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوبه جـ ١ ص ٩٦ .

ألب أرسلان الاستئثار بالسلطة فى أتابكيته . (١)

انتهز حسام الدين تمرتاش — أمير ماردين — فرصة رفع زنكى الحصار عن البيرة وعودته إلى بلاده ، وسار إلى البيرة ، وشدد الحصار عليها ، وحال دون وصول المؤن والذخيرة إليها (٢) ولما عجز أهلها عن مقاومته ، رأوا أن من الخير تسليم بلدتهم لأمير ماردين خشية من وقوعها فى يد زنكى(٣) وهونو التمرتاش أمر الاستيلاء على البيرة (٤) وهكذا لم يبق بيد الفرنجة أى بلد شرقى الفرات . (٥)

كان للهزائم التى ألحقها جند الموصل والجزيرة بالصليبين فى الشام أثر بالغ فى نفوسهم (٦) فعولوا على الانتقام من المسلمين ، ففى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٥ م) اجتمع حشد كبير من الصليبيين بنواحى انطاكية لاستعادة الرها وأعمالها(٧) كما أن سكان الرها من الأرمن أرسلوا إلى جوسلين الثانى يطلبون منه القدوم إلى مدينتهم واستعادتها وخاصة أن زنكى ترك حامية صغيرة (٨) ، ولما علم عماد الدين زنكى بذلك باغت جموع الصليبيين ، وألحق بهم هزيمة ساحقة (٩) ، وردهم على أعقابهم ، ثم سار إلى الرها وقضى على المتآمرين(١٠) .

---

(١) Setton , A History of the Crusades. vol. 1. p. 461

(٢) Gibb , The Damascus Chronicle of the Crusades, p.288

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٠

(٤) ابو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ﺣ ١ ص ١٠٣

(٥) Runciman , A History of the Crusades. vol, 2. p. 238

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ﺟ ٢ ص ٢١٨ .

(٧) Setton , A Hisory of the Crusades. vol. 1 p. 461

(٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٢٨٢

(٩) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ﺟ ٢ ص ٢٨١

(١٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٢٨٢ .

Runciman , A History of the Crusades, vol. 2. p 239

البحر الأسود
القسطنطينية
سينوب
طرابزون
قسطمون
أماسيا
سيواس
آني
قرص
منازكرت
فان
قونية
ملطية
مرعش
الرها
حران
طرسوس
أنطاكية
حلب
قبرص
البحر المتوسط
طرابلس
حمص
حماه
دمشق
صور
طبرية
يافا
بيت المقدس
الكرك
الشوبك
القاهرة
مصر
بغداد
واسط
البصرة
الموصل
فارس
همذان
الجزيرة
سيناء
المدينة
مكة
البحر الأحمر
النيل
الشرق الأدنى
زمن
الحروب الصليبية

كذلك عول زنكى على محاربة حسام الدين تمرتاش - صاحب ماردين - لاعتقاده أنه تحالف مع الفرنجة الذين مكنوه من ضم البيرة(١) إلى حوزته ، فهاجم ماردين ، واستولى على بعض أعمالها ، ثم سار نحو الجنوب سنة ٥٤١ هـ - (٢) (١١٤٦ م) لمحاربة سالم بن مالك - صاحب قلعة جعبر ، وهو من حلفاء الفرنجة - غير أن زنكى ما لبث أن وافته منيته ، إذ قتله أحد غلمانه من اصل إفرنجى ، وزنكى من أبطال الإسلام فلما يأتى التاريخ بمثلهم ، وقد عبر أحد شاهدى العيان عن الفاجعة المروعة بقوله للقاتل : لقد قتلت المسلمين جميعاً بقتله .

استقر رأى جوسلين الثانى - بعد مقتل عماد الدين زنكى على استرداد البلاد التى انتزعت منه(٤) ، فأرسل إلى أهل الرها سنة ٥٤١ هـ - (١١٤٦م) يحرضهم على العصيان ، وتسليم البلد اليه ، فأجابوه إلى ذلك(٥) ، وسار إلى الرها ، واستعادها(٦) . غير أن جند عماد الدين زنكى اعتصموا بالقلعة ، ورفضوا تسليمها إلى الفرنجة(٧) ، وسار سيف الدين غازى بن زنكى - الذى خلف أباه فى حكم الموصل - إلى الرها لنجدتها(٨) ، كما زحف إليها أخوه نور الدين محمود - صاحب(٩) حلب فلما بلغ ذلك جوسلين ، وأيقن بعجزه عن التصدى للقوات الإسلامية عاد أدراجه(١٠) .

وبذلك فشلت محاولة جوسلين استعادة الرها ، لكنه لم يلبث — رغم

---

(١) ابن الأثير ، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٤ - ٨٦
(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب فى ذكرى دولة بنى أيوب جـ ١ - ٩٨ - ٩٩
(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٨٣
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١١٠
(٥) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤١ هـ .
(٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ١٩٢
(٧) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٩٠ ،
(٨) Grousset : Histoire des Croisades Vol . ?. P.203
(٩) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٦ .
(١٠) Vasiliev : History of the Byzantine Empire.. p. 418

تلك الهزيمة التى حلت به — أن واصل سياسته فى العمل على استرداد هذه المدينة ، فأرسل إلى البابا يوجين الثالث يستنجده ، ويطلب منه إنفاذ حملة تمكنه من استعادة البلاد التى انتزعها منه المسلمون(١) ، وكان البابا قد وقف على ضعف شأن الفرنجة فى بلادالشام من الحجاج والقادمين من بيت المقدس إلى أوربا(٢) ، فقرر الدعوة إلى حرب صليبية جديدة ، ولقيت دعوته موافقة كنراد الثالث — امبراطور ألمانيا — ولويس السابع — ملك فرنسا(٣)

سارت حملة صليبية ثانية إلى بلاد الشام سنة ٥٤٣ ﻫ (١١٤٧ م) . على رأسها كونراد الثالث — امبراطور ألمانيا — ولويس السابع — ملك فرنسا واتجهت إلى هذه البلاد عن طريق آسيا الصغرى(٤) ، غير أنها لم تقم بالمهمة التى جاءت من أجلها وهى استرداد الرها(٥) ، واستعادة شمال الشام ، وإنما عمدت إلى مهاجمة دمشق(٦) ، على الرغم من أن أتابكة دمشق حرصوا على صداقة الفرنجة فى بلاد الشام(٧) ، وذلك تحت تأثير مملكة بيت المقدس وأطماعها فى التوسع ، إذ أدرك حكام بيت المقدس الأهميه العسكرية والاقتصادية لمدينة دمشق(٨) .

اجتمع شمل هذه الحملة عند طبرية سنة ٥٤٣ ﻫ (١١٤٨ م) ثم سارت عن طريق بانياس إلى غوطة دمشق(٩) ، فأعد معين الدين أنر — نائب أتابك دمشق — العدة لصدها ، وبعث إلى سيف الدين غازى — أتابك الموصل —

---

(١) Setton : A History of the Crusades. vol. 1 p. 466

(٢) Runciman : A History of the Crusades vol .2 p 247

(٣) Setton : A History of the Crusades. Vol. 1 p. 467

(٤) Ibid : Vol. I. p. 406

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ ﻫ

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٢

(٧) ابو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ١٣٧

(٨) ابن قاضى شهبة : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ٩٠
Setton : A History of the Crusades. Vol . 1 p . 406

(٩) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان (القسم الأول) ج ٨ ص ١٩٧

يستنجده ، فسار إلى دمشق على رأس عشرين ألف مقاتل[١] ، وانضموا إلى نور الدين محمود - صاحب حلب - ، فنزلوا بمدينة حمص[٢] ، وكتب سيف الدين غازى إلى معين الدين أنر يقول له : « قد حضرت ومعى كل من يحمل السلاح فى بلادى ، فأريد أن تكون نوابى بمدينة دمشق ، لأحضر وألقى الفرنج ، فإن انهزمت دخلت وعسكرى البلد ، واحتمينا به ، وأن ظفرنا فالبلد لكم لا ينازعكم فيه أحد[٣] » ، كما أرسل سيف الدين غازى إلى الفرنجة يطلب منهم الكف عن مهاجمة دمشق[٤] ، ويتوعدهم بالحرب .

كذلك حذر معين الدين أنر الفرنجة المقيمين فى بلاد الشام من سيف الدين غازى إذا استمروا فى مهاجمة دمشق[٥] ، ومن مؤازرة الحملة الصليبية الثانية[٦] وعرض عليهم النزول عن مدينة بانياس[٧] فضلا عن أموال كثيرة يمنحها لهم فى مقابل التخلى عن هذه الحملة[٨] .

---

(١) المصدر السابق جـ ٦ ص ١٩٣

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٣) ابن الأثير ، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٩
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكرى دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١١٢

(٤) ابن قاضى شهبه ، الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ٩٠ — ٩٧
Setton : A History of the Crusade vol 1. p. 508

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٩

(٦) أرسل معين الدين أنر إلى الفرنجة القادمين إلى بلاد الشام يقول ، « أن ملك الشرق قد حضر ، فإن رحلتم وإلا سلمت البلد إليه وحينئذ تندمون وأرسل إلى الفرنجة المقيمين فى بلاد الشام يقول ، « بأى عقل تساعدون هؤلاء علينا ، وأنتم تعلمون أنهم إن ملكوا دمشق ، أخذ ما بأيديكم من البلاد الساحلية ، أما إن رأيت الضعف عن حفظ البلد سلمته إلى سيف الدين ، وأنتم تعلمون أنه لئن ملك دمشق لا يبقى لكم معه فى الشام مقام .
(ابن واصل ، مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ١١٣)

(٧) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ١٩٨

(٨) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١١٢
Setton: A History of the Crusades Vol , I p. 509

حاصر الصليبيون مدينة دمشق خمسة أيام ، لكن المدينة صمدت بفضل الإمدادات التى تدفقت عليها ، واستطاع أهل هذه المدينة صد هجماتهم على أسوار المدينة[١] ، بينما انتشرت قوات فى غوطة دمشق تهاجم الفرنجة المرابطة بها[٢] . وبلغ من شدة هجماتهم أن اضطر الفرنجة إلى نقل معسكرهم من الغوطة إلى شرق دمشق . غير أنهم لم يفيدوا من هذا المكان الذى عسكروا به لعدم وفرة مياهه ، فضلا عن مناعة أسوار دمشق فى هذه الجهة[٣] . ولما علم الصليبيون أن قوات الموصل وحلب شرعت فى الزحف لنجدة دمشق ، وأن الفرنجة فى الشام اتفقوا مع معين الدين أنر على التخلى عنهم[٤] ، استقر رأيهم على رفع الحصار عن دمشق ، وأبحر الإمبراطور الألمانى كنراد الثالث من عكا عائداً إلى بلاده[٥] . وهكذا لم تحقق هذه الحملة شيئاً سوى أنها فقدت كثيراً من جندها وعتادها[٦] .

لم تقف جهود سيف الدين غازى - أتابك الموصل - فى محاربة الصليبيين عند هذا الحد ، بل اشترك فى انتزاع حصن العزيمة[٧] من الفرنجة[٨] ، ذلك أن برتراند - أمير تولوز - عول على الانتقام من ريموند الثانى - أمير طرابلس - لاتهامه بالتحريض على قتل أبيه[٩] الكونت الفونسو[١٠] ،

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٩

(٢) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 238

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ
Setton : A History of the Crusades, Vol. 1. P. 509

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٩
Stevenson : The Crusaders in the East. p. 160

(٥) Runciman : A History of the Crusades , Vol . 2 p. 284

(٦) Grousset : Histoire des Croisades , Vol 2 : p. 271

(٧) Setton : A History of the Crusades vol. I. p. 511

(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٩) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٩٠

(١٠) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٤

فزحف أمير تولوز إلى حصن العزيمة، وانتزعه من ريموند الثانى[1]. وكان ذلك مما حمل هذا الأمير على الاستنجاد بسيف الدين غازى، وبعض أمراء المسلمين[2]، وطلب منهم أن يعاونوه فى استرداد هذا الحصن. فأجابوا طلبه[3].

هاجمت القوات الإسلامية حصن العزيمة. وامتنع به برتراند. ولما ضيقت عليه هذه القوات الحصار اضطر إلى التسليم[4]. وبذلك تيسر للمسلمين الاستيلاء على هذا الحصن، كما وقع فى أيديهم كثير من الأسرى من بينهم برتراند[5].

كذلك انضم أتابكة الموصل والجزيرة إلى نور الدين محمود فى الحرب التى نشبت بينه وبين الفرنجة سنة ٥٥٩ هـ (١١٦٣ م)[6] ذلك أن الفرنجة قصدوا مصر فى هذه السنة، فعول نور الدين محمود على مهاجمة بلادهم وسار لنجدته قطب الدين مودود - أتابك الموصل - وقرا أرسلان بن داود ابن أرتق - صاحب حصن كيفا - وألب أرسلان بن تمرتاش - صاحب ماردين[7] - ولما اجتمعت قواتهم عند نور الدين محمود، نازل حارم، ونصب عليها المنجنيقات، غير أن قوات الفرنجة ما لبثت أن زحفت إليها واضطرت القوات الاسلامية إلى الانسحاب قرب حلب. ومع ذلك فشلت قوات الفرنجة فى تتبعها[8] وعادت إلى حارم، فتعقبهم المسلمون،

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ١١٤

(٢) سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ٢٠٠.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٩٢.

(٤) Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 PP. 207-288

(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٦) ابن واصل، مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١١٤

(٧) ابن الاثير. الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٥٩ هـ

(٨) ابن واصل، مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١٤٥

Setton: A History of the Crusades Vol. 1 P. 551

(٩) سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ٢٤٦

وألحقوا بهم الهزيمة ووقع فى أيديهم كثير من أسراهم كان من بينهم بوهمند ـ صاحب أنطاكية[١] ـ غير أنه لم يستمر طويلا فى الأسر ، فقد أطلق سراحه بعد أن أدى أموالا كثيرة[٢] .

لم تقف جهود قطب الدين مودود فى محاربة الفرنجة عند هذا الحد ، بل انضم إلى نور الدين محمود للمرة الثانية فى مهاجمة الفرنجة فتوغلت قوات الموصل وحلب فى أعمال أنطاكية[٣] ، وحاصرت حصن الأكراد ـ على مقربة من حمص ـ ونزلوا بعرقة ، كما حاصروا حلب ، واستولوا[٤] عليها ثم فتحت قوات الموصل وحلب ، العريمة[٥] وصافيتا[٦] سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) وقصدوا حصن هونين ، وألحقوا الهزيمة بالفرنجة ، وعاد قطب الدين إلى الموصل بعد أن منحه نور الدين محمود الرقة مكافأة له على حسن بلائه فى مناهضة الفرنجة[٧] .

مهدت الانتصارات التى أحرزها كل من نور الدين محمود وقطب الدين مودود على الصليبيين فى أنطاكية السبيل لبعض أمراء بنى أرتق للتوسع فى بلاد الفرنجة فهاجم قرا أرسلان ـ صاحب حصن كيفا ـ الأجزاء الشمالية من إمارة الرها ونجح فى الاستيلاء على كركر[٨] .

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٩٠

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .
Runciman : A History of the Crusades Vol .2 p. 225-226 .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٩٠

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١٥٣

(٥) العريمة : قال أبو عبيد الله السكونى وبين أجا وسلمى موضع يقال له العريمة وهو رمل وبه ماء يعرف بالعبسية .
(ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٦ ص ١٦٤)

(٦) صافيتا : قرب بلدة عرقة آخر عمل دمشق شرق طرابلس .
(المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك . جـ ١ القسم الأول ص ١٠٠)

(٧) Stevenson : The Crusaders in the East. p. 165

(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٢ هـ
Setton : A History of the Crusades. Vol. I . P. 5512

كذلك أسهم أتابكة الموصل والجزيرة فى الحروب التى قام بها صلاح الدين يوسف بن أيوب ضد الصليبيين ذلك أنه لما ازدادت إغارات ريجنالد — أمير حصن الكرك — على المدن الاسلامية، وكثر تعرضه لقوافل المسلمين المتجهة إلى مصر أو القادمة منها (١)، عول السلطان صلاح الدين على مهاجمة هذا الحصن، وانضم إليه قرا أرسلان — صاحب حصن كيفا وآمد (٢) — وعندما اشتد حصار المسلمين لحصن الكرك، استنجد صاحبه بالفرنجة، فخرج لنجدته ريموند الثالث — أمير أنطاكية — فاضطر المسلمون إلى رفع الحصار عن الحصن، وسارت قواتهم إلى نابلس، فأحرقوها ودمروها، ثم عادوا إلى دمشق سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) (٣).

ولما خرج صلاح الدين لحصار حصن الكرك سنة ٥٨٣ هـ - (١١٧٧م) سار أتابكة الموصل والجزيرة وديار بكر لنجدته (٤) كما عهد هذا السلطان لمظفر الدين كوكبورى — صاحب حران والرهاء — بالمسير إلى عكا لمهاجمتها (٥) فزحف إليها، واشتبك مع الفرنجة فى معركة انتهت بانتصار قواته، واستيلائها على كثير من الغنائم (٦).

واصل صلاح الدين الحرب ضد الصليبيين سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) فأرسل إلى أمراء الموصل والجزيرة وديار بكر يستنفرهم، ويحثهم على سرعة القدوم إلى بلاد الشام، فأجابوا طلبه، ويذكر ابن شداد (٧) أن السلطان صلاح الدين سر كثيراً لقدوم هؤلاء الأمراء وأكرم وفادتهم ومنحهم

---

(١) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨ هـ
(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٥٣
(٣) أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٥٥
(٤) ابن واصل. مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ٢ ص ١٣٩ — ١٤٩
(٥) أبو شامه. الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٤٨
(٦) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨٣ هـ
(٧) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ١٣٦

الهدايا، وسارت(١) القوات الإسلامية المتحالفة إلى حصن الأكراد واستولت عليه، ثم هاجمت أنطرطوس واعملوا فيها التخريب، واستولوا على جبلة. ثم قصدوا اللاذقية وضموها إلى حوزتهم. كما فتحوا حصون صهيون وبكاس والشغر وسرمينية(٢) وبرزية وانتزعت القوات الإسلامية إلى جانب ذلك دورب ساك على نهر العاصى وبغراس. ولما عقد صلاح الدين هدنة مع بوهمند الثالث - أمير أنطاكية - أذن لعسكر الموصل والجزيرة بالعودة إلى بلادهم، وكافأ حلفاءه، وأجزل لهم العطاء(٣).

واستطاع صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يعد العدة لحرب شاملة ضد الصليبيين، وسانده فى ذلك أتابكة الموصل والجزيرة، ذلك أن أرناط - أمير أنطاكية - بعد أن وقع أسيراً فى أيدى المسلمين سنين عددا، تزوج من إتيمت دى ميلى Etiennette de Milly وريثة صاحب الأردن، وأطلقت يده فى حكم الأردن وحصنى الكرك والشوبك(٤).

وتعرض أرناط للقوافل الإسلامية السائرة بين دمشق والقاهرة مارة بحصنه، كما جرد حملة سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ على الجزيرة العربية. لكن قوات صلاح الدين أحبطت هذه المحاولة، وعلى الرغم من ذلك، فقد ظل أرناط يهاجم المسلمين، وأرسل أسطولا إلى شواطىء الحجاز. إلا أن العادل - نائب صلاح الدين فى حكم مصر - أرسل قوات شتت شمل الصليبيين شمال ينبع، وأسرت الكثير منهم، وفر الباقون وعلى رأسهم أرناط(٥).

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨٤ هـ.
(٢) العماد الكاتب الفتح القسى فى الفتح القدسى ص ٢٤٠ وما بعدها.
(٣) نفس المصدر ص ٢٦٢.
(٤) Setton: A History of the Crusades. I. p. 581
(٥) Stvenson: the Crusaders in the East p. 226

لذلك طلب أرناط من صلاح الدين عقد هدنة بينهما ، فوافق السلطان الأيوبى ، وعادت القوافل الإسلامية إلى المرور بين مصر والشام عبر صحراء الأردن فى أمن وطمأنينة ، ولكن أرناط لم يلبث أن نقض الهدنة ، وعاد مرة أخرى إلى أعمال السلب والنهب ، فهاجم قافلة إسلامية متجهة من القاهرة إلى دمشق ومحملة بالنعم الجليلة سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٦ م ، واستولى على كل ما فيها من نفائس ، ونهب أفراد القافلة ، وزجهم فى حصن الكرك (١) .

حاول صلاح الدين إنقاذ أسرى القافلة ، فطلب من أرناط إطلاق سراحهم ، وإرسال الأموال التى اغتصبها ، ولكنه رفض . فأرسل إلى جاى لوزجنان — ملك بيت المقدس — يطلب منه بذل مساعيه الحميدة لدى أرناط للافراج عن الأسرى ، وإطلاقه الأموال وفشل ملك بيت المقدس فى إقناع أرناط ، وفى هذا مايدل على أن صلاح الدين أراد حل المشكلة سلما ، ولما أصر أرناط على العناد نذر دمه وأعطى الله عهدا إن ظفر به أن يستبيح مهجته (٢) .

شن صلاح الدين عدة حملات استطلاعية على المواقع الصليبية ، فأدرك قادة الصليبيين مدى الخطر الذى يتهددهم من المسلمين ، فدخل ريموند الثالث — أمير طرابلس — فى طاعة الملك جاى لوزجنان واتفق معه على أن يعمل تحت قيادته فى مواجهة أى هجوم إسلامى ، وعسكر الصليبيون فى صفوريه — قرب عكا — ومعهم صليب الصلبوت فعول صلاح الدين على استدراج الصليبيين إلى طبريه ، فهاجمها ، وكان يحكمها أشيفا — زوجة ريموند الثالث .

لذا رأى الصليبيون خطورة الموقف ، واتجهوا إلى طبريه ، وضمت

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٩٢

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١٨٥

الحملة ، أرناط ، وجاى لوزجنان — ملك بيت المقدس — وجيرار دى ريد فورت مقدم الداوية . وريموند — أمير طرابلس (١) .

اجتمع الصليبيون واحتشدوا للدفاع عن إماراتهم ، واجتمعت كلمتهم بعد فرقتهم ، ولم تغن عنهم من الله شيئا ، وجمعوا فارسهم وراجلهم ، ثم ساروا من عكا إلى صفوريه ، وسار صلاح الدين وجنده وعسكر فى موضع مجاور لطبريه ، وصعد المسلمون جبلها وتقدموا حتى اقتربوا من الصليبيين فلم ير منهم أحدا ، ولا فارقوا خيامهم ، وأمر صلاح الدين فرقة من جنده بمنع الصليبيين من القتال ، بينما هاجم طبريه ، وشدد هجماته عليها ، حتى استولى على المدينة عنوة ، ولجأ من بها إلى القلعة ، واعتصموا بها ، وأطلق صلاح الدين لجنده العنان فى نهب البلدة وإحراقها ، عندئذ تقدم الصليبيون نحو معسكر المسلمين حتى اقتربوا منهم ، وكان المسلمون قد نزلوا على الماء والزمان قيظ شديد الحر ، ولم يتمكن الصليبيون من الوصول إلى ذلك الماء من المسلمين ، وكانوا قد أفنوا ما هناك من ماء الصهاريج ، ولم يتمكنوا من الرجوع خوفا من المسلمين ، فبقوا على حالهم إلى الغد ، وقد أخذ منهم العطش كل مأخذ ، وقد أدرك المسلمون ذلك ، وتأكدوا أنهم فى وضع أحسن بكثير من وضع العدو ، فباتوا يحرض بعضهم بعضا ، وقد وجدوا ريح النصر والظفر ، وكلما رأوا حال العدو السيء ، وخذلانهم زاد طمعهم وجرأتهم ، فأكثروا التكبير والتهليل طول ليلتهم (٢) .

وأصبح صباح يوم السبت من شهر ربيع الآخر سنة ٥٨٣ ﻫ ١١٨٧م تجمع المسلمون ، وتقدموا بقيادة القائد صلاح الدين ، واقتربوا من الصليبيين ، وكان حالهم قد ازداد سوءا بعد أن اشتد بهم العطش ، ودارت

---

(١) Stevenson : The Crusaders in the East P. 245.

(٢) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٨٣ﻫ

رحى معركة بين الفريقين ، وحمى وطيس القتال ، وحاول بعض جند العدو الاقتراب من طبرية حيث الماء ، فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدهم عن مرادهم ، وأمر جندة بالحيلولة بين العدو وبين الماء ، وطاف صلاح الدين بنفسه على المسلمين يحرضهم على مواصلة القتال ، والجهاد فى سبيل الله فأتمر المسلمون بأمره ، ووقفوا عند نهيه ، فهاجم المسلمون — بعد أن استثار القائد حماسهم — أعداءهم ، وحملوا عليهم حملة منكرة أنهكوا قوى العدو ، وقتلوا منهم كثيرين . ولما رأى الصليبيون أنهم لا طاقة لهم بالمسلمين . حاول بعضهم فتح طريق يخرجون منه ، وكان بعض المتطوعة قد أشعل فى تلك الأرض نارا ، وكانت الأعشاب والحشائش كثيرة ، فاحترقت ، وكانت الريح ، فحملت حر النار والدخان إليهم ، فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال . وأسقط فى يد الصليبيين بعد الهزيمة ، وكادوا يستسلمون ، لذلك رأوا أنهم لا يستطيعون النجاة إلا إذا شنوا حملات انتحارية على المسلمين . وفعلا هاجموا المسلمين بضراوة وعنف ، إلا أن المسلمين — الذين عقدوا العزم على مواصلة النضال مهما كانت التضحيات — تصدوا لهم . وقتلوا كثيرا منهم ، حتى وهنوا وضعفوا وتخاذلوا . وأدركوا أن الهزيمة لاحقة بهم لا محالة وأحاط بهم المسلمون إحاطة الدائرة بقطرها ، فصعد من استطاع من الصليبيين إلى تل بناحية حطين ، وأرادوا أن ينصبوا خيامهم ويحموا نفوسهم به . فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات ، واستولى المسلمون على صليبهم الأعظم المسمى صليب الصلبوت (١) .

وأعمل المسلمون فيهم السيف حتى أفنوهم ، وبقى ملك بيت المقدس

---

(١) يعتقد المسيحيون أن هذا الصليب قطعة من الخشب صلب عليها المسيح عليه السلام ، وكان استيلاء المسلمين عليه من أعظم المصائب عند المسيحين وأيقن الصليبيون بعده بالقتل والفناء والهلاك .

الصليبي على التل مع مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين الشجعان وأسر المسلمون الملك الصليبي وفرسانه عن بكرة أبيهم ، ومن بين الأسرى أرناط — أمير الكرك — ولم يكن من بين الصليبيين أشد عداءا للمسلمين من هذا الرجل . وأسر المسلمون جماعة من الداوية والإسبتارية وكثر القتل والأسر فيهم ، فكان من يرى القتلى لا يظن أنهم أسروا واحدا . ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحدا .(١)

نزل صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد هذا النصر المبين فى مخيمه ، وأحضر ملك بيت المقدس عنده . وأمراء الصليبيين ومن بينهم أرناط . وأجلس صلاح الدين ، الملك الصليبي إلى جانبه ، وقد أهلكه العطش ، وأضناه القتال ، فسقاه ماء فشرب ، وأكرمه وقال : إن الملوك لا تتعرض للملوك بسوء ، ولكن صلاح الدين رفض أن يسق أرناط ، ثم ذكره بذنوبه وآثامه وأخطائه الجسيمة حيال المسلمين ، وقام اليه بنفسه ، وقتله وقال : كنت نذرت دفعتين أن أقتله إن ظفرت به ، إحداهما لما أراد المسير إلى مكة والمدينة ، والثانية لما تعرض للقافلة الإسلامية بالسلب والنهب .

لما فرغ صلاح الدين من هزيمة الصليبيين أقام بموضعة باقى يومه وفى يوم الأحد عاد إلى طبرية ونازلها . فأرسلت صاحبتها اشيفا تطلب الأمان لها ولأولادها وأصحابها ومالها فأجابها إلى ذلك .

وغادرت البلدة مع جماعتها فى أمن وطمأنينة ، ثم أمر صلاح الدين بارسال الملك الصليبي والأمراء والفرسان الصليبيين إلى دمشق ، وأمر بقتل الأسرى من الداوية والإسبتارية ، لأنهم أشد شوكة من جميع الصليبيين ، فأراح المسلمين من شرهم المستطير ، وأمر نائبه فى دمشق بقتل من دخل البلدة منهم .

---

(١) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٨٣ م

بعد أن استولى صلاح الدين على طبريه . اتجه إلى عكا ، وحاول أهلها الدفاع عنها ، ولما رأوا قوات المسلمين فزعوا وجزعوا ، وخرج كثير من أهل عكا يضرعون ويطلبون الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم ، وآثروا الخروج عن البلدة خوفا من المسلمين بما خف حمله ، وغلا ثمنه من الأمتعة والعتاد ، ودخل صلاح الدين عكا ، وغنم المسلمون من البلدة مغانم كثيرة لأنها كانت مقصد التجار الصليبيين والروم وغيرهم (١) .

بعد أن استولى صلاح الدين على طبريه وعكا ، تفرق جنده فى البلاد التى كانت فى أيدى الصليبيين مثل الناصرة وقيساريه وحيفا وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها . وامتلك العادل — نائب صلاح الدين فى مصر — مدينة يافا عنوه . بينما سار صلاح الدين إلى صيدا ، فلما سمع صاحبها بمسير القائد المنتصر إلى البلدة ، أسقط فى يده ، وغادر البلدة ، وتركها من غير مدافع . فلما بلغها صلاح الدين تسلمها ثم سار إلى بيروت ، لكنه رأى أهلها قد صعدوا على سورها وتأهبوا للدفاع عنها ؛ وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا (٢) ، إلا أن المسلمين لم يخشوا من حملاتهم ، بل شددوا هجماتهم عليهم ، حتى وهنوا وضعفوا وأرسلوا إلى صلاح الدين يطلبون الأمان على أنفسهم وأموالهم ، فاستجاب لهم ، واستولى على المدينة بعد حصار دام ثمانية أيام ، وأما جبيل فإن صاحبها كان فى جملة الأسرى الذين سيقوا إلى دمشق ، وأطلقه صلاح الدين بعد أن تنازل عن جبيل للمسلمين (٣) .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١١٥

(٢) عماد الدين الكاتب : الفتح القسى ص ٣٥

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١٣٩

وبذلك استولى صلاح الدين على معظم المدن والقلاع والمراكز الساحلية فى جنوب بلادالشام ، إلا أنه ترك من فيها من الصليبيين أحرارا وأذن لهم بالمقام فى البلاد التى استولى عليها ، أو مغادرتها فقصد معظمهم إلى صور حيث احتشدت الجماعات المتخلفة من مملكة بيت المقدس الصليبية وقد أدى ذلك إلى صعوبة التغلب عليها ، الأمر الذى لم يغب عن ذهن السلطان صلاح الدين ، فأزمع تأجيل مهاجمتها ، والاتجاه إلى غيرها (١).

ولما استولى صلاح الدين على بيروت وجبيل وغيرهما ، عول على المسير إلى عسقلان والقدس ، وعسقلان لها أهمية استراتيجية لصلاح الدين لأنها على طريق مصر ، وأيضا تيسر له الزحف إلى القدس ، وكان صلاح الدين يفضل أن تتصل الولايات له ليسهل خروج الجند منها ، ودخولهم إليها ، فسار عن بيروت نحو عسقلان ، واجتمع بأخيه العادل ومن معه من جند مصر ، وهاجموها ، وكان صلاح الدين قد أحضر أسيريه الملك الصليبى ، ومقدم الداوية من دمشق ، وطلب منهما أن ييسرا له استلام البلدة مقابل أن يفرج عنهما ، فأرسل الأسيران إلى الصليبيين المحاصرين فى عسقلان يطلبان منهم التسليم فلم يستجيبا لطلبهما ، وردوا عليهما أقبح رد ، فلما رأى السلطان صلاح الدين ذلك شدد هجماته على عسقلان ، ونصب المنجنيقات عليها ، وضرب المدينة بعنف وضراوة حتى أيقن أهلها بعدم استطاعتهم الصمود أمام ضربات المسلمين القوية ، فأرسلوا إلى صلاح الدين يطلبون منه التسليم مقابل شروط اشترطوها ، فأجابهم صلاح الدين إليها وسلموا المدينة للمسلمين بعد حصار دام أربعة عشر يوما ، وسيرهم صلاح الدين ونساءهم وأموالهم وأولادهم إلى بيت المقدس ، ووفى لهم بالأمان ، وأعقب الاستيلاء على طبريه ، فتح البلاد المجاورة لها مثل الرملة وغزة

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ٢ ص ٨١٢

ومشهد ابراهيم الخليل وبيت لحم وغيرها (١) .

كان لابد لصلاح الدين يوسف بن أيوب ، وهو القائد الذى بذل كل جهده لتحرير الأرض الإسلامية المغتصبة أن يتوج انتصاراته الرائعة على الصليبيين بالعمل على استرداد بيت المقدس الذى انترعه الصليبيون من المسلمين فى الحملة الصليبية المعروفة بالأولى ، وفعلا أعد صلاح الدين العدة لاسترداد بيت المقدس بعد أن استولى على عسقلان وما يجاورها ، فأمر قائد أسطوله فى مصر بالاقلاع إلى سواحـــل الشام لمنع وصول الامدادات إلى الصليبيين فى الشام عبر البحر المتوسط . وهاجم صلاح الدين المدينة المقدسة ، واحتشد الصليبيون للدفاع عنها ، واجتمعوا من كل مكان للدفاع عن البلدة بجهدهم وطاقتهم مظهرين العزم عـــلى النضال . ونصبوا المنجنيقات للحيلوله بين أعدائهم وبين البلدة ودارت مناوشات بسيطة ، ثم هاجم صلاح الدين البلدة من ناحية الشمال ونصب المنجنيقات ، ورمى بها ، ودار قتال شديد ، ولما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين ، وتحكم المنجنيقات بالرمى المتدارك ، وتمكن المسلمين من إحداث ثغرات فى سور البلدة ، وأنهم أشرفوا على الهلاك ، اتفق كبارهم على طلب الأمان ، وتسليم بيت المقدس إلى صلاح الدين . فأرسلوا جماعة من كبرائهم وأعيانهم فى طلب الأمان ، فأظهر صلاح الدين امتناعا ، ولكن باليان قال للسلطان : اعلم أننا فى هذه المدينة فى قلق كثير ، وإنما يفترون عن القتال رجاء الأمان ظنا منهم أنك تجيبهم إليه ، وهم يكرهون الموت ، ويرغبون فى الحياة . فإذا رأينا الموت لابد منه فلا بد أن نقتل أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا ولا نتركم تغنمون منها ديناراً واحداً ولا درهما ولا تسبون وتأسرون رجلا ولا إمرأة . وإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد

(١) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٨٣ هـ .

الأقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ، ولا نترك لنا دابة ولا حيوان إلا قتلناه ، ثم خرجنا اليكم كلنا قاتلنا كم قتال من يريد أن يحمى دمه ونفسه ، وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله ، ويموت أعزاء [١]

رأى صلاح الدين استلام المدينة صلحا بعد أن أنهكت الحرب جنده وبعد أن أيقن باعتزام الصليبيين الحرب إذا لم يوافق على الصلح . فبذل للصليبيين الأمان ، وكان الرجل منهم يفتدى نفسه بعشرة دنانير يستوى فيها الغنى والفقير ، والمرأة خمسة دنانير ، والطفل دينارين وأمهلهم أربعين يوما . يغادرون خلالها البلدة بعد أن يؤدوا المبلغ الذى قرره عليهم ، وغادروا البلدة بأمتعتهم ، وتسلمها المسلمون فى السابع والعشرين من رجب ، وكان يوما مشهودا ، ورفعت الأعلام الإسلامية على أسوار القدس . وترك الصليبيون مالم يستطيعون حمله من معداتهم وذخائرهم وأمتعتهم وأموالهم وباعوا ذلك بأرخص الأسعار ، وترك صلاح الدين النصارى من أهل القدس الأصليين يعيشون فى كنف الحكم الإسلامى فى أمن وسلام [٢] ، كما كان الحال منذ فتح القدس فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وتم هذا الفتح سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م .

لما استرد صلاح الدين القدس عمر البلدة التى خربتها ودمرتها قوى البغى والعدوان ، ولقد ذكرنا أن صلاح الدين استرد القدس فى ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن الكريم ، ويذكر ابن شداد أن هذا الفتح العظيم شهده من أهل العلم خلق عظيم ، ومن أرباب الحرف والطرق ، وذلك أن الناس لما بلغهم أنباء هذا النصر ، قصد العلماء من مصر ومن الشام القدس

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢١٢

(٢) ابن الاثير الكامل حوادث سنة ٥٨٣ هـ

وارتفعت الأصوات بالدعاء والتسبيح والتهليل والتكبير . وخطب في المسجد الأقصى ، وصلى فيه الناس يوم فتحه . وأمر القائد بحط الصليب الذى كان على قبة الصخرة ، وجمع صلاح الدين الأموال من الصليبيين الذين غادروا البلدة ، وفرقها على الأمراء والعلماء (١) .

وبذلك استرد المسلمون القدس ، وكان صلاح الدين — كما رأينا — متسامحاً كريماً مع الصليبيين ، فلم يعمل فيهم السيف ، كما فعل الصليبيون في الحملة الأولى عند استيلائهم على القدس .

لما توطدت أقدام المسلمين في القدس والمدن الساحلية ، اعتزم صلاح الدين فتح صور ، لأن فتحها كان أمراً لابد منه لأن الصليبيين الفارين من الغزو الإسلامى ، احتشدوا بها ، فضلا عن الإمدادات التى كانت تصلها من أوربا . وهاجم صلاح الدين البلدة ، وضايقها وقاتلها قتالا عظيما . واستدعى أسطول مصر ، وكان يحاصرها من البحر ، والعسكر من البر . ولكن الأسطول الصليبى هاجم الأسطول الاسلامى ، ودمره . وقتل فى هذه الواقعة الكثير من المسلمين ، ورأى السلطان صلاح الدين أنه لا يستطيع البقاء طويلا فى المعركة بعد أن هجم الشتاء ، وتراكمت الأمطار ، فقرر الانسحاب من البلدة ، ليأخذ جنده قدراً من الراحة ، ويستعدوا لهذا الأمر استعداداً جديداً ، ففرق العساكر ، وسار كل قوم إلى بلادهم ، وكان عدداً كبيراً من قواته من بلاد الجزيرة ، انسحبت إلى ديارها بعد أن أدت واجبها خير أداء . أما السلطان فقد عاد الى عكا مع جماعة من خواصه حتى دخلت سنة ٥٨٤ هـ . وعادت الحروب الصليبية من جديد .

ذلك أن الانتصارات التى أحرزها صلاح الدين على الصليبيين أحدثت

---

(١) النوادر السلطانية ص ٦٦ — ٦٧

دوياً هائلا فى أوربا ، فارتفعت الصيحات مطالبة باسترداد بيت المقدس ، وخرجت من أوربا إلى الشرق الحملة الصليبية الثالثة لهذا الغرض ، وتزعمها ثلاثة من كبار ملوك أوربا ، هم فردريك باربروسا — إمبراطور ألمانيا — وفيليب أغسطس — ملك فرنسا — ورتشارد قلب الأسد — ملك انجلترا — غير أن إمبراطور ألمانيا مات غرقا ، وهو فى طريقه إلى الشام . لذلك تشتت شمل جنده ، ولم يصل منهم إلى عكا سوى عدد قليل . أما رتشارد وحليفه فيليب فقد نجحا فى الاستيلاء على عكا . فى سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م رغم استبسال المسلمين فى الدفاع عنها . ولم يلبث أن عاد فيليب إلى فرنسا ، وبقى ملك انجلترا فى الشام يحارب المسلمين ، فاستولى على أرسوف ويافا وحصنهما من جديد . واعتزم استرداد بيت المقدس . وعلى الرغم من سيطرته على المدن الساحلية ، فإنه تفاوض مع صلاح الدين فى الصلح . وأدت هذه المفاوضات إلى صلح الرملة .

كانت الحالة فى انجلترا تستدعى عودة رتشارد قلب الأسد إليها ، ودب التنافس بينه وبين الأمراء الصليبيين فى الشام ، كما أنه أدرك أنه يتعذر عليه الاستمرار فى انتصاراته على المسلمين لحرصهم على مواصلة النضال لتحرير بلادهم ، لذلك عقد ملك انجلترا صلح الرملة مع صلاح الدين ويتضمن الشروط الآتية :ـ

١ — تخريب عسقلان لأنها مفتاح بيت المقدس .

٢ — يحكم الصليبيون الساحل من صور إلى يافا . ويكون جنوبى ذلك الساحل لصلاح الدين ، وتقع فى حدوده بيت المقدس .

٣ — يسمح للمسيحيين بالحج إلى بيت المقدس فى أمن وسلام (١) .

وعلى أثر هذا الصلح عاد رتشارد قلب الأسد إلى بلاده . ولم يلبث

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٢٦٣ .

أن توفى صلاح الدين فى العام التالى . بعد أن بذل جهوداً مضنية فى توحيد القوى الإسلامية ، والحد من قوة الصليبيين . ولم يعد للصليبيين سوى بعض البلدان على الساحل .

حاول الصليبيون بعد ذلك شن حملات على مصر ، لأنها مركز المقاومة ضدهم ، وأدركوا أهميتها الاستراتيجية ، فهى تمكنهم من النفاذ إلى البحر الأحمر ، والاستفادة من طريق تجارة الشرق ، فضلا عن تطلعهم إلى الاستفادة من موارد مصر الاقتصادية .

ومن أهم الحملات الصليبية على مصر حملة جان دى برين التى هاجمت دمياط سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م ، وكان يحكم مصر فى ذلك الوقت السلطان العادل بن أيوب ، لكنه لم يلبث أن توفى ، وخلفه ابنه الملك الكامل الذى حاول إنقاذ دمياط ، ومنع الصليبيين من عبور النيل . وقد تجلت شجاعة المصريين فى الدفاع عنها ، وعرض الملك الكامل على الصليبيين النزول عن بيت المقدس فى مقابل رفع الحصار عن دمياط ، لكنهم رفضوا . وهذا يدل على أن الصليبيين فى حملاتهم لم يعد يهمهم بيت المقدس بقدر ما يهمهم المصالح الاستراتيجية والاقتصادية . ثم اعتزم الصليبيون المسير إلى القاهرة . واخترقوا الدلتا وسط منطقة مائية تجرى فيها عدة قنوات ، وكان ذلك وقت فيضان النيل .

أما المصريون فاستعدوا للمقاومة فى المنصورة ، وحطموا السدود ، وتركوا المياه تغطى المنطقة . وبذلك أحيط الصليبيون بالمياه ، وحاولوا الهرب ، فلم يتمكنوا ، وطلبوا الأمان ، فقبل الملك الكامل ، وسمح لهم بالرحيل من مصر فى أمان ، وجلوا عن دمياط .

ولم تكد تهدأ الأحوال فى مصر حتى جاءت الحملة الصليبية السادسة ثم تلتها الحملة الصليبية السابعة ، وقادها لويس التاسع — ملك فرنسا — وقاد جيشا قويا ، وأسطولا ضخما . وسار قاصداً مصر . وعلى الرغم مما

تعرضت له جيوشه من صعوبات بين قبرص ومصر ومقاومة الصليبيين لجيشه فور نزوله مصر ، إلا أنه استولى على دمياط ، ثم سار إلى القاهرة واستخدم نفس الطريق الذى استخدمه أسلافه من قبل . ووصل لويس إلى المنصورة ، وكانت محصنة تحصينا قويا من الداخل والخارج لحاصرها ، ورغم دفاع المسلمين المجيد وقذفهم جيشه بالرماح والسهام والنيران الإغريقية ، فإن لويس انتصر عليهم بعد أن فقد نصف فرسانه فى المعركة(١) . فى هذه الأثناء مات الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأرسلت شجرة الدر تستدعى توران شاه — ابنه — فقدم إلى المنصورة وولى السلطنة بعد أبيه ، وقاد الجيش الأيوبى بمهارة فائقة ، واستطاع أن يحاصر الصليبيين ، كما منع المؤمن والإمدادات عنهم حتى أشرفوا هم وخيولهم على الفناء ، وطلب لويس التاسع الصلح ، وعرض نزوله عن دمياط مقابل أخذه بيت المقدس ، ولكن توران شاه رفض مطلبه لأنه شعر بقوته ، وطارد لويس الذى تقهقر إلى دمياط ، والتقى به توران شاه فى فارسكور ، فأوقع به الهزيمة ، وفى موقعة فارسكور نكل المسلمون بقوات ملك فرنسا ، وأغرقوا سفنهم فى النيل ، وغنموا منهم مغانم كثيرة ، وأسروا منهم عدداً كبيراً من بينهم الملك الفرنسى نفسه ، وبعض الأمراء والنبلاء ، وظل لويس التاسع أسيراً فى سجن ابن لقمان بالمنصورة ، حتى افتدى نفسه بمبلغ كبير من المال ، وانسحب الصليبيون نهائيا من مصر(٢) . وبذلك فشلت الحملة الصليبية السابعة فشلا ذريعا .

كانت حملة لويس على تونس آخر الحملات الصليبية على الشرق ، ولم يبق أمام المسلمين سوى تصفية البقية الباقية من الصليبيين فى بلاد الشام .

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٣٣٤ — ٣٣٥

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٦٦

وقام المماليك فعلا بهذا الدور ، فاستولى السلطان بيبرس على حصن الكرك سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م . وعلى قيصبريه وأرسوف وصفد سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م ، ثم سقطت يافا فى يده بعد عامين ، واستطاع أخيرا أن يستولى على أنطاكية ، واختتم أعماله الحربية بالاستيلاء على حصن الأكراد .

وفى سنة ٦٧٥ هـ/١٢٨٥ م حاصر السلطان قلاوون اللاذقية ، واستولى عليها ، ثم حاصر طرابلس بعد ثلاث سنوات ، فسقطت فى يده بعد شهر من حصارها . وفى سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م هاجم السلطان خليل بن قلاوون عكا ، وحاصرها وتمكن من دخولها . بعد أن ظلت فى أيدى الصليبيين مائة عام ، ثم استولى على صور وحيفا وبيروت ، وكان عام ٦٩٢هـ/سنة ١٢٩١م نهاية أمر الصليبيين فى الشرق ، إذ تم طردهم نهائيا من آخر معاقلهم فى بلاد الشام . وبذلك تخلص الصليبيون من الخطر الصليبى الذى استمر فى الشرق قرابة قرنين من الزمان .

وهكذا لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهدا فى دفع الخطر الصليبى عن البلاد الاسلامية ، فى بداية أمرهم تمكنوا من صد هجمات الفرنجة المتوالية عن بلاد الشام والعراق ، ولما علا شأن الأتابكة ، وقوى بأسهم وكثر جندهم تحول موقفهم من الدفاع إلى الهجوم ، فأغاروا على الأمارات الصليبية ، بل انتزعوا بعض مدن الفرنجة ، كما حدث فى عهد ايلغازى ابن أرتق — أمير ماردين — وعماد الدين زنكى — أتابك الموصل .

وصفوة القول أن موقف أتابكة الموصل والجزيرة من الصليبيين بعد بداية للجهود التى بذلها الأيوبيون ثم المماليك من بعدهم فى سبيل إجلاء الصليبيين نهائيا عن البلاد الإسلامية .

٣ — المغـــول

نشأ المغول فى الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبى ، وهذا الإقليم موارده الاقتصادية قليلة ، وتحيط الجبال بالهضبة ، لذا عاش سكان هذا الإقليم على الرعى ، وعاشت القبائل فى هذا الإقليم حياة ترحال وتجوال ، وكثر التنازع والتخاصم فيما بينها ، ولقد كثرت إغارات هذه القبائل على المناطق الخصبة المجاورة ، لذا شيد الصينيون سور الصين العظيم لحماية بلادهم من خطر القبائل المستطير .

ظلت هذه القبائل على هذا الحال من الفرقة والتمزق حتى استطاع شاب فى ريعان شبابه الغض ، فى السابعة عشرة من عمره ، أن يوحد صفوف هذه القبائل تحت لوائه ، وهذا الشاب هو تيموجين الذى هز بفتوحاته أركان الدول فيما بين الصين شرقا والبحر الأدرياتى غربا فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى .

كان أبوه رئيساً لاحدى القبائل المغولية ، ولما توفى كان تيموجين غرا فى الثالثة عشرة من عمره ، فانصرف عنه الكثير من رجال أبيه وأقاربه . واستصغروه واستضعفوه ، وعاش هذا الفتى مع عائلته عيشة حرمان وشقاء وعرف عن تيموجين القدرة الفائقة على احتمال الشدائد والصعاب ، وقاسى الكثير من النكبات فى حياته الأولى ، وهذه المحن التى تعرض لها أصقلته . وأخرجت منه رجلا صلبا قويا شجاعا .

لما بلغ تيموجين السابعة عشرة سيطر على أفراد قبيلته ، ولم يلبث أن بسط نفوذه على سائر القبائل المجاورة ، وفى سنة ٦٠٠ هـ ظهرت دولة تيموجين — جنكيزخان .

بعد أن وحد جنكيزخان القبائل المغولية فى مملكة واحدة ، تطلع إلى بسط نفوذه ، وتوسيع دولته ، وكان المجال الحيوى له ، بلاد الصين التى

تقع جنوب مملكته — حيث الخصب والرخاء والازدهار ، فشن عدة حملات على امبراطورية كين ، واستولى على مساحات شاسعة من بلاد الصين ، وسيطر على بكين فى سنة ٦١٢ هـ / سنة ١٢١٥ م ، واستفاد المغول من حضارة الصين المادية والأدبية .

وقبل أن نتحدث عن زحف المغول على ديار الإسلام يجدر بنا أن نتكلم عن قيام الدولة الخوارزمية ، على اعتبار أنها منعت زحف المغول فترة من الوقت على العالم الإسلامى ، وتلقت أول ضربة من جحافل المغول .

أسس الدولة الخوارزمية نوشتكين — أحد الأتراك فى بلاط ملكشاه — وكان يشغل وظيفة الساقى ، وما زال يترقى فى سلك الوظائف ، وكان حسن الطريقة كامل الأوصاف ، وقد أدب ابنه محمد ، وأحسن تأديبه ، لذا وقع اختيار أحد قادة بركياروق عليه ليكون حاكما على إقليم خوارزم ولقبه خوارزمشاه سنة ٤٩٠ هـ وكان حاكما عادلا ، قصر أوقاته على معدلة ينشرها ، ومكرمة يفعلها ، وقرب أهل العلم والدين ، فازداد ذكره حسنا ومحله علوا ، ولما ملك السلطان سنجر السلجوقى خراسان ، أقر محمد خوارزمشاه على إقليم خوارزم وأعمالها ، فظهرت شجاعته وكفايته ، فعظم سنجر محله وقدره (١) .

لما توفى محمد بن نوشتكين ولى ابنه أتسز ، فمد ظلال الأمن وأفاض العدل . وقربه السلطان سنجر ، وعظم ابنه واستصحبه معه فى أسفاره وحروبه ، فظهرت منه الكفاية والشهامة ، فزاده تقدما وعلوا .

عول أتسز على توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السلجوقية المتداعية ، وانتهز فرصة تهديد الخطا للسلاجقه ، لكن سنجر أحبط محاولته ، وهزمه ، لكن أتسز استجمع قوته . وانتهز فرصة سيطرة الخطا

(١) ابن الأثير الكامل حوادث سنة ٤٩٠ هـ

على بلاد ما وراء النهر ، واستولى على خراسان ، وجلس على عرش سنجر ، واستولى على أمواله وجواهره سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م وقطع الخطبة للسلطان سنجر ، لكن سنجر استطاع أن يسترد إقليم خراسان من أتسز سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، وتعهد أتسز بالاعتراف بسيادة الدولة السلجوقية .

على أن الدولة الخوارزمية أخذت تزداد قوة ، بينما أخذت الدولة السلجوقية فى الضعف والانحلال بعد وفاة سنجر ، ومدت الدولة الخوارزمية نفوذها على البلاد التابعة للسلاجقة ، واستطاع السلطان الخوارزمى تكش أن يهزم ويقتل آخر السلاطين السلاجقة ، ويستولى على ملك السلاجقة فى العراق ، واستولى على أصفهان والرى .

ولما توفى تكش سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م خلفه ابنه علاء الدين محمد خوارزمشاه ، فسار على سياسة أبيه الرامية إلى توسيع حدود دولته ، فاستولى على معظم إقليم خراسان ، واستطاع أن يهزم الخطا سنة ٦٠٦هـ / ١١٠٩ م ، ويبسط سيطرته على بلاد ما وراء النهر . واستولى على إقليم كرمان ومكران ، والأقاليم الواقعة غرب نهر السند وعلى ممتلكات الغور فى أفغانستان . وبذلك بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها فى عهد السلطان علاء الدين خوارزمشاه ، إذ امتدت من حدود العراق العربى غرباً إلى حدود الهند شرقا ، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالا إلى الخليج الفارسى والمحيط الهندى جنوباً (١) .

على أن الدولة الخوارزمية قد جاورت دولة المغول — التى أشرنا إليها — ولم يكن هناك بد من حدوث احتكاك بين الدولتين ، وقد حدث ذلك فعلا حينما وفد جماعة من التجار من رعايا جنكيزخان على مدينة أترار

---

(١) حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ص ٣٨

على نهر سيحون التى تعد مفتاح التجارة بين شرق آسيا وغربها ، وخشى حاكم أترار الخوارزمى بأس هؤلاء التجار ، واعتقد أن مهمتهم الحقيقية التجسس وليس التجارة ، وأرسل إلى السلطان بخبرهم ، لذا أمر خوارزمشاه بمراقبتهم ثم قتلهم .

وبذلك ساءت وتوترت العلاقات بين الدولتين المغولية والخوارزمية وأصبحت الحرب وشيكة الوقوع بينهما ، وقد اشتد غضب جنكيزخان فهجره النوم ، وأطال التفكير فيما يجب أن يفعل ، وصعد إلى قمة تل عال ، وقضى ثلاثة أيام يفكر ويدبر(١) ، وفى النهاية أرسل إنذارا إلى علاء الدين خوارزمشاه يتوعده إذا لم يسلم إليه حاكم اترار ، ولكن علاء الدين رفض الإنذار ، فاستعد كل من الرجلين للحرب والقتال . وبذلك جرت مذبحة أترار على المسلمين الويلات ، إذ تعرض دار الإسلام على أثر ذلك لكارثة مروعة ، سالت فيها دماء المسلمين أنهاراً ، ودمرت المدن والقرى ، وعفت الآثار ، وخربت الديار .

زحفت جيوش المغول إلى بخارى ، واستولت عليها ، ثم دخل المغول سمرقند ، وأوقعوا بأهلها الهزيمة ، ولم تقف غارات المغول عند هذا الحد ، بل واصلوا غاراتهم حتى استولوا على نيسابور ومازندران والرى وهمذان .

ولما توفى علاء الدين محمد خوارزمشاه سنة ٦١٧ هـ خلفه ابنه جلال الدين منكبرتى فى حكم الدولة الخوارزمية ، فواصل سياسة أبيه فى محاربة جنكيزخان ، فأوقع بجيوشه الهزيمة ، ثم التقى به عند نهر السند حيث دارت بينهما معركة ، أظهر فيها جلال الدين شجاعة أوقعت الرعب فى قلوب المغول ، غير أن انسحاب فريق من جيشه بسبب النزاع الذى قام بين

---

(١) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٤٠١ .

قواده ، اضطره إلى المسير إلى الهند لكنه سرعان ما غادرها على أثر عودة جنكيزخان إلى بلاده ، وأخذ يعمل على جمع شتات الدولة الخوارزمية ، وعلى الرغم من أنه وفق فى ذلك إلى حد كبير إلا أن المغول بزعامة اجتاى تمكنوا من التغلب عليه سنة ٦٢٨ م .

بينما استطاع أتابكة الموصل والجزيرة التصدى للصليبيين إلا أنهم لم يتمكنوا من الدفاع عن بلادهم ضد الغزو المغولى ، ففى سنة ٦٢٨ هـ (١٣٠ م) أنفذ أجتاى Ogtai ابن جنكيزخان وخليفته جيشا من ثلاثين ألف مقاتل بقيادة شيرماجون Churmagun وبيدشو Baidshu إلى إيران (١) ، وبعد أن تمكنت قوات المغول من الاستيلاء على الرى وهمذان (٢) واصلت زحفها إلى أذربيجان (٣) ، فاستنجد سلطانها جلال الدين منكبرتى بأتابكة ديار بكر (٤) والجزيرة ، وأرسل إليهم يقول : « إن جيشا جرارا من عساكر التتار ، كأنه النمل والشعابين من حيث الكثرة والقوة ، قد تحرك نحونا ، فإذا ترك وشأنه ، فسوف لا تصمد أمامه القلاع والأمصار ... فليسارع كل منكم إلى إمدادنا بفوج من الجنود ، حتى إذا ما وصلهم نبأ اتفاقنا واتحادنا فترت قوتهم وفت فى عضدهم ، فيتشجع جنودنا ، وتقوى (٥) قلوبهم .

على أن أمراء ديار بكر والجزيرة لم يعملوا على نجدة جلال الدين منكبرتى ، فأخذ يتنقل من بلد إلى آخر ، ولم تزل قوات المغول تتعقبه

---

(١) Howorth : History of the Mongols. Vol. 1 p. 130

(٢) حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ص ١٩٣

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٥

(٤) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥٤ — ١٥٥

(٥) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ١٨٣

حتى بلغ مدينة آمد[١]، فاشتبك معهم فى معركة على أبواب هذه المدينة [٢] وأخذت قوات المغول تعيث فسادا فيها . كما أغاروا على مدينتى أرزن وميافارقيسن[٣] ، وقصدوا مدينه أسعور [٤] ، فقاتلهم أهلها قتالا شديدا ثم منحهم المغول الأمان[٥] ، فأوقفوا القتال . غير أن المغول لم يفوا بعهدهم ونكلوا بسكان البلدة ، ولم ينج منهم إلا القليل . ثم واصلوا زحفهم حتى بلغوا ماردين ، وأعملوا فيها النهب والتخريب ، واضطر صاحب ماردين إلى الاحتماء بالقلعة . غير أن المغول انصرفوا عن ماردين واتجهوا إلى نصيبين ، فنهبوها ، وقتلوا كل من ظفروا به من أهلها [٦]

لم يكتف المغول بما أحدثوه فى بلاد ديار بكر والجزيرة من تخريب وتدمير ، بل أغاروا كذلك على سنجار وأعمالها [٧] ، وهاجموا الخابور والموصل وأعمالها ، وامتدت غاراتهم إلى الفرات وعادوا إلى آمد ثم بدليس[٨] فتحصن أهلها بالقلعة والجبال ، لكن المغول مالبثوا أن تغلبوا عليهم[٩] .

كذلك تعرضت أتابكية أربل لهجمات المغول سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م)

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٢) قتل فى هذه المعركة وأسر كثير من الخوارزمية ، وتفرق الباقون ، وولى السلطان جلال الدين هاربا فى قلة من فرسانه ، ولجأ إلى جبال كردستان، حيث قتله أحد الأكراد (محمد بن أحمد النسوى . سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ص ١٠٨)

(٣) Howorth : History of the Mongols. Vol. 1 P. 130

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٧٥

(٦) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٥٥

(٧) ابن الأثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٨) بدليس : بلدة من نواحى أرمينية قرب خلاط (ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٣ ص ٩٠)

(٩) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٥٥
Howorth : History of the Mongols. Vol. 1 P. 132

فشنوا غارات على أعمالها ، وتغلبوا على جند التركمان والأكراد الذين اعترضوا طريقهم (١) ، كما أنهم بعد أن دخلوا إربل عاثوا فيها وفى أعمالها نهبا مما اضطر أميرها مظفر الدين كوكبورى إلى الاستنجاد بأتابك الموصل ، فأرسل اليه جيشاً عاونه فى صد المغول عن بلاده (٢) .

على أن المغول مالبثوا أن عاودوا غاراتهم على اربل سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٤) ، فتحصن أهلها بالقلعة واضطروا إلى فداء أنفسهم بالمال بعد أن شدد المغول حصارهم (٣) .

كذلك امتدت غارات المغول إلى ماردين ، فسير هولاكو جيشا إليها سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) غير أن أميرها الملك السعيد تحصن فى القلعة وأرسل القائد المغولى إليه يحذره من التمادى فى المقاومة (٤)، لكن الملك السعيد ، رفض الاستسلام ، لما عرفه من غدر المغول (٥) الذين ظلوا يشددون الحصار على قلعة ماردين ، حتى اجتاحها الغلاء والوباء والقحط ، فثار مظفر الدين على أبيه الملك السعيد ، وانتزع منه القلعة وأرسل إلى القائد المغولى يطلب منه الكف عن القتال فى مقابل نزوله عن القلعة ، فاستجاب له ، وأقره هولاكو على حكم ماردين (٦) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٣٧٥

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : تاريخ المغول جـ ١ ص ٣٢٥

(٤) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٥٤ — ١٥٥

Howorth : History of the Mongols. vol. 4 p. 161

(٥) حذره القائد المغولى قائلا: اهبط من القلعة ، وقدم الطاعة والولاء لملك العالم ، ليبقى لك رأسك ومالك ونساؤك وأبناؤك ، مهما تكن قلعتك محكمة مرتفعة، فلا تغتر بأبراجها وارتفاعها ، ولو بلغت رأسك السماء ، فانها ستصير ترابا تحت أقدام جيش المغول فان كان الاقبال والسعادة حليفين لك ، فعليك أن تستمع لنصحى ..)

(رشيد الدين فضل الله ، تاريخ المغول جـ ١ ص ٣٢٥)

(٦) لما قصد الملك المظفر هولاكو وجه اليه اللوم لأنه قتل أباه ، فقال له الملك المظفر =

كان هولاكو يحرص على أن يظل أمير ماردين تابعا له ، فلما خرج عليه ،أبناء بدر الدين لؤلؤ — حكام الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر — واستنجدوا بالظاهر بيبرس — سلطان المماليك فى مصر — خشى أن يحذو الملك المظفر — أمير ماردين — حذوهم ، فلما قدم عليه أكرم وفادته ، وقال له ، بلغنى أن أولاد صاحب الموصل هربوا من البلاد إلى مصر ، وأنا أعلم أن أصحابهم كانوا السبب فى خروجهم ، فاترك أصحابك الذين وصلوا معك عندى ، فإنى لا آمن منهم أن يحرفوك عنى ، ويرقبوك فى النزوح عن بلادك إلى مصر (١) . فأجاب صاحب ماردين طلبه ، وعهد اليه هولاكو بحكم نصيبين بالاضافة إلى ماردين (٢) .

ظل الملك المظفر على ولائه لهولاكو ، فانضم إلى قوات المغول فى حصار الموصل سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) . ولما توفى سنة ٦٩٠هـ (١٢٩٣م) استمر خلفاؤه على ولائهم للمغول ، وبلغ من إخلاص نجم الدين غازى الثانى المنصور بن قرا أرسلان — الذى ولى ماردين سنة ٦٩١ هـ (١٢٩٣ م) — للمغول أن منحه هولاكو التاج والمظلة الملكية ، وجعله من خواصه ، وفوض اليه الملك فى كل من ديار بكر وديار ربيعة .

= انما فعلت ذلك لأنى كلما تضرعت اليه ، وبكيت أمامه لسكيلا يقروا فى القلعة وفى دماء الناس ، لم يستجب لى ، فأقدمت على هذا العمل الخاص من أجل المصلحة العامة : لأنى عرفت أن القلعة ستفتح باقبال الملك ، وأنه سوف يقتل عدة الاف من الأبرياء ، فالحقيقة أن التضحية بدم واحد خير من التضحية بمائة ألف ، خصوصا أنه كان ظالما معتديا ، وقد قتل ابنه ، والناس غير راضين عنه ، وأنا العبد معترف بذنبى ، فلو منحنى الملك مقام أبى ، فان له مايشاء .

فعفا عنه هولاكو ، وسلمه ماردين .

(رشيد الدين فضل الله : تاريخ المغول ج ١ ص ٣٢٥ — ٣٢٦)

(١) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٤٥٧ — ٤٥٨

(٢) نفس المصدر : ج ١ ص ٤٩٢

عهد منكوقآن – خاقان المغول العظيم فى قراقورم لأخيه هولاكو بالتوجه إلى غرب آسيا لفتح غرب إيران والشام ومصر وبلاد الروم والأرمن ، وأوصاه بالمحافظة على تقاليد جنكيزخان وقوانينه فى الكليات والجزئيات ، واحترام رأى زوجته دوقوز خاتون ومشاورتها فى مهام الأمور .

واستطاع هولاكو أن يكون دولة قوية للمغول فى فارس ، وقدم زعماء فارس والأتابكة والحكام المحليون فروض الولاء والطاعة لهولاكو ، ولم يعد يعكر صفو هذه الدولة إلا الاسماعيلية الذين اعتصموا فى الجبال المنيفة ، وظل خلفاء الحسن الصباح يجمعون الاتاوة من الأمراء المحليين ، ويلحقون ويلاتهم بكل من يمتنع عن أدائها لهم (١) .

لذا بدأ هولاكو عملياته الحربية بالقضاء على طائفة الاسماعيلية وكان لاندحار تلك الفئة الباغية رنة فرح وسرور عمت العالم الإسلامى على الرغم مما كان يعانيه المسلمون من ويلات المغول ، لأن هذه الفئة استطاعت أن ترهب وتفزع قادة المسلمين وكثيراً ما عملوا القتل فى أعدائهم من المسلمين ، وتحالفوا مع أعداء الإسلام .

هولاكو والخلافة العباسية

بعد أن حقق هولاكو هدفه الأول وهو القضاء على طائفة الاسماعيلية سار لتحقيق هدفه الثانى وهو القضاء على الخلافة العباسية فى بغداد وجدير بالذكر أن الخلافة العباسية أخذت فى الضعف والانحلال ولم يعد يتجاوز نفوذها العراق وخوزستان ، وفى ذلك الوقت كان الخليفة المستعصم بالله

(١) رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ م٢ ج ١ ص ٢٣٦ — ٢٣٧

آخر الخلفاء العباسيين سنة ٦٤٠ — ٦٥٦ رجلا لين الجانب ضعيف الوطأة سهل العريكة قليل الخبرة ، وكانت الأخبار تصل الخليفة تباعا بزحف جيوش المغول ومع ذلك لم يتخذ الأهبة لمواجهتهم قبل أن يستفحل خطرهم ويستطير شرهم .

جاء المغول فى عهد المستعصم إلى العراق عدة مرات حيث حدثت مناوشات بينهم وبين جيش الخليفة لكنهم لم يوفقوا فى الاستيلاء على بغداد حتى سنة ٦٥٦ وعند ما اعتزم هولاكو مهاجمة الاسماعيلية أرسل إلى الخليفة يطلب إليه أن يمده بجيش ليعاونه فى القضاء على تلك الطائفة فلما شاور الخليفة أتباعه حذروه أن يقدم على هذا العمل وأدخلوا فى روعه أن هولاكو يريد بهذه الوسيلة أن تخلو بغداد من الجيش حتى يتيسر له الاستيلاء عليها .

ولما فرغ هولاكو من محاربة الاسماعيلية ودحرهم قصد همدان وفى شهر رمضان سنة ٦٥٥ أرسل رسولا يحمل رسالة إلى الخليفة مصاغة فى قالب التهديد والوعيد لامتناعه عن إرسال المدد ، ولم يكن هذا الاحتجاج فى الواقع إلا ذريعة للمطالبة بالسلطة الزمنية التى سبق أن منحت فى بغداد لأمراء البويهيين ثم السلاجقة . يقول هولاكو فى هذه الرسالة (لا بد أنه قد وصل إلى شخصك على لسان الخاص والعام ماحدث للعالم على أيدى الجيوش المغولية منذ جنكيز خان وعلمت أية مذلة لحقت بأمر الخوارزميين والسلاجقة وملوك الديلم والأتابكة وغيرهم ممن كانوا أرباب العظمة وأصحاب الشوكة ومع ذلك لم يغلق باب بغداد قط فى وجه أى طائفة من تلك الطوائف التى تولت السيادة . واعلم أننى إذا غضبت عليك وقدت الجيش إلى بغداد فسوف لاتنجو منى ولو صعدت إلى السماء أو اختفيت فى باطن الأرض ..)[1] رفض الخليفة إنذار المغول وأرسل إلى هولاكو يتوعده

(١) رشيد الدين الهمدانى : جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٧٤

أن هو حاول غزو بلاده على الرغم من أنه كان لا يملك القوة اللازمة لمواجهة هولاكو ، وكان المسلمون فى حالة شديدة من الضعف والانقسام ، لذلك كان طبيعيا عدم جدوى تهديدات الخليفة ، بل كان لها على العكس أسوأ الأثر فى نفس هولاكو فاعتزم قبل كل شيء فتح بغداد .

وصل رسل الخليفة إلى هولاكو ، فلما اطلع على رسالة الخليفة وعلم بما لحق رسله من أذى العامة فى بغداد غضب غضبا شديدا وأعاد رسل المستعصم وحملهم رسالة أخرى تضمنها إنذارا نهائيا له صيغ فى لهجة شديدة عنيفة جاء فيها (لقد فتنك حب المال والعجب والغرور بالدولة الفانية بحيث لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين . . فإنى متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد) .

رأى وزير الخليفة مؤيد الدين العلقمى بذل الأموال والتحف والهدايا وإرسالها إلى هولاكو مع تقديم الاعتذار له وكان يرى ذكر اسم هولاكو فى الخطبة ونقشه على السكة حتى يبعد هولاكو عن غزو بغداد ، ولكن الخليفة رفض العمل بمشورة الوزير وأصر على إعداد العدة للدفاع عن بغداد .

وقبل أن يقدم هولاكو على غزو بغداد استشار المنجمين فيما يتعلق بأحكام النجوم وطوالع السعد والنحس وقد أشار عليه فلكى مسلم يعطف على الخليفة بعدم غزو بغداد فقال له : الحقيقة ان كل ملك تجاسر حتى هذه اللحظة على قصد الخلافة والزحف إلى بغداد لم يبق له عرش ولا جاه وإذا أبى الملك أن يستمع لنصائحى وتمسك بمشروعه فسوف تحدث هذه الحملة خللا فى نظام الكون ، فضلا عن أنها ستكون وبالا على الخان نفسه إذ سيهلك ، ويهلك الزرع والحيوان ولن تطلع الشمس ولن ينزل المطر ، لكن منجمين آخرين أكدوا لهولاكو نجاح مشروعه . ومهما يكن من أمر فقد أمر هولاكو بتحريك جيشه من أطراف بلاد الروم والاتجاه إلى بغداد وأقام هولاكو معسكره خارج بغداد من الشرق ، ولم يستطع جيش الخليفة منع

المغول من الإقامة فى الجهة الشرقية ، وفى أوائل سنة ٦٥٦هـ حاصر المغول بغداد وأحكموا حصارها وأطلقوا يد التخريب فى المدينة وفتحوا أقساما منها ، ولما رأى الخليفة حرج موقفه أراد أن يثنى المغول عن عزمهم على إتمام الفتح فأرسل إليهم الهدايا القيمة ولكن هولاكو لم يستجب لمحاولة الخليفة.

هزم هولاكو جيشاً أنفذه الخليفة لمحاربته وأباده عن آخره ، عندئذ خرج الوزير ابن العلقمى إلى هولاكو وتوثق منه لنفسه وعاد إلى المستعصم وأخبره أن هولاكو يبقيه فى الخلافة ، وحسن له الخروج إلى هولاكو فخرج من بغداد ومعه أبناؤه فلما وصلوا إلى هولاكو أحسن استقبالهم وطلب إلى الخليفة أن ينادى فى الناس بإلقاء أسلحتهم والخروج من المدينة لإخضاعهم فلما ألقى الناس أسلحتهم وخرجوا قتلوا جميعا . أما الخليفة وأولاده وكل ما يتعلق بهم فقد وضعهم هولاكو فى معتقل (١) .

بعد ذلك أمر هولاكو بردم الخنادق وهدم أسوار المدينة كما شيد جسرا على نهر دجله ، ثم أعلن الهجوم العام على المدينة فى صفر من السنة نفسها ٦٥٦ هـ فدخلها المغول ودمروها وخربوا المساجد ودمروا القصور ، بعد أن سلبوا ما بها من تحف نادرة وأباحوا القتل والنهب وسفك الدماء أربعين يوما ، واندلعت فيها ألسنة النيران فى كل جانب من المدينة وأتت على الأخضر واليابس ودمرت أكثر المدينة وجامع الخليفة ، وعند ما دخل هولاكو مدينة بغداد قصد قصر الخليفة واستولى على ما فيه من نفائس وتحف نادرة ، وأخيرا بعد أن سفك هولاكو من الدماء ما سفك وخرب ما خرب أصدر أمراً بالكف عن القتل ، وإن ينصرف كل إلى عمله ويقول المؤرخون أنه لما نودى ببغداد الأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم موتى إذ ابتعثوا من قبورهم وقد أنكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه فأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن

(١) أبو الفدا : المختصر حوادث سنة ٦٥٦ هـ

سبقهم من القتلى وقتل هولاكو الخليفة البائس[١]

وبسقوط بغداد فى أيدى المغول سنة ٦٥٦ﻫ سنة ١٢٥٨ م زالت الدولة العباسية بعد حكم استمر أكثر من خمسة قرون .

ودخل بدر الدين لؤلؤ — أتابك الموصل — فى طاعة المغول[٢] بل صحب هولاكو فى فتح بغداد ، فأنفذ جيشا إلى هذه المدينة سنة ٦٥٦ ﻫ (١٢٥٨ م) بقيادة ابنه الملك الصالح ، انضم إلى قوات المغول[٣] ولما سقطت بغداد فى أيدى المغول ، سارع بعض حكام البلاد الإسلامية إلى هولاكو ، يقدمون له فروض الولاء والطاعة والتهنئة ، وفى مقدمتهم بدر الدين لؤلؤ — أتابك الموصل[٤] — الذى شمله هولاكو بالإعزاز والتكريم وأعاده إلى بلاده محملا بالهدايا[٥] .

كما وقف بدر الدين لؤلؤ إلى جانب المغول فى فتح ميافارقين سنة ٦٥٧ ﻫ .[٦]

واصل المغول سياستهم التوسعية ، فزحفت بعض قواتهم على الجزيرة فى طريقها إلى الشام واستطاع هولاكو أن يستولى على آمد ونصيبين وحران والرها وسروج والبيرة[٧] ، وحرص على الاستعانة ببعض أمراء المسلمين فى غزوه بلاد الشام ، فأرسل إلى بدر الدين لؤلؤ — صاحب

---

(١) رشيد الدين الهمدانى : جامع التواريخ ٢م ج ١ ص ٣٩٣

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٣) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٨٧ .

يذكر رشيد الدين فضل الله أن هولاكو أرسل إلى بدر الدين لؤلؤ رءوس وزراء الخليفة العباسى ، فعلقها على أسوار الموصل .

(تاريخ المغول المجلد الثانى ج ١ ص ٣١٠) .

(٤) ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٨٧ .

(٥) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ — تاريخ المغول المجلد الثانى ج ١ ص ٢٩٩ .

(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٤٧ .

(٧) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ — تاريخ المغول ج ١ ص ٣٠٥ .

الموصل — يقول : « إن سنك قد جاوزت التسعين ، ولذلك أعفيناك من السير معنا ، ولكن عليك أن تبعث بابنك الملك الصالح مع الرايات الغازية ، لفتح ديار الشام ومصر » . فلم يتردد بدر الدين فى انفاذ جيش إلى هولاكو بقيادة ابنه(١) .

لما توفى بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٥٧ هـ قسم هولاكو إمارته بين أبنائه الثلاثة ، فولى الملك الصالح حكم الموصل ، على حين فوض حكم سنجار لعلاء الدين وجزيرة ابن عمر للمجاهد إسحاق(٢) . غير أن أبناء بدر الدين لؤلؤ ما لبثوا أن خرجوا على المغول ، وغادروا بلادهم ، ولجأوا إلى سلطان المماليك فى مصر ، فأرسل هولاكو جيشاً استولى على بلادهم سنة ٦٦٠ هـ . (١٢٦١ م)(٣) .

كذلك أظهر الصاحب تاج الدين بن صلاية — حاكم اربل — ولاءه للمغول ففى أثناء حصار هولاكو بغداد قصد القائد المغولى أرقيو نويان — مدينة أربل ، وطلب من حاكمها تمكينه من الاستيلاء على القلعة . فحاول تاج الدين إقناع حاميتها بالتسليم(٤) ، ولما استعصت أربل على المغول ، استنجدوا ببدر الدين لؤلؤ — صاحب الموصل — فأمدهم بفريق من الجند ، غير أنه لم يكن لهذه الإمدادات أى تأثير فى سقوط القلعة(٥) فى أيدى المغول . فاستدعى القائد المغولى بدر الدين لؤلؤ ، فسار إلى أربل ، وحاصر قلعتها ، وهدم أسوارها وسلمها للمغول(٦) .

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٠٥ .

(٢) Howorth : History of the Mongols. Vol. 4 p. 131

(٣) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ : تاريخ المغول المجلد الأول ج ١ ص ٣٢٧ .

(٤) لم يقبل القائد المغولى اعتذار صاحب اربل عن تمكين المغول من فتح البلدة ، وقال له : « إن الدليل على صحة الطاعة هو تسليم القلعة وأرسله إلى هولاكو فأمر بقتله . (قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٩١) .

(٥) قطب الدين البعلبكى . ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٩١ .

(٦) Howorth : History of the Mongols. Vol. 4 pp. 133 — 135

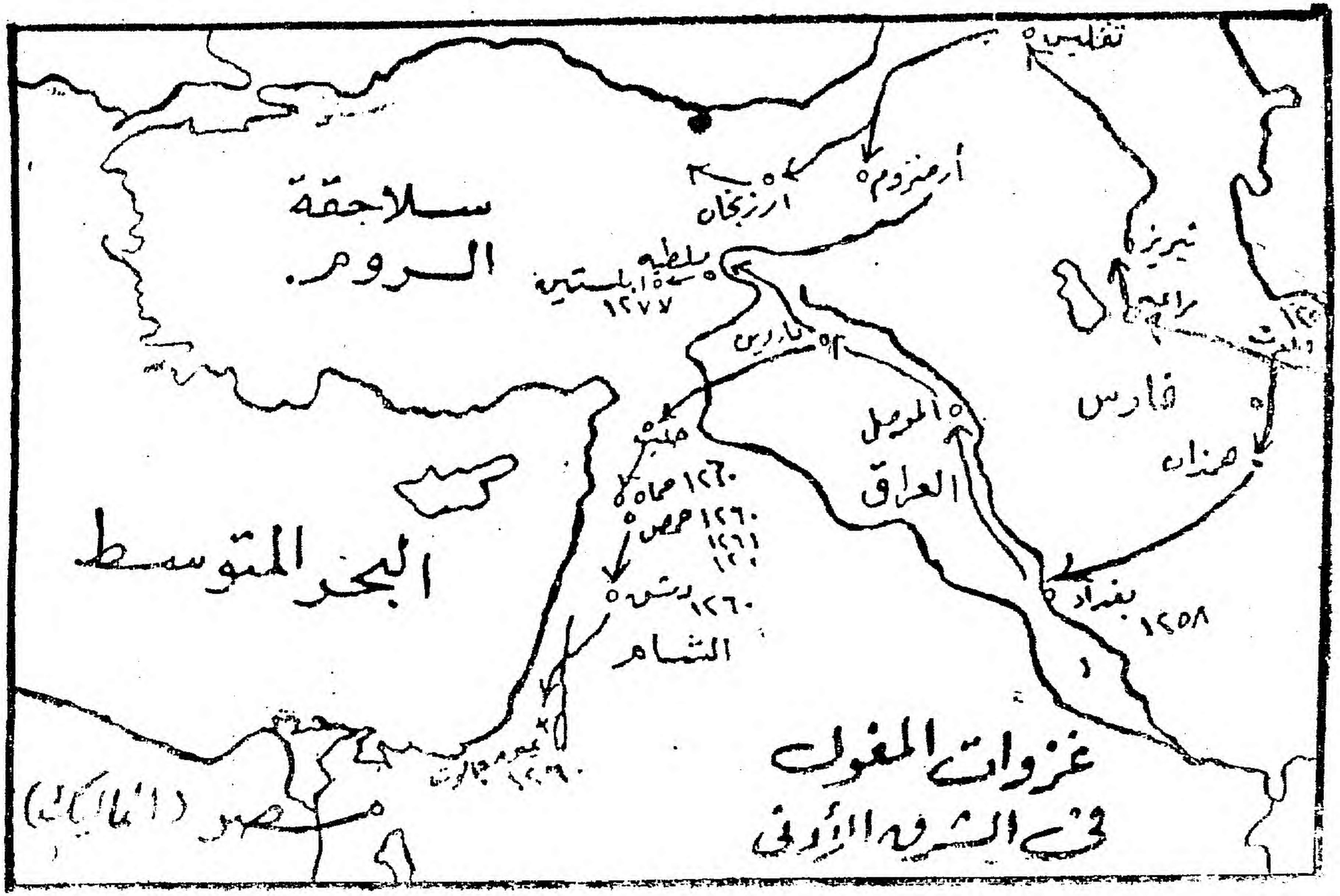
غزوات المغول
في الشرق الأدنى
سلاجقة
الروم
البحر المتوسط
مصر (المماليك)
الشام
العراق
فارس
تفليس
أرضروم
أرزنجان
ملطية
ابلستين
١٢٧٧
ماردين
الموصل
بغداد
١٢٥٨
تبريز
همذان
حماه ١٢٦٠
حمص ١٢٦٠
١٢٦١
دمشق
١٢٦٠
عين جالوت
١٢٦٠

وهكذا لم يتمكن أتابكة الموصل والجزيرة من صد الخطر المغولى الذى تعرضت له بلادهم ، بل خشوا بأسهم ، واضطروا إلى الدخول فى طاعتهم. غير أن هذه السياسة التى اتبعها هؤلاء الأتابكة لم تجد نفعاً ، فتعرضت بلادهم لغارات المغول التى اقترنت بالتخريب والتدمير .

تطلع المغول إلى الزحف على مصر ليتموا بذلك السيطرة على بلاد الشرق الإسلامى ، وليقضوا على آخر قوة إسلامية فى الشرق فى استطاعتها التصدى لهم .

أرسل هولاكو إلى سلطان المماليك فى مصر الملك المظفر قطز خطاباً يهدده فيه ، ويتوعده إن امتنع عن التسليم والإذعان له . ويذكره بأن المغول فتحوا كافة البلاد ، ولم تستطع قوة الوقوف فى وجههم ، ومما جاء فى خطابه « لكم فى جميع البلاد معتبر . وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمركم . قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا . فنحن لا نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكا وأى أرض تؤويكم ، وأى طريق تنجيكم ؟ فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال . . . وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فما من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص . »(١) .

لكن السلطان قطز لم يأبه بتهديد المغول ، بل عقد العزم على ضرورة مقاومتهم مهما كانت التضحيات ، فأمر بقتل رسل سلطان المغول وعلقت رؤسهم على باب زويلة ، وخرج السلطان قطز إلى بلاد الشام للقاء المغول الذين اجتازوا الشام ودخلوا فلسطين ، واقتربوا من حدود مصر ، واحتلوا غزة .

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٤٢٨ .

اشتبك المسلمون من مصر والشام وبلاد الجزيرة فى رمضان ١٢٦٠ م مع المغول فى عين جالوت بالقرب من نابلس فى معركة حامية الوطيس انتصر فيها المسلمون على أعدائهم، بعد أن اشتدت هجمات المغول حتى أن كتبغا — قائد المغول — تحول أثناء المعركة إلى قطعة من اللهب بسبب الغيرة والغضب، وقد أظهر المسلمون شجاعة منقطعة النظير أثناء المعركة، ولما رأى السلطان قطز قوة بأس المغول ألقى بخوذته عن رأسه إلى الأرض، وصرخ بأعلى صوته : واإسلاماه. عندئذ ثارت حماسة جنده، وحمى وطيس القتال، وانتصر المسلمون انتصاراً رائعاً ومزقوا شمل المغول كل ممزق، وخر كتبغا — قائد المغول — صريعاً فى المعركة، ولم ينج من المغول إلا من لاذ بالفرار، وفروا لا يلوون على دار ولا يركنون إلى قرار[1].

ومما لا شك فيه أن موقعه عين جالوت من الوقائع الحاسمة فى التاريخ، لأنها أضعفتهم، وأوقفت تقدمهم فى بلاد الإسلام.

ترتب على موقعه عين جالوت نتائج بالغة الأهمية، فلو انتصر المغول فى تلك الموقعة لفعلوا بمصر وأهلها مثلما فعلوا بالعراق والشام، ولقاسى العالم الإسلامى من ويلات المغول الشىء الكثير، ولتغير مجرى التاريخ فى المنطقة كلها. ولكن هزيمة المغول فى واقعة عين جالوت لم ينقذ مصر فحسب من وحشية المغول وهمجيتهم، بل أنقذ الشام أيضاً، لأن المغول بعد هزيمتهم فى عين جالوت، لم يعد لهم مقام فى بلاد الشام (٢).

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٩.

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٢٧.

صورة عامة لاحدى معارك "المغول" فى كتاب "جامع التواريخ"

الباب الرابع

بعض مظاهر الحضارة فى دول أتابكة الموصل والجزيرة

أولا : التنظيمات الإدارية والمالية فى بلاد الجزيرة

١ – التنظيم الإدارى

(ا) التقسيم الإدارى

(ب) الوظائف والدواوين الإدارية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة

٢ – الإدارة المالية

(ا) موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصارفها

(ب) المعاملات المالية

أولا : التنظيمات الادارية والمالية فى بلاد الجزيرة

١ — التنظيم الادارى

(ا) التقسيم الادارى :

قامت دول الأتابكة فى شمال العراق ، فى البلاد الواقعة بين أعالى نهرى دجلة والفرات . وكان العرب يسمون هذه البلاد بالجزيرة (١) ويحدها من الجنوب الخط الواصل بين تكريت على نهر دجلة، وهيت على نهر الفرات (٢).

وينقسم اقليم الجزيرة إلى ثلاثة أقسام ، هى ديار ربيعة وديار مضر ، وديار بكر . وقد عرفت بذلك نسبة إلى القبائل العربية ربيعة ومضر وبكر التى نزلت هذا الإقليم قبل الإسلام (٣) .

١ — ديار ربيعة : تقع فى شرق ديار مضر . وتتألف من الأراضى التى فى شرق نهر الخابور الكبير المنحدر من رأس العين ، ومن الأراضى التى تقع فى شرق الهرماش ، وكذلك مما على ضفتى نهر دجلة من أراض تمتد بانحدار النهر من تل فافاز الى تكريت (٤) ، ومن أهم مدنها :

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٤

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢١٨
ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٩٦ — ٩٧

(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٤

(٤) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٥

(ا) الموصل : قاعدة ديار ربيعة ، على ضفة دجلة الغربية حيث تتصل فروع النهر ، فتؤلف مجرى كبيرا واحدا ، ويقال ان اسم الموصل جاء من هذا الاتصال[1] ، وقد ارتفع شأن الموصل بعد أن اتخذها عماد الدين زنكى بن آقسنقر حاضرة لدولته . وأقام زنكى وخلفاؤه بها المساجد والمدارس والمارستانات[2] ، وظلت الموصل على هذا الحال من الازدهار والعمران حتى دمرها المغول سنة ٦٦١ هـ (١٢٦١ م) .

(ب) اربل : تقع على بعد متساو تقريبا بين نهر الزاب الكبير والزاب الصغير[3] .

وقد ازدهرت هذه المدينة فى عهد أتابكها مظفر الدين كوكبورى ، وزادت اتساعا بعد أن ضم إليها الجزء الأسفل منها الواقع فى سفح الجبل وأقام عليه قلعة حصينة[4] .

(ج) العمادية : وهى بالقرب من منابع الزاب الأعلى شمال الموصل وتنسب إلى مؤسسها عماد الدين زنكى[5] بن آقسنقر — أتابك الموصل — وكانت قبل ذلك حصنا للأكراد يسمى آشب[6] .

(د) الحديثة : وتسمى حديثة الموصل ، تمييزا لها عن حديثة الفرات وتقع عند مصب الزاب الأعلى على الضفة الشرقية لنهر دجلة[7] ، وتبعد

---

(١) نفس المصدر ص ١١٥

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٧٧ — ٧٨

(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٠٩

(٤) Ency. of Islam : Art Irbil

(٥) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٦٤

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٤

(٧) ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٠٩

تسعة فراسخ عن الموصل (١) : وقد بنيت هذه المدينة على شكل دائرة وكانت عاصمة اقليم الجزيرة قبل الموصل (٢) .

(ﻫ) نصيبين : وهى من أجمل بقاع الجزيرة وأحسنها (٣) وأكثرها عمرانا وتقع على طريق القوافل من الموصل إلى الشام (٤).

(و) جزيرة ابن عمر : فى شمال نيسابور ، وتنسب إلى مؤسسها الحسن ابن عمر التغلبى (٥) ، وقد وصفها ابن حوقل (٦) بأنها ثغر الجزيرة ، لوقوعها غربى دجلة ، وشرقى الفرات ، وقد اتخذها معز الدين سنجر شاه عاصمة لأتابكيته سنة ٥٧٦ ﻫ (١١٨٠ م) وظلت على هذه الحال حتى استولى عليها المغول سنة ٦٦١ ﻫ (١٢٦٢ م) .

(ز) ماردين : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة ، مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين (٧) . وقد اتخذها ايلغازى بن أرتق وأبناؤه من بعده حاضرة لدولتهم وكان لها قلعة شماء تسمى الشهباء (٨) .

(ح) سنجار : تقع فى وسط برية ديار ربيعة فى لحف جبل سنجار العالى (٩) . بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وتبعد عن نصيبين ثلاثة أيام أيضا (١٠) — وقد اتخذها عماد الدين زنكى الثانى بن مودود سنة ٦٦٦ ﻫ

---

(١) الفرسخ ثلاثة أميال على وجه التقريب .
(س ، أ ، م حسينى : الادارة العربية ص ١٢٠) .
(٢) ياقوت معجم البلدان ج ٣ ص ٢٣٤
(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ٢٨٨
(٤) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٤
(٥) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٤
(٦) المسالك والممالك ص ١٥٠
(٧) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٥
(٨) رحلة ابن جبير ص ٢٢٧
(٩) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٢
(١٠) رحلة ابن جبير ص ٢٢٧

(١١٧٠ م) حاضرة لأتابكية جديدة انفصلت عن أتابكيه الموصل وظلت سنجار على هذه الحال حتى استولى عليها الأيوبيون سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠م).

٢ — ديار مضر :

تحف بضفاف الفرات من سميساط إلى عانة التى يسقيها نهر البلخ ـ أحد روافد نهر الفرات ـ الآتى من حران[١] . ومن أشهر مدنها :

(ا) الرقة : تقع على نهر الفرات ، فوق مصب نهر البلخ المنحدر من الشمال إلى الفرات[٢] وهى قصبة ديار مضر[٣] .

(ب) الرها : تقع عند منابع أحد روافد البلخ ، ويدين أغلب أهلها بالنصرانية ، ولذا كثر بها بناء الكنائس والأديرة[٤] وقد أسس الصليبيون فيها إمارة صليبية ، وظلوا يحكمونها حتى استولى عليها عماد الدين زنكى بن آقسنقر سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م)[٥] .

٣ — ديار بكر :

تقع على نهر دجلة الأعلى[٦] ، ومن أشهر مدنها :

(ا) آمد : قصبة إقليم ديار بكر ، ويطل عليها جبل مرتفع وهى حصينة ومنيعة[٧] ، شيدت على صخرة واحدة طولها ألفا قدم ، وعرضها كذلك ،

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٣ .
(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٠٥ .
(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ١٣٣ ـ ١٣٤ .
(٤) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٤ .
(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٩ .
(٦) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٠ .
(٧) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٦١ .

ويحيط بها نهر دجلة [١] ، استولى عليها صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٧٩ هـ (١١٧٣ م) من ولد إينال التركمانى [٢] ، وسلمها للأمير الأرتقى نورالدين محمد بن قرا أرسلان — أمير حصن كيفا — الذى أحكم هو وخلفاؤه [٣] تحصينها .

(ب) ميافارقين . بلد حصين ، يحيط به سور مبنى بالحجارة ، حوله خندق [٤] . وقد حكمها بنو أرتق منذ سنه ٥١٥ هـ (١١٣١ م) حتى سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) [٥] .

(ح) حصن كيفا : يقــــع على ضفة الفرات الجنوبية ، وبه قلعة حصينة [٦] ، وقد حكمها بنو أرتق بعد أن زال عنها حكم بنى مروان ، وظل الأراتقة يحكمونها حتى استولى عليها الأيوبيون سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١) [٧] .

انقسمت دول أتابكة الموصل والجزيرة إلى عدد من البلدان ، على أن هذا التقسيم لم يكن ثابتاً طوال حكم الأتابكة ، بل تعرض للتغيير من وقت إلى آخر ، ذلك لأن الأتابكة دأبوا على توسيع ممتلكاتهم على حساب الدول المجاورة لهم ، ويظهر ذلك جلياً فى أتابكية حصن كيفا ، فقد نقصت رقعتها فى سنة ٥٢٤ هـ (١١٢٩ م) حين انتزع عماد الدين زنكى بن آقسنقر — أتابك الموصل — داراً وسرجه منها [٨] . على أن هذه

---

(١) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٦١ .

(٢) Ency. of Islam : Art Amid

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٧ ، ٨ .

لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٣ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ .

(٦) لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٤ .

(٧) زامباور : معجم الأنساب جـ ٢ ص ٢٤٤ .

(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ

الأتابكية لم تستمر على هذا الوضع ، بل انضمت إليها آمد سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م)[١] .

ولما توفى نور الدين محمد بن قرا أرسلان — أتابك حصن كيفا — وخلفه ابنه الأكبر قطب الدين سقمان الثانى ، حاول عمه عماد الدين الاستحواذ على حكم هذه الأتابكية ، لكنه فشل[٢] ، فقصد خرتبرت ، وانتزعها من أتابكية كيفا سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م)[٣] وهكذا فقدت هذه الأتابكية إحدى ولاياتها الهامة .

أما عن أتابكية ماردين فقد اتسع نطاقها فى عهد أميرها ايلغازى بن أرتق بانضمام حلب إليها سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) فضلا عن بعض الحصون والقلاع فى بلاد الشام[٤] ، كما اتسعت رقعة هذه الأتابكية سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) حين أقطع السلطان السلجوقى محمود ميافارقين لإيلغازى بن أرتق — أمير ماردين[٥] — ولم تستمر هذه الأتابكية على هذه الحال من الاتساع ، بل فقدت فى عهد أميرها — حسام الدين تمرتاش — بعض ممتلكاتها فى بلاد الشام ، ومن بينها حلب ، سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) حين عجز هذا الأمير عن حمايتها من غارات الصليبيين ، فأعلن أهلها الانضمام إلى الموصل بدلا من التبعية لماردين[٦] .

كذلك فقدت هذه الأتابكية بعض ولاياتها ، إذ انتزع عماد الدين

---

(١) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٢ ص ٢١٧ .
Camb Med History. Vol. 4 p. 317

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٣ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١١ هـ
Runciman · A History of the Crusades vol. 2 pp.

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٦

(٦) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ .

كذلك فقدت هذه الأتابكية بعض ولاياتها ، إذ انتزع عماد الدين زنكى بن آقسنقر — أتابك الموصل — منها نصيبين سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م)(١) ، كما استولى على بعض البلاد والقلاع فى ديار بكر سنة ٥٣٨ هـ(٢) (١١٤٣ م) . على أن هذه الأتابكيه اتسعت رقعتها بانضمام البيرة إليها سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م)(٣) ، ولما دخل أتابكة ماردين فى طاعة المغول زادت ولاياتها فضم هولاكو إليها نصيبين سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨م)(٤) وفى سنة ٦٩١ هـ — (١٢٩٢ م) ضم المغول إلى هذه الأتابكية ديار ربيعة وديار بكر(٥) .

أما عن أتابكية الموصل ، فقد زادت ولاياتها فى عهد أتابكها عماد الدين زنكى بن آقسنقر حتى أصبحت تشتمل على أراض واسعة فى الجزيرة وبلاد الشام(٦) .

على أن هذه الأتابكية انكمشت بعد وفاة عماد الدين زنكى بن آقسنقر ، فاسترد مجير الدين آبق بن طغتكين — أتابك دمشق — مدينة بعلبك . أما نور الدين محمود بن زنكى فقد انتزع من هذه الأتابكية حلب وحماه وحمص(٧) ، كما أخذ منها الرقة والرحبة والرها(٨) .

---

(١) ابن واصل . مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٣٥ — ٣٦ .

(٢) ابن الأثير . التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ٦٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ

Runciman , A History of the Crusades. vol. 2 P. 238

(٤) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ٤٥٧ — ٤٥٨ .

(٥) نفس المصدر السابق جـ ١ ص ٣٢٦

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٦ .

ابن واصل . مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٣٤

(٧) ابن واصل ، مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١٢٠

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٩٨ .

كذلك انفصلت عن أتابكية الموصل بعض بلاد الجزيرة ، ومنها سنجار سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م)(١) ،

وكونت أتابكية مستقلة تشتمل على نصيبين والخابور(٢). كما انفصلت جزيرة ابن عمر عن الموصل سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) . وكونت أتابكية مستقلة (٣).

(ب) الوظائف والدواوين الادارية فى دول أتابكية الموصل والجزيرة :

١ — النائب :

كان الأتابكة ينيبون موظفين عنهم فى إدارة شؤون أتابكياتهم يعرفون بالنواب ومن مهام النائب الإشراف على عمارة البلاد وجباية الأموال ، وإذا ما تعرضت الأتابكية لغزو خارجى أو ساد الاضطراب فيها كان النائب يتأهب لإخماده ، ولم تقتصر مهمة النائب عند هذا الحد ، بل كان يولى الأتابكة ويعزلهم . فكان نصير الدين جقر — نائب عماد الدين زنكى بن آقسنقر فى الموصل — يحكم أتابكية الموصل نيابة عن أتابكها ، كما استعان به عماد الدين زنكى فى بعض الحروب التى قام بها فى الجزيرة (٤) .

ومن أشهر الذين شغلوا وظيفة النائب فى الموصل زين الدين على كجك ابن بكتكين ، وقد استنابه أكثر من أتابك ، فكان نائباً لعماد الدين زنكى

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ .
(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٥٢ - ١٥٣ .
(٣) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٦ هـ
(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١ :
ابن خلكان وفيات الأعيان جـ١ ص ٣١٥ .

ابن آقسنقر وابنيه سيف الدين غازى[1] وقطب الدين مودود[2] . وكان لهذا النائب دور كبير فى تولية سيف الدين غازى بن زنكى أتابكية الموصل[3] ، كما عمل على توطيد سلطان قطب الدين مودود بن زنكى[4] ، وقد كافأه الأتابكة الذين اتخذوه نائباً لهم بأن منحوه بعض الإقطاعات من بينها اربل سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م)[5] .

ازداد نفوذ بعض النواب ، وعلت سلطتهم على سلطة الأتابكة فأسند النائب فخر الدين ، إلى سيف الدين غازى بن مودود ولاية الموصل بدلا من أخيه عماد الدين — الذى كان مرشحاً للولاية بعد وفاة أبيه[6] . وقد استنجد عماد الدين وبعض أمراء الموصل بنور الدين محمود ، ليخلصهم من استبداد هذا النائب[7] ، فسار نور الدين إلى الموصل ، وعزله عنها[8] .

وكان يسند إلى النائب أحياناً النيابة فى عدة أتابكيات ، فتولى مجاهد الدين قيماز النيابة فى أتابكيات الموصل واربل وجزيرة ابن عمر[9] . وبلغ من ثقة سيف الدين غازى الثانى بن مودود — أتابك الموصل — به أن رد إليه أزمة الأمور فى الحل والعقد ، والرفع والخفض[10] ، ولما حاول

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ .

(٢) كثرت العمارة فى الموصل خلال حكم زين الدين لها ، فبنى المدارس والأربطة ، كما نشر العدل فى الرعية .

(ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٧٣)

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١١٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٣ هـ

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١٩٢

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٥٢ — ١٥٣ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٥ هـ

(٩) ابو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين .

(١٠) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٧ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان .

مظفر الدين كوكبورى — أتابك اربل — استعادة نفوذه فى أتابكيته عزله مجاهد الدين قيماز[١] ، وولى مكانه أخاه زين الدين[٢] . كما ساعد عز الدين مسعود بن مودود على تولى أتابكية الموصل سنة ٥٧٦ — (١١٨٠ م)[٣] وأزال العقبات التى اعترضت تولية نور الدين أرسلان شاه بن مسعود أتابكية الموصل سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م)[٤] . وقد عمل مجاهد الدين قيماز على إدخال كثير من الإصلاحات فى الأتابكيات التى ولى فيها وظيفة النائب فى المدارس والأربطة والمساجد والمارستانات[٥] ، وضبط الأمور فى هذه الأتابكيات حتى أن عز الدين مسعود — أتابك الموصل — عجز عن إدارة أتابكيته عندما قبض على مجاهد الدين قيماز سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) فعمد إلى إطلاق سراحه ، وإعادته إلى عمله[٦] .

ومن بين من ولى وظيفة النائب : بدر الدين لؤلؤ ، فقد أسند إليه أمير الموصل نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود الإشراف على جميع شؤون أتابكية الموصل المدنية والعسكرية[٧] كما عهد إليه بتربية ابنه وولى عهده عز الدين مسعود الثانى . ولما توفى نور الدين أرسلان شاه الأول أقام بدر الدين مسعود الثانى أميراً على الموصل ، كما ولى بعد وفاة هذا الأمير سنة ٦١٥ هـ (١٢١٩ م) ، نور الدين أرسلان شاه الثانى حكم هذه الإمارة[٨] . وبلغ من علو منزلة بدر الدين لؤلؤ أن الخليفة العباسى

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص١٣٥ .
زامباور : معجم الأنساب ج ٢ ص ٣٤٤
(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٣
(٣) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٦ هـ
(٤) ابن الأثير . التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٨٩ — ١٩٠
(٥) أبو شامة . الروضتين فى أخبار الدولتين ج ٢ ص ١١١
(٦) ابن الأثير . التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٨٤
(٧) أبو الفدا . المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٤٠
(٨) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٥

[redacted]

الناصر لدين الله عهد إليه بأن يتولى أمور الموصل نيابة عن أميرها نور الدين أرسلان شاه الثانى (١). ولما توفى هذا الأمير سنة ٦١٦ هـ (١٢٢٠ م) ولى بدر الدين لؤلؤ ناصر الدين محمود الموصل (٢). ثم انفرد بدر الدين بحكم الموصل بعد وفاة ناصر الدين سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) (٣). وهكذا استطاع هذا النائب أن يصبح أتابكا على الموصل.

كذلك ولى وظيفة النائب فى أتابكية سنجار، مجاهد الدين يرنقش وكان ديناً خيراً، غير أنه كان شديد التعصب ضد المذهب الشافعى، فأقام مدرسة للحنفية بسنجار. وشرط أن يكون النظر فى أوقافها إلى الحنفيين من أولاده دون الشافعيين (٤).

٢ — الوزير :

لم تكن وظيفة الوزير ذات صبغة سياسية كما هو الحال فى الدولة العباسية، إنما اقتصر عمل الوزير على الإشراف على دواوين الأتابكية، فضلا عن معاونة النائب فى إدارة شؤونها وتدعيم سلطة الأتابكية فى داخل حدود إماراتهم ومن أبرز وزراء الموصل، جمال الدين محمد بن على الأصفهانى الذى ولى الوزارة لعماد الدين زنكى بن آقسنقر وسيف الدين غازى بن زنكى، وقطب الدين مودود بن زنكى وعرف باهتمامه بإنشاء المدارس والمساجد والمارستانات (٥) فى الموصل، غير أنه اتهم فى أواخر أيامه باستيلائه على أموال الأتابكية، فأقصى عن منصبه (٦).

---

(١) ابن خلدون. العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٦٩

(٢) ابن العبرى. تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥

(٣) رشيد الدين فضل الله. تاريخ المغول جـ ١ ص ٣١٧

(٤) ابن الأثير. التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٩١

(٥) ابن الأثير، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٢٩

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٢٢

ومن أشهر وزراء أتابكية اربل شرف الدين أبو اسحاق إبراهيم ، ولى الوزارة سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) ومما يجدر ذكره أنه إذا ما حضر إلى الديوان أنشده أحد الحراس بقوله :

فرحنا وقلنا تولى الوزير وأفلح ديواننا بالوزارة (١) .

وكان ابن نيسان — وزير صاحب آمد — مستبداً بالسلطة فى هذا البلد ، وليس لأتابكها معه سوى الاسم فقط ، ولما اتجه صلاح الدين الأيوبى إلى آمد سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) لم يقاوم أهلها القوات الأيوبية لأنهم نفروا من وزيرهم ابن نيسان الذى أساء السيرة فيهم ، بل يسروا لقوات بنى أيوب أمر الاستيلاء على آمد (٢) .

كذلك زاد نفوذ نظام الدين البقش — وزير ماردين — على نفوذ أتابكها بولق أرسلان بن ايلغازى الثانى . ولما توفى هذا الأتابك سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) أقام البقش أخاه الأصغر ناصر الدين أرتق أرسلان أميراً على ماردين (٣) ، ولم يكن لهذا الأمير من الأمر شىء ، إنما الحكم ظل لوزيره نظام الدين البقش . غير أن أتابك ماردين لم يقوم سلوب السلطة ، بل عول على استعادة نفوذه ، فانتهز فرصة مرض وزيره سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٤ م) وتخلص منه . وبذلك آل إليه أمر أتابكية ماردين (٤) .

٣ — الشحنة :

استحدث السلاجقة هذه الوظيفة ، ومن مهام صاحبها حفظ الأمن والنظام فى البلدة أو المدينة التى يلى فيها هذه الوظيفه ، فهو محافظ المدينة

(١) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ١١٢
(٢) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ
(٣) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، القسم الثانى ج ٨ ص ١٨٨
(٤) أبو الفدا ، المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٢

أو الأمير المشرف على حراستها(١) . ويذكر ابن خلدون(٢) أن سبب إنشاء هذه الوظيفة هو كثرة الفتن فى المدن العراقية . ولم يستطع السلاجقة القضاء عليها ، فاتخذوا الشحنة لحسم ما خف من العلل . كما إكتفى الشحنة بالدفاع عن المدن التى يتولون العمل فيها من الأخطار الخارجية ، فلما اتجه نور الدين محمود إلى سنجار لانتزاعها من أخيه قطب الدين مودود سنة ٥٦٣هـ (١١٦٧ م) وبلغ ماكسين خرج شحنتها للدفاع عنها(٣) .

كان الأتابكة يستعينون أحياناً بالشحنة فى فتح بعض البلاد القريبة التى لا تحتاج إلى جهد كبير(٤) . وقد يلى الشحنة حكم بعض الولايات إذا تجلت كفاءته ، فكان ايلغازى بن أرتق شحنة بغداد قبل أن يلى حكم ماردين(٥) ، كما أن الشحنة يلى أحياناً بعض الولايات بالإضافة إلى عمله فقد عين السلطان السلجوقى محمود ، عماد الدين زنكى بن آقسنقر شحنة بغداد والياً على الموصل(٦) — ثم ولاه شحنة العراق كله بالإضافة إلى حكم بعض الولايات(٧) . وكان الأتابكة يحرصون على تولية رجال عرفوا بالعدل والإنصاف فى هذه الوظيفة ، ولا يسمحون لهم بإلحاق الضر والأذى

---

(١) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٣٥ — ٣٦

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ٤٧٧

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٣ هـ

(٤) استعان عماد الدين زنكى بن آقسنقر سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م) بالشحن فى فتح الخابور . كذلك استرد سيف الدين غازى الثانى بن مودود بمعاونة الشحنة سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) الخابور .

ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٣٧

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٠

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٤٧٠

Ency. of Islam : Art Ortokids

(٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٢٢

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣١

بالأهلين ، فلما توجه ايلغازى بن أرتق — أمير ماردين وحلب — إلى حلب سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) للقضاء على ثورة ابنه سليمان ، شكا الناس إليه من إيذاء الشحنة لهم ، فعزله[١] .

٤ — الوالى :

كانت دول أتابكة الموصل والجزيرة تتألف من ولايات يلى كل منها وال . ويختص الوالى بالإشراف على شؤون الولاية . وكان الوالى إذا ما أظهر مقدرة وكفاية يتدرج فى الترقى حتى يصل إلى أرفع وظائف الأتابكية ، فوالى الرها زين الدين على كجك لما أحسن السيرة فيها ولاه عماد الدين زنكى بن آقسنقر نائباً له فى دولته كلها سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م)[٢] كما أن جمال الدين محمد بن على الأصفهانى — والى نصيبين — لما ظهرت كفاءته ، أضاف عماد الدين زنكى بن آقسنقر إليه ولاية الرحبة . ثم اتخذه وزيراً له[٣] . وكان مجاهد الدين قيماز والياً على أربل قبل أن يلى وظيفة النائب فى أتابكية الموصل سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م)[٤] . ولم تقتصر مهمة الوالى على إدارة شؤون ولايته ، بل كان عليه أن يدرأ عنها الأخطار الخارجية ، ولذلك حرص الولاة على تحصين قلاع ولاياتهم وحشدها بالجند .

انحصرت الأعمال الإدارية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة فى الدواوين الآتية :

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٣١
ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٠٢
(٢) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٧٧
(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٧

(أ) ديوان الرسائل :

ويسمى أيضاً بديوان الإنشاء ، ويعرف رئيسه بكاتب الرسائل أو كاتب الإنشاء[١] ، وكان للأتابك كاتب ، ولنائبه كاتب ، ويشترط فى كاتب الرسائل أن يكون قد تمرس فى الكتابة[٢] ، ويختص كاتب الرسائل بإذاعة المراسم ، وتحرير الرسائل وختمها[٣] .

ومن أشهر كتاب الرسائل فى الموصل فى العصر الأتابكى مجد الدين أبو السعادات — أخو المؤرخ عز الدين بن الأثير[٤] — كان مجد الدين كاتب الإنشاء لمجاهد الدين قيماز — نائب عز الدين مسعود — أتابك الموصل — ولما ظهرت كفاءته ولاه الأتابك عز الدين مسعود ديوان رسائله ، كما قام بهذا العمل لنور الدين أرسلان شاه بن مسعود — أتابك الموصل[٥] — وولى ضياء الدين بن الأثير ديوان الرسائل لناصر الدين محمود بن مسعود — أتابك الموصل — سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) وظل يلى هذا الديوان فى عهد بدر الدين لؤلؤ[٦] .

ومن بين من ولى ديوان الانشاء فى أتابكية اربل مجد الدين الشيبانى فى عهدمظفر الدين كوكبورى ، وبلغ من علو منزلته أن لقب بالرئيس . غير أن مظفر الدين نقم عليه واعتقله سنة ٦٢٩ هـ[٧] (١٢٣١م) ، ومن أشهر من ولى ديوان الانشاء فى أتابكية ماردين ، الشاعر على بن يوسف بن عامر ،

---

(١) ابن الساعى : الجامع المختصر (مقدمة الدكتور مصطفى جواد)
(٢) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ص ٧٨ — ٧٩
(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ١ ص ٤٦ ٢
القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا جـ ١ ص ٤٣ — ٤٤
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٥٥٧
(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٩
(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٠٨
(٧) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ١١٣

وذلك فى عهد أميرها ناصر الدين بن أرتق(١) . وقد لقى ديوان الانشاء من وزير الموصل جمال الدين الأصفهانى عناية كبيرة وفى ذلك يقول ابن الأثير(٢) : « وضع للناس فى كتابة الانشاء وضعاً لم يعرفوه ، وشرع لهم شرعاً استحسنوه وبذل بذلا استعظموه » .

(ب) ديوان الجيش :

وله مجلسان ، أحدهما يتولى أمر استحقاقات الجند ، وتقدير أرزاقهم ويختص الثانى بالنظر فى السجلات التى تدون فيها أسماء الجند ، وحفظها فى أماكن خاصة بها(٣) ، ومما يجدر ذكره أن جند عماد الدين زنكى بن آقسنقر كانوا يتقاضون رواتبهم من ديوان الجيش كل ثلاثة شهور بانتظام ، وبلغ من حرصه على عدم تأخر رواتب جنده عن موعدها ، أن الديوان لما أخر رواتب الجند وشكوا إليه ، ذهب إلى الديوان وحذر موظفيه من هذا العمل بقوله : « إذا كنتم تهملون أمر جندى الذين تحت ركابى ، ومن هو ملازمى فى سفرى وإقامتى وبهم من الحاجة إلى النفقات فى أسفارهم ما تعلمونه ، فكيف يكون حال من بعد عنى » فانتظم ديوان الجيش بعد ذلك فى صرف رواتب الجند فى موعدها المحدد(٤) .

(ح) ديوان البريد :

كانت مهمة صاحب ديوان البريد موافاة الأتابك بكافة الأخبار والحوادث التى تصل إليه من أعوانه المنتشرين فى أنحاء الأتابكية .

---

(١) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٢٧
(٢) التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٢
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٣
(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٣

اعتمد الأتابكة على البريد فى إدارة شؤون أتابكياتهم ، فكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر شـديد العناية بأخبار الأطراف ، وما يجرى لأصحابها وأخبار السلطان السلجوقى ، وينفق على ذلك أموالا كثيرة ، وكان يطالع ويكتب إليه بكل ما يفعله السلطان فى ليله ونهاره من حرب وسلم وذلك عن طريق عيونه الذين كانوا يصلون إليه كل يوم(١) .

لم يأل الأتابكة جهداً فى سبيل تحسين أحوال البريد ، فاستخدموا الحمام الزاجل فى نقل البريد وقد عنوا عناية كبيرة بتربية هذا الطائر وتدريبه . ويقول القلقشندى(٢) : أن البلاد الشامية والمصرية أخذوا الحمام الزاجل من الموصل وأن أول ما نقله من الموصل من الملوك ، نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) . وكانت تصل الأتابكية عن طريق الحمام الزاجل أخبار البلاد البعيدة فيقفون على ما يجرى فى مملكتهم الواسعة ، كما استعانوا به فى نقل رسائلهم أثناء حروبهم . وكانت أبراج الحمام الزاجل منتشرة فى جميع أنحاء البلاد الجزرية(٣) ، وترجع أهمية الحمام الزاجل إلى سرعته فكان يطير لمدة ثلاث عشرة ساعة بدون انقطاع بسرعة كيلو متر فى الدقيقة ، وينقل الرسائل ، ويعود إلى وطنه مهما بعدت المسافة(٤) .

حرص الأتابكة على إدارة دواوينهم على خير وجه حتى أن الدواوين الادارية فى عهد عماد الدين زنكى بن آقسنقر ، كانت تضاهى دواوين سلاطين السلاجقة لكثرة أعمالها وسيرها بسرعة ودقة(٥) ، فضلا عن

---

(١) المصدر السابق ص ٧٧

(٢) صبح الأعشى فى صناعة الانشا جـ ١٤ ص ٣٦٧

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا جـ ١٤ ص ٣٨٩

(٤) الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٢٥

Encyc. of Islam : Art Hamam.

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٣

تنظيمها الإدارى ، فكانت الشكاوى ترفع أولا إلى الديوان المختص ، فإذا لم يحقق الديوان الشكوى ، يرجع صاحبها إلى أمير حاجب ، فإذا لم ينظر فيها ، يرجع صاحب الشكوى[١] إليه ، ولضمان سير الدواوين الإدارية سيراً حسناً ، أحسن عماد الدين زنكى اختيار موظفيها وكان لا يرفع أحداً منهم فوق القدر الذى يستحقه ، ولا يضعه دونه[٢] ، ويوسع عليهم فى أرزاقهم ولا يتغير على أحد منهم إلا بذنب عظيم يوجب التغيير[٣] .

كذلك سار قطب الدين مودود بن زنكى - أتابك الموصل - على سياسة أبيه فى اختيار موظفيه من بين ذوى الكفاية ، الأمر الذى جعل إدارة أتابكيته تسير سيراً حسناً . وكان ينهى عماله عن أخذ أموال من الرعية بغير وجه حق ، ويقول : إن أحداً أخذ من أموال رعيتى ديناراً واحداً صلبته[٤] .

٢ - الادارة المالية

(أ) موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصارفها :

من أهم الموارد المالية الثابتة لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، الجزية والخراج والمكوس .

١ - الجزية :

كانت للجزية دواوين فى دول أتابكة الموصل والجزيرة ويصرف

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٣
(٢) ابن واصل . مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج٢ ص ١٠٦ .
(٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٠٥ .
(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٤٩

ديوان الجزية فى هذه الدول بديوان الجوالى (١) . ويقوم صاحبه بالنظر فى أمور الجباية من أهل الذمة وكان يرد إلى هذا الديوان ، أموال وافرة بسبب كثرة أهل الذمة فى بلاد الأتابكة مثل الرها (٢) ، وحرتبرت وقرى الموصل (٣) .

لم يلتزم بعض الأتابكة بأخذ الجزية من أهل الذمة وفقا للقواعد التى قررها الفقهاء (٤) ، وإنما رفعوا من قدرها . فأتابك الموصل عماد الدين زنكى بن آقسنقر وخليفته فى حكم الموصل ، سيف الدين غازى الأول ، وقطب الدين مودود كانوا يأخذون من أهل الذمة جزية تزيد على القدر الذى حدده الشرع ، ولما فتح نور الدين محمود بلاد الجزيرة سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) أمر بإعادة الجزية إلى القدر الذى أجازه الفقهاء (٥) . على أن سيف الدين غازى الثانى بن مودود — أتابك الموصل — رفع الجزية عن أهل الذمة بعد وفاة نور الدين محمود (٦) .

الخراج :

تعددت طرق جباية الخراج فى دول أتابكة الموصل والجزيرة ومن أهمها :

---

(١) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ١٤٥ - ١٤٦

(٢) ابن قاضى شهبة الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ٦٢

(٣) رحلة ابن جبير ص ٢٢٥

(٤) قرر الفقهاء أن تكون الجزية على قدر الطاقة ، ولذلك قسم أهل الذمة إلى ثلاث طبقات ، تدفع الطبقة العليا منهم أربعة دنانير ، والطبقة الوسطى دينارين ، والطبقة الدنيا دينارا .

(جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٠٩)

(٥) سبط ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ١٠ ص ٢٧٠

(٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ١ ص ٤ ١

(أ) جباية الخراج ويتم بواسطة عامل الخراج، فكان الأتابك يعينه ويخضع لسلطانه المباشر ويختص بجباية الخراج، والانفاق على عمارة الولاية، ومنح رواتب الموظفين، وارسال ما تبقى إلى الخزانة الرئيسية فى حاضرة الأتابكية. ومن بين من ولى هذه الوظيفة فى أتابكية الموصل ابن الأثير[1] — والد المؤرخ عز الدين — وكان عامل خراج جزيرة ابن عمر — ومما يجدر ذكره أنه شكا إلى الأتابك قطب الدين مودود من تدخل الوالى فى عمله فاستجاب لشكواه، ونهى والى جزيرة ابن عمر عن التدخل فى أمر جباية الخراج.

كان الخراج يجبى أحيانا على وحدة المساحة فى الأرض الزراعية سواء أستغلها أصحابها للزراعة أو لم يستغلوها وأحيانا يجبى على وحدة المساحة فى الأرض التى تزرع فعـــلا وأحيانا يؤخذ بنسب معينة من المحصول.

كان جباة الخراج فى بلاد الموصل والجزيرة يلجأون إلى وسائل العسف فى جبايته[2]، مما حمل الفلاحين على رفع شكاياتهم إلى الأتابكة فاذا كان الخراج يؤخذ على الارض الزراعيه يضطر الزارع إلى دفع ضريبة على ما يملكه من أراض على الرغم من أن جزءا من هذه الاراضى قد يكون غير مزروع، ويذكر عز الدين بن الأثير أن فخر الدين — نائب الموصل فى عهد قطب الدين مودود — أمر والده — عامل الخراج فى جزيرة ابن عمر بأخذ الخراج فى قرية العقيمة على جميع أراضيها الزراعية سواء التى تزرع فعلا أو التى لا تزرع، ولما شرع ابن الأثير فى

---

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٤٨
(٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٤٨
(٣) المصدر السابق

تنفيذ ما أمر به ، رفع أهل العقيمة شكواهم إلى أتابك الموصل ، فأمر ابن الأثير بأن يأخذ الخراج من الأرض المزروعة فقط(١) .

أما عن مقدار جباية الخراج ، فكان يختلف من أتابكية إلى أخرى ففى أتابكية ماردين كان الفلاحون يؤدون العشر عما تنتجه الأرض ، وفى أتابكية الموصل كانت ضريبة الخراج تزيد عن العشر ، لذلك هرب بعض الفلاحين من الموصل إلى ماردين(٢) .

(ب) الجباية بطريق الضمان :

شاع نظام الضمان فى جباية الخراج فى دول أتابكة الموصل والجزيرة . فكان على الضامن للمدينة أو الولاية أن يقدم للحكومة مبلغاً معيناً من المال ، سبق أن اتفق مع الحكومة عليه ، وإذا ما أخل الضامن بالتزاماته كأن يعجز عن دفع المال المتفق عليه ، فإن الحكومة كانت تفرض عليه عقوبات ، فعزل عماد الدين زنكى بن آقسنقر أحد عماله سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦م) بسبب مال انكسر عليه من جملة ضمانه ، وعجز عن تسديده(٣) . وقد ألحق الضمان ضرراً كبيراً بأهل الخراج من المزارعين وبالأرض ، لأن الضامن كان يلجأ فى بعض الأحيان إلى استخدام العنف للحصول على المال المحدد بالضمان ، ليسلمه إلى الحكومة فضلا عن الربح الذى يجنيه لنفسه . وقد لاحظ نور الدين محمود بن زنكى ذلك ، حين فتح الموصل سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) فأزال عن أهلها الظلم الذى لحق بهم من الضامنين(٤) . ويذكر الفارقى(٥) أن عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير ضمن لنظام الملك

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٤٧ ـ ١٤٨

(٢) نفس المصدر ص ٧٩

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ٢٠٤

(٤) المصدر السابق .

(٥) تاريخ الفارقى ص ٢٢٤ .

ديار بكر ثلاث سنين بألف ألف دينار ، ولم يكن عميد الدولة يكتفى بجميع الضرائب المقررة على ديار بكر ، بل كان يفرض ضرائب أخرى على البساتين المحيطة بها ، وعلى ما تنتجه المزارع من الخضر والبقول والفاكهة . مما حمل أهالى ديار بكر على رفع شكواهم إلى السلطان السلجوقى ، فأسقط عنهم هذه الضرائب وظل الضامنون فى ديار بكر فى عهد بنى أرتق لا يفرضون على الأهلين ضرائب إضافية(١) .

(هـ) الجباية عن طريق الاقطاع :

كان الإقطاع المدنى والإقطاع العسكرى يسودان دول الأتابكة ، ففى هذه الدول كان يمنح الموظفون اقطاعات مدنية بدلا من الرواتب(٢) .

كما كان يمنح فواد الأتابكة وجندهم اقطاعات عسكرية ، وقد انتقل هذا النظام إلى أتابكة الموصل والجزيرة من السلاجقة(٣) ، فقد اتخذت الدولة السلجوقية من نظام الإقطاع ركناً أساسياً من أركان سياستها المالية والعسكرية حين أمر الوزير نظام الملك بتوزيع الأراضى على شكل اقطاعات على الجند ، لأنه رأى أن تسليم الأراضى إلى المقطعين يضمن عمارتها لعنايه مقطعها بأمرها(٤) .

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٥

(٢) منح أتابكة الموصل زين الدين على كجك ـ النائب فى الموصل ـ اقطاعات تتكون من سنجار وحران وقلاع الهكارية جميعا وتكريت وأربل ، ومنح عماد الدين زنكى بن آقسنقر ، صلاح الدين الياغيسيانى أمير حاجب مدينة حماة على سبيل الإقطاع .
(ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٣٥ ، ٨٥)

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٥ ص ٢٧٩

(٤) يعلل العماد الأصفهانى أسباب اتخاذ نظام الملك لهذا القرار بقوله أن الملك قد اختل نظامه ، والدين قد تبدلت أحكامه فى أواخر دولة الديلم وأوائل دولة السلاجقة ، وقد خربت الممالك بين اقبال هذه وأدبار تلك ، ولم يكن لأحد من قبل اقطاع ، فرأى نظام الملك أن الأموال لا تحصل فى البلاد ، لاختلالها ، ولا يصح منها لدتفاع ، ففرق على الأجناد =

على أن الاقطاعيين اعتبروا الاقطاعات التى منحت لهم ملكا وراثياً[١]، فترتب على ذلك انتشار الظلم والفساد . وكان المقطع يتعهد بأن يقدم للحكومة مبلغاً معيناً من المال ، وأن يحارب هو وجنده تحت لواء الأتابك كما كان مسؤولا عن تموين جنده بالمؤن والمعدات[٢] .

كان الاقطاع فى هذه الفترة نوعين : اقطاع تمليك ، أى من حق المقطع توريث اقطاعه لورثته والاستمرار فى اقطاعه ، ما دام المقطع راضياً عنه . وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر — أتابك الموصل — أقوى الاقطاعيين فى عصره ، إذ شملت دولته البلاد الواقعة بين حلب والموصل[٣] .

والنوع الثانى من الاقطاع ، اقطاع استغلال لا تمليك ، وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر ينهى أصحابه عن اقتناء الأملاك ، ويقول : « مهما البلاد لنا ، فأى حاجة بكم إلى الأملاك ، فإن الاقطاعات تغنى عنها ، وإن خرجت البلاد عن أيدينا ، فإن الأملاك تذهب معها ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان ظلموا الرعية ، وتعدوا عليهم وأغضبوهم[٤] .

= اقطاعا ، وجعلها لهم حاصلا وارتفاعاً ، فتوافرت دواعيهم على عمارتها ، وعادت فى أقصر مدة إلى أحسن حال من خبيثها » أخبار دولة سلجوق ص ٥٥) .

(١) حسين أمين : تاريخ الدولة السلجوقية ص ٢٠٧

(٢) كان عماد الدين زنكى يقطع كبار قواده أثناء حروبه ، ويستعين بكل قوة تخدم غرضه ، فلما وفد عليه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه أقطعهما ، فأخذ نجم الدين شهر زور ، وأخذ أسد الدين الموزر . كذلك أقطع عدداً من المدن لزين الدين على كجك .
(أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ١١٢)
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٠٤

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ١٩٠ .

٣ — المكوس

ومن الضرائب التى فرضها أتابكة الموصل والجزيرة على التجار المكوس ، وقد أنشئت لها دور فى أماكن مختلفة من بلاد الجزيرة وخاصة على ضفاف الأنهار ، وكانت السفن تمنع من المرور ما لم تدفع الضريبة المقررة إلى العشار . ومن مهام العشار تنظيم التجارة الداخلية ، ومكافحة التهريب . وقد أشتط بعض العشارين فى جمع ضريبة المكوس ، فكانوا يأخذون من التجار أكثر من الضريبة المقررة ، ومن بين هؤلاء العشارين ، ابن الهارونى وقد شكاه التجار إلى عماد الدين زنكى بن آقسنقر — أتابك الموصل — فعزل(١) . ولما فتح نور الدين محمود بن زنكى الموصل وغيرها من البلاد الجزرية سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) خفف عن أهلها عبء ضريبه المكوس(٢) ، ولكن سيف الدين غازى الثانى بن مودود ، أعاد المكوس إلى ما كانت عليه بعد أن ولى الموصل(٣) كذلك أمر نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود جباة الضرائب ألا يأخذوا من التجار أكثر من الضرائب المستحقة ، وكان أحد التجار قد شكا إليه من أن ضامن المكوس ، يفرض عليهم أكثر من الضرائب المقررة(٤) .

هناك ضرائب أخرى فرضت فى بلاد الموصل والجزيرة فى العصر الأتابكى نذكر من بينها « غلة دار الضرب » وهى ما كان يخصص لبيت المال فى دار

(١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ١٠ ص ٢٧٠
(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ٢٠٤
(٣) نفس المصدر القسم الأول جـ ٨ ص ٣٢٥
(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٧ هـ

ضرب النقود ، ونسبتها واحد فى المائة مما يضرب من هذه النقود ، (١) وكانت هذه النسبة تختلف من بلد إلى آخر ، ومن وقت إلى آخر (٢) .

كما فرضت ضرائب المؤن فى ذلك العصر ، وقد فسرها ابن الفوطى (٣) بأنها ضريبة أضافية يأخذها مستوفو الضرائب من التجار من سائر الأجناس والأماكن ، وقد ألغيت هذه الضريبة من ميافارقين سنة ٥٠٢ ﻫ (٤) .

كذلك فرضت ضريبة على المنسوجات التى راجت صناعتها فى الموصل فى العصر الأتابكى (٥) ، كما فرضت على الدور والحوانيت فى أتابكيات الموصل والجزيرة تسمى « العقار (٦) » أما المعادن التى كانت تستخرج من بعض بلاد الجزيرة فكان عليها ضريبة تقدر بالخمس (٧) .

على أن نور الدين محمود بن زنكى خفف عبء الضرائب عن أهل الجزيرة ، فلما فتح هذه البلاد سنة ٥٦٦ ﻫ (١١٧٠ م) ألغى الضرائب الاضافية ولم يبق الا على الجزية والخراج والمكوس (٨) وكتب منشورا

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص ٦١ — ٦٢

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٦٢

(٤) تاريخ الفارقى ص ٢٢٠

(٥) جعفر حضاك : العراق فى العصر المغولى ص ١٠٩

(٦) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم جـ ٥ ص ٨٥

(٧) اشتهرت بعض مدن بلاد الجزيرة بكثرة ما يستخرج منها من النحاس والحديد .

(ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٦٦)

(٨) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان القسم الاول جـ٨ ص ٣١٢

بذلك جاء فيه « وقد علمتم معاشر الرعايا ما كان مرتبا من المظالم المجحفة بأحوالكم ، والمكوس المستولية على شطر أموالكم ، والرسوم المضيقة عليكم فى أرزاقكم ، والمؤن التى تساهمكم فى منافع أملاككم . . . وقد بقى من رسوم الظلم ومعالم الجور فى سائر الأعمال بولايتنا ما أمرنا بازالته الآن ، وأضفنا ذلك إلى ما كنا أسقطناه أولا . . . (١) .

تعد المصادرات فى بلاد الموصل والجزيرة فى العصر الأتابكى موردا ماليا لكثرة المصادرين ، فصادر عماد الدين زنكى بن آقسنقر أموال نائبه نصير الدين جقر بعد وفاته سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) ، وصادر أموال وذخائر أهله وأقاربه وعماله (٢) ، كما صادر عمادالدين زنكى أموال وزيره أبى المحاسن على بن أبى طالب بعد عزله (٣) .

كانت الأموال التى تأتى من الموارد السابق ذكرها تنفق على مصالح دول الأتابكة فى الوجوه الآتية :

١ — رواتب موظفى الأتابكيات على إختلاف مراتبهم ومما يجدر ذكره أن بعض كبار رجال دول الأتابكة كانوا يتقاضون مرتبات كبيرة فقد رفع عماد الدين زنكى بن آقسنقر رواتب موظفيه ، حتى صار لوزيره جمال الدين محمد بن على الأصفهانى عشر دخل أتابكية الموصل ، كما أن قطب الدين مودود بن زنكى — أتابك الموصل — سار على سياسة أبيه فى تحسين

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ٢٧٤ — ٢٧٥
(٢) ابن الاثير : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣
(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

رواتب موظفيه ، وكان يقول : إذا لم يظهر احسانى على من يخدمنى ، من الذى يحسن إليهم[1] .

٢ — أعطيات الجند :

كان بعض الأتابكة يمنحون جندهم أحيانا اقطاعات عوضا عن المرتبات أما الجند الذين ليس لهم إقطاع ، فيتقاضون رواتبهم من ديوان الجيش ، وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر يمنح جنده رواتبهم كل ثلاثه شهور[2] أما جند التركمان فى ديار بكر ، فكانوا لا يتقاضون أجوراً ، إنما يذهبون إلى ميدان القتال مجهزين أنفسهم بالأسلحة والمؤونة اللازمة ، ويأخذون أجورهم من الغنائم التى يحصلون عليها من ميدان القتال[3] .

٣ — الإنفاق على مرافق البلاد ، وأقامة الجسور ، وإنشاء القناطر وقد أهتم بعض وزراء الأتابكة بهذه المرافق كالوزير جمال الدين الأصفهانى الذى أقام فى بلاد الموصل الكثير من الجسور والقناطر[4] ، وكذلك فعل مجاهد الدين قيماز — النائب فى اتابكية الموصل[5]

٤ — نفقات الحروب :

كان الأتابكة ينفقون الكثير من الأموال فى إعداد جيوشهم وتجهيزها بالأسلحة وغيرها من العتاد الحربى ، وكذلك فى بناء الحصون والقلاع .

كان مظفر الدين كوكبورى — أتابك اربل — يقسم موارد بلاده ثلاثة أقسام ، قسم فى أبواب البر ، وقسم ينفقه على أعطيات الجند ،

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٣٠

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٨٣

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٤ هـ

(٤) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٢٩

(٥) نفس المصدر ص ١٩٤

وتجهيزهم بالمؤن والأسلحة ، وقسم يدخره لعدو يقصده (١) .

. كان بكل دولة من دول أتابكة الموصل والجزيرة بيت للمال يعرف بالمخزن ، وله فرع فى سائر ولايات الأتابكية ، وينقسم المخزن إلى قسمين، يشرف أحدهما على النفقات ، ويرسل ما تبقى إلى المخزن الرئيسى فى حاضرة الأتابكية ، ويشرف الثانى على الموارد .

ومما يجدر ذكره أن عماد الدين زنكى بن آقسنقر كانت أمواله فى عدد من مخازن الموصل وسنجار وحلب وغيرها حتى يضمن وجود احتياطى من المال تحت تصرفه ، إذا ما تعرضت بلاده للغزو (٢) . وكان قطب الدين مودود بن زنكى يدخل إلى المخزن فى بعض الأوقات ليتابع سير إدارته ، ولا يخرج منه إلا وقد أرضى العاملين فيه بالصلات والمنح (٣) .

وقد زادت أموال أتابكية الموصل بعد أن قصدها سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) وعقد صلحاً مع أخيه قطب الدين مودود ، نزل له بمقتضاه عن أموال المخزن بسنجار ، فنقلها نور الدين على ستمائة جمل ، وستة وتسعين بغلا محملة ذهبا (٤) .

على أن موارد المخزن فى الموصل والجزيرة تعرضت للنقصان فى بعض السنوات ، كما حدث فى عامى ٥٧٤ هـ ، ٥٧٥ هـ حين انتشر الوباء والقحط فى بلاد الموصل والجزيرة وديار بكر (٥) . وحل الخراب والدمار ببلاد الجزيرة سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) نتيجة للفتن والحروب التى قامت بين الأكراد والتركمان (٦)

(١) سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان القسم الثانى جـ ٨ ص ٢٦٨-٢٦٣
(٢) أبو شامة . الروضتين فى أخبار الدولتين .
(٣) ابن الاثير التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٤٩
(٤) المصدر السابق ص ٩٨
(٥) المصدر السابق ١٧٨
(٦) ابن الاثير . الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(ب) المعاملات المالية :

استخدم أتابكة الموصل والجزيرة الدنانير والدراهم والفلوس فى معاملاتهم ، ففى أتابكيات الموصل وسنجار واربل والجزيرة كانت دنانيرهم ذات شكل دائرى غير أنها لم تكن ثابتة فى وزنها وقطرها ولم تظهر صور على هذه الدنانير ، بل نقش عليها عبارات من جهتيها ففى إحداها (لله الأمر من قبل ومن بعد وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وعبارة (باسم الله ضرب هذا الدينار ب . . ستة . . . هـ)[١] كما نقش على هذا الوجه (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) ثم اسم الخليفة المعاصر وألقابه ، وأحياناً اسم الأتابك وألقابه . أما الوجه الآخر فنقش عليه (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وعبارة (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم اسم الأتابك المعاصر وألقابه[٢] واسم السلطان السلجوقى . ولما دخلت الموصل وسنجار فى دائرة نفوذ نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) نقش اسمه على دنانير هاتين الأتابكيتين . وظل الأمر جارياً على ذلك حتى خضعت أتابكيات الموصل والجزيرة للأيوبيين فنقشوا أسماء سلاطينهم على الدنانير[٣] .

أما بدر الدين لؤلؤ فنقش على الدنانير التى سكها فى الموصل اسم الخليفة العباسى ، وظل الأمر على هذا الحال حتى دخل فى طاعة المغول سنة ٦٥٢هـ (١٢٥٤ م) فحذف اسم الخليفة المستعصم من الدينار ، ونقش اسم مانجوخان - إمبراطور المغول - ، غير أنه أبقى على أسماء سلاطين الأيوبيين على دنانير الموصل ، فنقش اسم الملك الكامل بن العادل بن أيوب

(١) محمد باقر كاظم : الدينار الأتابكى ص ٢٧ .
(٢) مجلة المجمع العلمى العراقى م ٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ ص ٢٣٣ - ٢٣٤
(٣) نفس المصدر ص ٢٣٧

— صاحب مصر — وأخيه الملك الأشرف موسى بن العادل — صاحب الشام والبلاد الجزرية سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٣ م) وظهر اسم الملك الناصر يوسف الأيوبي — صاحب حلب — على دنانير الموصل واستمر الأمر على ذلك حتى سنة ٦٥٦ هـ [١] (١٢٥٨ م).

كما نقش على الدنانير التى سكت فى عهد إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ اسم مانجوخان، ولما خرج هذا الأتابك على المغول، حذف اسم سلطانهم من السكة، ونقش اسم السلطان الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) كما نقش على هذه الدنانير اسم الخليفة العباسى المستنصر بالله الذى أقامه الظاهر بيبرس [٢].

أما أتابكة ماردين وحصن كيفا. فظهر على بعض دنانيرهم صور لأباطرة بيزنطيين، ونقوش بيزنطية، مما ينهض دليلا على أن الأراتقة ضربوا بعض دنانيرهم فى بلاد الدولة البيزنطية [٣]. ولم تظهر أسماء السلاطين السلاجقة على العملات الأرتقية، إنما ظهر أسماء سلاطين الأيوبيين بعد أن دخل الأمراء الأراتقة فى طاعة بنى أيوب ونقش على هذه الدنانير اسم الخليفة العباسى مقرونا باسم الأمير الأرتقى [٤]، فالخليفة العباسى المستنجد بالله نقش اسمه على الدينار الأرتقى مع نجم الدين ألبى — أمير ماردين — والمستضىء بأمر الله أقترن اسمه فى حصن كيفا باسم الأمير نور الدين محمود، كما نقش اسم الخليفة الناصر لدين الله على السكة مع اسم ولى عهده عدة الدنيا والدين محمد مقرونا باسم غازى وبولق اللذين تعاقبا على حكم كيفا [٥].

(١) مجلة المجمع العلمى العراقى م ٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ ص ٢٣٩

(٢) محمد باقر كاظم: الدينار الأتابكى ص ٥٣ — ٥٦

(٣) Lane Poole : Coins of the Urtuki Turkumans, p. 14

(٤) أنستاس الكرملى: النقود العربية وعلم النميات ص ١٣٨

(٥) نفس المصدر ص ١٣٨

نماذج من دنانير أتابكة الموصل والجزيرة

(١)

الوجه الآخر		أحد الوجهين	
الب أرسلان	سنجر محمد رسول الله صلى الله عليه معز الدنيا والدين غياث الدنيا والدين مسعود محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . (١)	أبو بكر	العادل لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتقى لأمر الله أمير المؤمنين بسم الله ضرب هــذا الدينار بالموصل سنة أربعين وخمسمائة لله الأمر من قبل ومن بعد (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)

الملك الأمير

(٢)

محمد شاه	سنجار محمد رسول الله السلطان المعظم منصور	الله لا إله إلا هو . المسترشد بالله السلطان الأعظم سنجر

يتضح من هذين الدينارين أن أحدهما ضرب بالموصل والآخر بسنجار فى عهد عماد الدين زنكى بن آقسنقر (المنصور) وظهر فى الدينار الأول اسم أبى بكر الدبيسى — أحد الأمراء المقربين إلى عماد الدين زنكى بن آقسنقر واسم الخليفة المتقى لأمر الله والآخر المسترشد بالله ، ونقش

(١) مجلة المجمع العلمى العراقى م ٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ ص ٢٣٣ — ٢٣٤

اسم السلطان سنجر على الديتارين كما نقش اسم السلطان ألب أرسلان الذى كان زنكى أتابكا له ، ونقش على الدينار الثانى اسم السلطان السلجوقى محمد شاه .

(٣)

أحد الوجهين	الوجه الآخر
غازى بن	العادل
لا إله إلا الله	محمد
وحده لا شريك له	رسول الله
المستضىء بأمر	صلى الله عليه
الله أمير	بن زنكى
المؤمنين	
لله الأمر من قبل ومن بعد	أرسله بالهدى ودين الحق
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	ليظهره على الدين كله ولوكره
بسم الله ضرب هذا	المشركون
الدينار بالموصل . . وستين	
وخمسمائة .	

يتبين من هذا الدينار أن اسم سلاطين السلاجقة حذف من دنانير الموصل واستبدل باسم نور الدين محمود الذى دخلت الموصل فى طاعته .

---

(١) مجلة المجمع العلمى العراقى م ٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ ص ٣٢٧ .

(٤)

الأمام
لا إله إلا الله
وحده لا شريك له
الناصر لدين الله
أمير المؤمنين
لله

الملك العادل

بن مودود
محمد رسول الله
صلى الله عليه
نورالدنيا والدين
أتابك أرسلان شاه
محمد رسول الله أرسله
بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون .

الملك العادل ملك مصر والشام (٥٩٦ — ٦١٥ م) وسبب ورود إسمه هو أن الدولة الأتابكية بالموصل دخلت فى التبعية لبنى أيوب منذ سنة ٥٨٩ هـ .

(٥)

بن على
لا إله إلا الله
وحده لا شريك له
الناصر لدين الله
أمير المؤمنين
لله الأمر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
بسم الله ضرب هذا
الدينار باربل سنة تسع وستمائة

العادل
محمد رسول الله
صلى الله عليه
وسلم ملك
الأمراء كوكبر
ى

(يتضح من هذا الدينار أن مظفر الدين كوكبورى — أتابك اربل كان فى طاعه بنى أيوب).

(٦)

ملك الأمرا محيي
العدل نور الدين
محمد بن قرا أرسلان
بن أرتق نصير
الإمام الناصر
لدين الله

ملعون من
بغيره

على اسم الله ضرب بالحصن
سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

(١)

لم تظهر الدراهم الفضية فى بلاد الجزيرة إلا فى عهد بدر الدين لؤلؤ — أتابك الموصل — لنقص معدن الفضة فى تلك البلاد ، ومن ثم ضربت فيها دراهم نحاسية . وهناك دراهم نقش عليها صور فى الوجه . أما النوع الثانى فخال من الصور كما هو الحال فى هذا الدرهم .

(٧)

الامام
الناصر
لدين أمير
المؤمنين
ضرب هذا الدرهم فى نصيبين

بن زنكى
الملك العادل
العالم عماد
الدنا والدين
زنكى بن مودود(٢)

وكان هناك بدول الأتابكة إلى جانب الدنانير والدراهم فلوس نحاسية ، بدأ استعمالها منذ أن ولى قطب الدين مودود الموصل ، ويتجلى فيها تنوع وزيادة الألقاب ، ذلك أن الأتابك كان يضرب هذه العملة دون الرجوع إلى الخليفة العباسى . وهذا النوع من العملة يساعد على مرونة العمليات التجارية ، وشراء الحاجيات البسيطة (٣) .

---

(١) Lane Poole : The Coins of the Urtuki Turkumans.
(٢) مجلة المجمع العلمى العراقى م ٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ ص ٣٤١ (٣) كاظم : الدينار الاتابكى ص ٦٢

ثانيا : الحياة الثقافية فى بلاد الجزيرة

فى أواخر العصر العباسى

لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهداً فى تشجيع الحركة الثقافية ، فأنشأوا المدارس وشجعوا أساتذتها وطلابها على تأدية مهامهم ومن أبرز الأدلة على ذلك المدرسة التى أسسها الأتابك سيف الدين غازى فى الموصل - وهى من أحسن المدارس - ووقفها على الفقهاء الحنفية والشافعية ، وبنى رباطاً للصوفية بالموصل ، (١) وكان عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار يقدر أهل العلم والدين .

كذلك شيد مجاهد الدين قيماز - وزير قطب الدين مودود - المدارس بالموصل ، وكان خيراً فاضلا عالما بالفقه على مذهب أبى حنيفة ، ويحفظ من الأشعار والحكايات والنوادر شيئاً كثيراً (٢)

وقد نبغ شيوخ فى بلاد الجزيرة قاموا بالتدريس ، وتخرج على أيديهم الكثير من العلماء الأفاضل ، نخص بالذكر منهم أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان وكان عالما فى مجالات شتى مثل الفقه والأصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك .(٣)

ومن شيوخ هذه البلاد أبو القاسم يعيش بن صدقه بن على الفراتى ، كان إماما فى الفقه مدرساً صالحاً كثير الصلاح ،(٤) أما الشيخ مكى بن ريان

---

(١) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٤٤ هـ

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص١٩٣ هـ

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨٥ هـ

(٤) المصدر السابق - ١ ص٥٩٦ .

فكان عالماً بالنحو واللغة والقراءات ، ولم يكن فى زمانه مثله ، وكان يعرف سوى هذه العلوم ، إذ عرف بسعة إطلاعه وتعدد اهتماماته وتردد عليه الطلاب من كل مكان . وكانت حلقات درسه تعقد من الصباح المبكر حتى الليل (١) .

ومن أبرز علماء بلاد الجزيرة فى العصر الأتابكى الإخوة مجد الدين وعز الدين وضياء الدين ، وهم أبناء محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ، وكان سموخاماً عند أتابكة الموصل منذ حكم عماد الدين زنكى ، وولى ديوان جزيرة ابن عمر من قبل قطب الدين مودود ابن زنكى — أتابك الموصل — ثم انتقل إلى الموصل ، وكان من أهل الثراء (٢) .

أما مجد الدين أبو السعادات المبارك فقد اتصل بخدمة الأمير مجاهد الدين قيماز ، وكتب بين يديه حتى وفاته سنة ٥٩٥ ﻫ ثم اتصل بخدمة عز الدين مسعود .

ولما آل ملك الموصل إلى نور الدين أرسلان شاه أرسل إليه مملوكه لؤلؤ يرجوه قبول الوزارة فأبى ، وقال : قد كبرت سنى واشتهرت بطلب العلم ، ولا يصلح هذا الأمر إلا بشىء من العسف والظلم ، ولا يليق بى ذلك فأعفاه . ثم اتصل بنور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود فحظى عنده ، وتوفرت حريته لديه ، وكتب له مدة حتى أقعده المرض ، فاعتزل فى داره ، وظل منزله مقصد العلماء والأدباء ، وصنف كتبه كلها فى مدة اعتزاله العمل ، وكان عنده جماعة يعينونه فى الاختيار والكتابة ، وقد صنف الشيخ فى سائر العلوم كتباً مفيدة منها وجامع الأصول فى أحاديث

---

(١) المصدر السابق حوادث سنة ٦٠٣

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٩

الرسول ، جمع فيه الموطأ والصحيحين وسنن أبى داود والنسائى والزمخشرى

وله كتاب النهاية فى غريب الحديث فى خمس مجلدات ، وكتاب الأنصاف فى الجمع بين الكشف والكشاف ، فى أربع مجلدات ، وله كتاب المصطفى والمختار فى الأدعية والأذكار ، وكتاب البديع وله ديوان الرسائل ، وكتاب الشافى فى شرح مسند الإمام الشافعى وبالجملة كان عالماً فى عدة علوم منها الفقه وعلم الأصول والنحو والحديث واللغة وتصانيف مشهورة فى التفسير والحديث [1] .

أما ضياء الدين فإنه ولى الوزارة للملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب دمشق — فأساء السيرة ، وثار عليه الناس ، وكادوا يقتلونه ولما خرجت دمشق من يد الافضل ، التحق بخدمة الظاهر غازى صاحب حلب — ولكنه غضب عليه ، وتنحى عن عمله ، وعاد إلى الموصل غير أنه لم يستمر فى الإقامة بها ، فرحل منها إلى إربل ثم سنجار ثم عاد إلى الموصل واستقر به المقام هناك ، وشغل وظيفة كاتب الإنشاء لناصر الدين محمود بن الملك القاهر .

وترجع شهرة ضياء الدين على الأخص إلى أنه كان من أصحاب الاساليب ، ومن أهم كتبه ، كتاب المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » وهو مجلد قيم فى فن الكتابة ، ولما فرغ من تصنيفه وصلت نسخة منه إلى بغداد ، وتصدى لمؤاخذته الفقيه الأديب ابن أبى الحديد المدائنى ، وجمع هذه المؤاخذات فى كتاب « الفلك الدائر على المثل السائر » وله كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، وهو كتاب موجز يفيد قارىء الادب ، وله كتاب « المعانى المخترعة فى صناعة الإنشاء » وله مجموعة شعرية تضمنت أشعار أبى تمام والمتنبى فى مجلد واحد ، وله أيضاً ديوان ترسل

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٤ ص ٥٤

فى عدة مجلدات، والمختار منه فى مجلد واحد ، وله عدة رسائل ، منها رسالة يصف فيها الديار المصرية ، وهى طويلة ، ومن جملتها فصل فى صفة نيلها وقت زيادته ، وهو معنى بديع وغريب (١) .

وكان لتكوين ضياء الدين الثقافى أكبر الأثر فيما بلغه من سعة فى العلم، فقد حفظ القرآن الكريم ، وكثيراً من الأحاديث النبوية ، ودرس النحو واللغة والبيان ، وشيئاً كثيراً من الأشعار ، حتى قال فى أول كتابه الذى سماه « الوشى المرقوم » : وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة مالا أحصيه كثرة ، ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر أبى تمام والبحترى والمتنبى ، فحفظت دواوينهم ، وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعانى ، وصار الأدمان لى خلقاً وطبعاً . . . والمنشىء ينبغى أن يجعل دأبه فى الترسل حل المنظوم ، ويعتمد عليه فى هذه الصناعة (٢)

وتوفى ضياء الدين فى بغداد سنة ٦٣٧ هـ .

أما عز الدين أبو الحسن على بن محمد فهو الأخ الثانى لمجد الدين وضياء الدين ، ولد عام ٥٥٥ هـ ١١٦٠ م فى جزيرة ابن عمر ، وتوفى فى الموصل سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٤ م ، وهو صاحب الكتب التاريخية التى من أشهرها « الكامل فى التاريخ » وصنف كذلك تاريخاً لدولة أتابكة الموصل والجزيرة، يسمى « التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية » كما صنف معجما مرتبا على حروف الهجاء عن الصحابة عنوانه « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » ولخص كتاب الأنساب للسمعانى بعنوان اللباب ، على أن كتابه الكامل فى التاريخ

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٢٨ ــ ٣٢

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٥

(٣) ابن خلكان . وفيات الأعيان جـ ص ٢٠٨

أهم مؤلفاته جميعاً بل من أبرز المراجع التاريخية قاطبة ، وينتهى بحوادث سنة ٦٢٨ هـ .

تلقى عز الدين العلم فى الموصل وفى بغداد ، كما رحل إلى بلاد الشام ، ووقف بقية حياته على العلم الذى انقطع له ، وقد استفاد ابن الأثير من شيوخ عصره بالجزيرة والعراق والشام ، فسمع بالموصل من خطيبها عبد الله بن أحمد الطوسى ، وسمع ببغداد من أبى القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعى ، وأبى أحمد عبد الوهاب بن على الصوفى ، وسمع بدمشق من بعض العلماء ، وعاش ابن الأثير منقطعا إلى العلم تحصيلا وتدريسا وتصنيفا ، وقد قام بمهمة السفارة لبعض حكام الموصل لدى المسؤولين فى بغداد .

وقد روى عن ابن الأثير غير واحد من جلة العلماء ، فقد ذكر ابن خلكان أنه لقيه فى حلب ، وتتلمذ عليه بها ، وروى عنه أيضا .(١)

قلنا إن كتاب الكامل فى التاريخ لعز الدين بن الأثير أشهر مصنفاته ، ويقع فى اثنى عشر جزءاً . وكان جل اعتماده فى الأجزاء السبعة منه على أبى جعفر الطبرى ، وقد اختصر الطبرى ، فحذف الأسانيد ، وترك الاسهاب . واكتفى بالرواية الواحدة ، وهذا أمر ييسر للقارىء مهمته ، خصوصا أن صاحبنا لا يذكر إلا الرواية المرجحة ، ولم يعتمد ابن الأثير على كتاب « تاريخ الامم والملوك » للطبرى فقط بل اعتمد كذلك على كتب التاريخ الاخرى مثل « فتوح البلدان » للبلاذرى ، ومروج الذهب للمسعودى وذلك حرصا منه على ذكر صورة كاملة متكاملة لتاريخه . واعتمد ابن الأثير بعد الجزء السابع من كتابه الكامل — على المراجع التاريخية الأخرى .

---

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠٨

والواقع أن ابن الأثير كان حريصاً على ذكر الرواية الصحيحة ، وأحيانا ينقد الكتب التى تتناول موضوعات لا يرى دقتها .

وقد أوضح ابن الأثير فى مقدمة كتابه المراجع التى اعتمد عليها ، والأسباب التى دعته إلى تصنيف هذا الكتاب ، فيقول شرعت فى تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب ... فابتدأت بالتاريخ الكبير الذى صنفه الإمام أبو جعفر الطبرى فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبرى ماليس فيه ووضعت كل شىء منها موضعه . . . على أنى لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ، ممن أعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة مادونوه .(١)

ويقول عن علم التاريخ : «هو الحافظ للعلوم ينقلها من الماضى إلى الحاضر والآتى ، الكافل بتبيان صورة تدوينها مع التنويه بأسماء المؤسسين والناشرين والمحققين ، وهو الناقل لنا صور الماضى وما فيه من حوادث وقصص وغيرها لتكون خير مرشد للمتأخرين ، وهو نعم الداعى إلى الفضيله بإذاعة مناقب أرباب الكمال وأولى النهى والمزايا العظيمة ، وأحسن زاجر للطغاة عن طغيانهم بما يسود صفحاته من أعمالهم . . . وهو السلسلة التي تربطنا بمن قبلنا ، وتعرفنا بهم ، وبما كانوا عليه ، وما صدر عنهم وفيهم من الأحوال والشؤون . »(٢)

وقد تحامل ابن الأثير على الذين يقللون من أهمية علم التاريخ فقال : ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر فى العلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدريها ظنا منه أن غاية فائدتها إنما هو القصص

(١) مقدمة كتاب الكامل فى التاريخ .
(٢) مقدمة الكتاب الكامل فى التاريخ

والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار ، وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره .. ومن رزقه طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم أن فوائدها كثيرة . . .

فنها أن الإنسان لا يخفى أنه يحب البقاء . . فياليت شعرى أى فرق بين مارآه أمس أو سمعة ، وبين ماقرأه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين ؛ فإذا طالعها فكأنه عاصرهم ، وإذا علمها فكأنه حاضرهم (١) .

ومن علماء الموصل المشهورين بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد ، ولد بالموصل . وتوفى أبوه وهو لا يزال غرا صغيراً ، فنشأ عند أخواله بنى شداد ، فنسب إليهم ، وكان شداد جده لأمه ودرس الدين واللغه والتاريخ والأدب ، وتعمق فى دراسة هذه العلوم ، وقد أهله ذلك لوظائف القضاء والتدريس ،فقد درس فى الموصل ، كما رحل إلى بغداد ، ودرس فى المدرسة النظامية على شيوخ هذه المدرسة ، وقد نبغ فى دراسته حتى أن شيوخه عينوه معيداً فى هذه المدرسة ، وعمل بها ثلاث سنوات ، وعاد إلى الموصل وصار مدرسا بالمدرسة التى أنشأها القاضى كال الدين الشهر زورى ، وانتفع بعلمه كثير من الصلاب ، وذاع صيته .

ولما لمس فيه أتابك الموصل رجاحة العقل ، وسداد الرأى ، عهد إليه بالسفارة فى أمور سياسيه بالغة الخطورة والأهمية إلى صلاح الدين يوسف ابن أيوب بعد الخلافات الشديدة بينه وبين صلاح الدين عقب وفاة الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦

وشرع صلاح الدين فى مهاجمة الموصل بعد أن اتضح له أن أتابكها يحرض أعداءه عليه فتوجه ابن شداد رسولا من أتابك الموصل. عز الدين مسعود إلى الخليفة العباسى يطلب منه تسوية الخلافات بينه وبين صلاح الدين ، فأنفذ الخليفة شيخ الشيوخ فى بغداد إلى صلاح الدين لبذل مساعيه الحميده لانهاء الخلافات بين الزعيمين :

وفى العام التالى توجه ابن شداد إلى صلاح الدين ضمن وفد لتسويه الخلافات بين أتابك الموصل وصلاح الدين ، وعلى الرغم من فشل هذه السفاره ، فإنها أدت إلى تعرف صلاح الدين على ابن شداد ، وقد قدره ، وعرض عليه أن يقوم بالتدريس فى مصر ، ولكنه اعتذر ، وظل أمير الموصل يعهد إلى ابن شداد بمثل هذه المهمات السياسية (١)

ولما استرد صلاح الدين يوسف بن أيوب مدينة القدس ، زارها ابن شداد ، ثم قدم إلى دمشق ، واستدعاه صلاح الدين ، وأكرم وفادته ، وسأله عن مشايخ العلم ، وطلب منه أن يقرأ له جزء اجمع فيه أحاديث البخارى ، وقدم إليه ابن شداد كتابا ألفه فى أثناء إقامته فى دمشق عن « الجهاد أحكامه وآدابه » فأعجب السلطان صلاح الدين ، وكان يلازم مطالعته ، وعاد صلاح الدين يعرض على ابن شداد الدخول فى خدمته ، فوافق ابن شداد بعد تردد ، ومن ذلك الوقت سنة ٥٨٤ / ١١٨٨ لم يفارق ابن شداد ، صلاح الدين ساعة من ليل أو من نهار حتى حضر وفاته وتولى لصلاح الدين وظائف القضاء والحكم بالقدس الشريف (١)

وبعد وفاة السلطان صلاح الدين ، توجه ابن شداد إلى حلب ، وبذل جهوداً مضنية لجمع كلمة أولاد صلاح الدين ، ولم يلبث أن تولى القضاء فى حلب ، وظل يواصل محاولاته ، لوقف الخلافات بين أمراء بنى أيوب

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان جـ ٦

فى الشام ومصر ، وقام بعدة رحلات بين مصر والشام لهذا الغرض ، وازداد نفوذه زمن السلطان الظاهر وابنه العزيز ، فلم يكن لأحد فى الدولة معه كلام ، ولما بلغ العزيز أشده ، استبد بالحكم ، واستند فى إدارة دولته إلى جماعة لم يرض عنها ابن شداد ، فاعتزل السياسة ، ولازم داره ، ودأب على أن يسمع الحديث لمن يقدم عليه من المريدين بعد صلاة المغرب وصلاة العشاء من كل يوم ، ونشطت فى زمنه حركة الدراسة والعلم بفضل ما أنشأه من مدارس ، وتوفى فى حلب سنة ٦٣٢ هـ .

ولما كان ابن شداد ثقة عالما بالدين ، فقد اشتهر اسمه ، وسطر ذكره ، وكان ذا صلاح وعباده .

ولابن شداد عدة مؤلفات منها ، تاريخ حلب ، ودلائل الأحكام فى الفقه ، وملجأ الأحكام عند التباس الأحكام ، على أن أهم كتبه « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » قسمه قسمين الأول فى نشأة صلاح الدين وأخلاقه ، والثانى فى بعض وقائعه وغزواته (١)

ويختلط اسم القاضى ابن شداد باسم مؤرخ عربى يحمل نفس الاسم ، وهو عز الدين أبو عبد الله محمد بن على بن ابراهيم توفى سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م ، وقد صنف كتاباً قيما عنوانه « الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة » (٢)

نشطت الحركة العلمية فى إربل فى أواخر العصر العباسى . وتجلى ذلك فى المدارس العديدة التى أسسها حكام هذه الأتابكية ، وقد تخرج من هذه المدارس رجال شغلوا وظائف رئيسية فى البلاد الإسلامية ، فكان منهم القاضى والمحتسب والفقيه والأديب والشاعر ، ومن بين هذه المدارس .

---

(١) ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٥٨ - ١٥٩

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٥ .

مدارس أنشأها مظفر الدين كوكبورى لتدريس الفقه الشافعى والفقه الحنفى، وقام بالتدريس فيها شيوخ أجلاء، نخص بالذكر منهم، محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان (ت سنة ٦١٠ هـ) وهو والد المؤرخ المشهور قاضى القضاة ابن خلكان، صاحب كتاب وفيات الأعيان، ومن أساتذة مدارس إربل أحمد بن موسى بن منعة الذى قام بالتدريس للشيخ الجليل ابن خلكان، ويقول عنه: إنه كان فاضلا عاقلا حسن السمت جميل المنظر، كثير المحفوظات غزير المادة، حسن الإلقاء، فصيح اللسان، قوى البيان. ابن خلكان: (وفيات الأعيان حـ ١ ص ٩٠) وقام بمهمة التدريس فيها عمر بن ابراهيم (ت ٦٠٩) عم المؤرخ ابن خلكان.

ومن أساتذة مدارس اربل أبو العباس الخضر بن نصر الأربلى (ت ٦١٩) كان فاضلا فقيها عارفاً بالمذهب والفرائض والخلاف، تتلمذ فى بغداد على يد عدد من المشايخ، ثم رجع إلى إربل، وله تصانيف حسان كثيرة فى التفسير والفقه وغير ذلك وله كتاب ذكر فيه ستا وعشرين خطبة للرسول، وكلها مسندة، وتتلمذ عليه خلق كثير، وانتفعوا به، وكان رجلا صالحاً زاهداً عابداً ورعا، ومن جملة من تخرج عليه الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الهذبانى شارح المهذب، وتخرج عليه ابن أخيه أبو القاسم نصر بن عقيل بن نصر ت ٥٦٧ هـ) (١)

ولما توفى تولى ابن أخيه مكانه فى المدرستين، وسخط عليه مظفر الدين كوكبورى — أتابك إربل — وأخرجه منها، وانتقل إلى الموصل، وسكن عز الدين ظاهر الموصل فى رباط ابن الشهرزورى وقرر له صاحب

---

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب جـ ٤ ص ١٣٣

الموصل راتبا ، وتوفى بها سنة ٦١٩ هـ (١)

ومن اشتهر بالفتوى العالم الفقيه كمال الدين سلار بن الحسن بن عمر ابن سعيد الأربلى المتوفى سنة ٥٦٧ هـ ، وذاعت فتاواه فى الشام ، وسارت مسير الشمس فى النهار (٢)

ونبغ فى مدرسة إربل القاضى والمؤرخ ابن خلكان صاحب الكتاب المشهور « وفيات الأعيان وأنباء الزمان » الذى تضمن ترجمة لرجال الفكر والسياسة والحرب المسلمين الذى لعبوا دوراً بارزاً فى الحياة الإسلامية . وهذا الكتاب يعتمد عليه كل المهتمين بالدراسات الإسلامية. وابن خلكان هو أحمد بن محمد بن ابراهيم ، درس فى مدارس إربل ، وتلقى الدراسات الدينية من والده ، ولما توفى والده ، انتقل إلى الموصل ، ودرس على علمائها هناك ، ثم واصل رحلاته فى طلب العلم والتزود بالمعرفة ، فانتقل إلى حلب وأقام عند الشيخ بهاء الدين أبى المحاسن يوسف بن شداد ، وتلقى منه علم الفقه ، ودرس النحو فى حلب ، ثم رحل إلى دمشق واتصل بابن الصلاح ، وتتلمذ عليه ، ثم غادر دمشق إلى القاهرة ، وشغل وظيفة القضاء فى بعض مدن مصر ، ثم عاد إلى الشام حيث ولى قضاءه ، وتوفى سنة ٦٨١ هـ (٣)

ولقد اعتمد ابن خلكان كثيراً فى تراجمه التى أوردها فى كتابه على ابن المستوفى ، آخر وزراء إربل على عهد مظفر الدين — إذ صنف ابن المستوفى تاريخاً فى أربع مجلدات ، وكتابه عبارة عن تراجم ، فقدت . وكان ابن المستوفى أديباً كبيراً وشاعراً ومحدثاً ، يعقد الندوات الأدبية التى تضم كبار الأدباء والشعراء والفقهاء ، وهو من بيت علم ، نبغ من

---

(١) المصدر السابق جـ ٥ ص ٣٣١ .

(٢) المصدر السابق جـ ٥ ص ٦٦١ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ص ٢١١

أسرته علماء أجلاء ، وكان عمه صفى الدين أبو الحسن على بن المبارك يتقن اللغتين العربية والفارسية ، فترجم كتاب « نصيحة الملوك » للامام الغزالى من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية ، ويذكر ابن خلكان أن ابن المستوفى « كثير التواضع ، واسع الكرم ، لم يصل إلى إربل أحد من الفضلاء إلا بادر إلى زيارته ، وحمل إليه ما يليق بحاله ، ويقرب إلى قلبه بكل طريق ، وخصوصا أرباب الأدب ، فقد كانت سوقهم لديه نافقة ، وكان جم الفضائل ، عارفا بعدة فنون ، منها الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما يتعلق به ؛ وكان إماما فيه ، ماهراً فى فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافى وعلم البيان .

وإذا تتبعنا حياة ابن خلكان العلمية نراه قد استفاد فائدة كبيرة من النشاط الثقافى فى بلاد الجزيرة ، فسمع صحيح البخارى بمدينة إربل على الشيخ الصالح أبى جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم بن عبد الله الصوفى ، وتفقه فى الموصل على كمال الدين بن يوسف ؛ وأخذ بحلب عن القاضى بهاء الدين بن شداد ، وقرأ النحو على أبى البقاء يعيش بن على النحوى ، وتدرج فى وظائف القضاء — كما ذكرنا — حتى ولى منصب قاضى قضاة الشام ، وأقيم معه القضاة الثلاثة على مذاهب مالك وأبى حنيفة وابن حنبل ومذهبه مذهب الشافعى .

ولقد نسج ابن خلكان على منوال والده فى التفنن بالعلوم وتخرج عليه كثير من الطلاب . فلا غرو إذن أن ينشأ ابن خلكان على حب العلم حتى برع ، وصار بصيراً بالعربية أديبا شاعراً عالما بأيام الناس ، كثير الاطلاع (١)

---

(١) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣

قلنا إن كتاب وفيات الأعيان من أهم الكتب الإسلامية ، وهو مختصر فى علم التاريخ . ويقول : دعانى إلى جمعه أنى كنت مولعاً بالإطلاع على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم ومن جمع منهم فى كل عصر ، فوقع لى منه شىء حملنى على الاستزادة فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن ، وأخذت من أقوال الأئمة المتقنين له مالم أجده فى كتاب ، ولم أزل على ذلك حتى حصل عندى على مسودات كثيرة فى سنين عديدة وغلق على خاطرى بعضه ، فصرت إذا احتجت إلى معاودة شىء منه لا أصل إليه إلا بعد التعب فى استخراجه لكونه غير مرتب فاضطررت إلى ترتيبه فرأيته على حروف المعجم أيسر منه على السنين فعدلت إليه . . . . ولم أذكر فى هذا المختصر أحداً من الصحابه ولا من التابعين إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم وكذلك الخلفاء ، وذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ، ونقلت عنهم أو كانوا فى زمنى ، ولم أرهم ليطلع على حالهم من يأتى بعدهم ، ولم اقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أوالوزراء أو الشعراء بل كل من له شهرة بين الناس .

وجدير بالذكر أن ابن خلكان استقى معلوماته فى هذا الكتاب من ثلاثة مصادر ، أولها ما قرأه فى الكتب المصنفة قبله ، وكان مولعا بمراجعتها والإفادة منها ، والمصدر الثانى الدروس التى تلقاها من مشايخه الثقات ، والمصدر الثالث اعتمد فيه على مشاهداته الخاصة ، ولهذا سمى كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان . وقد لاحظ الأستاذ المرحوم محي الدين عبد الحميد الذى بذل جهداً مشكوراً فى تحقيق الكتاب — أن ابن خلكان حين ينقل من الكتب المصنفة لا يقف عند النقل ، ويلقى عهدته على صاحبه شأن كثير من المصنفين ، ولكنه يزن الكلام ويفحصه .

وقد نبغ أدباء فى إربل مثل مجد الدين أسعد بن إبراهيم بن حسن بن على الشيبانى النشابى الأربلى ، وكان يخاطب ابن المستوفى بالشعر .

تعددت المجالس الدينية فى إربل بسبب تشجيع أمرائها ووزرائها ولقد حرص مظفر الدين كوكبورى على إقامة الندوات الدينية ، إذ كان شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة لا يجتمع عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين ، ووفد على إربل فى أيامه العلماء والأدباء وقد حظوا منه بكل تشجيع وتأييد . وقد حرص مظفر الدين على إقامة حفلات كبيرة فى كل سنة بمناسبة مولد الرسول الكريم ، ولم يكن هذا الاحتفال مجرد استماع لأغانى وأناشيد دينية بل كانت تعقد فيه ندوات يقوم فيها الوعاظ والعلماء بالتحدث عن سيرة الرسول وإلقاء الأحاديث الدينية ، وكان الناس من البلدان المجاورة يفدون على إربل على اختلاف طبقاتهم خصوصا الفقهاء والمحدثون والأدباء والشعراء . وهؤلاء العلماء يبرزون معارفهم فى ندوات المولد الشريف وينالون من الأمير الأربلى كل عطف وتعضيد .

ولم يهتم مظفر الدين كوكبورى بالحركة الثقافية فى إربل فحسب بل تجاوز اهتمامه دائرة حكمه ، فبنى فى مدينة الموصل[1] داراً للحديث ليستفيد منها الراغبين فى دراسته ، وسميت بدار الحديث المظفريه .

ومن علماء إربل المشهورين الحسين بن ابراهيم الهذبانى وهو من علماء اللغة والحديث ، وقد تناول مع بعض العلماء مسند ابن حنبل بالترتيب على أبواب الفقه وتوفى سنه ٦٥٦ هـ . ولا ننسى ما قام به شمس الدين ابن الخباز من جهود فى علم النحو .

---

(١) اليونينى : ذيل مرآة الزمان حـ ٢ ٣٠٤

وقد نبغ فى إربل ابن سراقة الشاطبى ، وهو من الأندلس ، ورحل إلى الشرق ، وتنقل بين عدة مدن حتى انتهى به المطاف فى بغداد ودرس الحديث بها ، ثم انتقل إلى إربل ، وقرأ الحديث بها على المحدث أبى الخير بدل التبريزى .

ومن أشهر أدباء إربل ، أبو البركات المبارك بن أبى الفتح أحمد المعروف بابن المستوفى — آخر وزراء إربل على عهد مظفر الدين كوكبورى وقد نبغ فى مجالات الأدب والشعر والحديث والنحو واللغة ، وكان يعقد المجالس العلمية التى تضم الأدباء والشعراء والفقهاء ، ويقول عنه ابن خلكان : كان رئيساً جليل القدر ، كثير التواضع ، واسع الكرم لم يصل أحد إلى إربل من الفضلاء إلا بادر إلى زيارته ، وحمل إليه ما يليق بحاله ، ويقرب إلى قلبه بكل طريق ، وخصوصاً أرباب الأدب فقد كانت سوقهم لديه نافقة ، وكان جم الفضائل ، عارفا بعدة فنون ، منها الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما يتعلق به ، وكان إماما فيه ، وكان ماهراً فى فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافى وعلم البيان ، وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ، وكان بارعا فى علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم .

ومن أهم مصنفات ابن المستوفى كتاب تاريخ إربل ، ويقع فى أربع مجلدات ، ويتضمن تراجم لأعيان هذه البلاد ، وأفاد ابن خلكان فى تصنيف كتابه « وفيات الأعيان » ، وهذا الكتاب فقد .

وقد ساهم ابن المستوفى فى نشاط الحركة الأدبية فى إربل من جراء الندوات الادبية التى كان يعقدها فى منزله ، وكان يشجع الشعراء بصفة خاصة ، ويحب أن يخاطبهم ، ويخاطبوه بالشعر (٢)

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٢) المصدر السابق .

والخلاصة أن الحياة الثقافية فى بلاد الجزيرة فى أواخر العصر العباسى اشتملت على العلوم الدينية والادبية واللغوية فقط ، ولم تتضمن العلوم العقلية كالفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات ، وتجلى النشاط الثقافى فى المدارس العديدة التى أنشأها الأتابكة ، ونلاحظ أن علماء ذلك العصر لم يجدوا ولم يبتكروا فى تصانيفهم ، وإنما اقتصرت اهتماماتهم على تلخيص أو النقل من كتب السابقين .

جداول بأسماء أتابكة الموصل والجزيرة
والحكام المعاصرين لهم فى الشرق

أولا : أتابكة الموصل والجزيرة

ثانياً : الخلفاء العباسيون

ثالثاً : السلاجقة

رابعاً : أتابكة الشرق

خامساً : السلاطين والأمراء الأيوبيون

سادساً : الأمراء الصليبيون فى بلاد الشام

جداول بأسماء أتابكة الموصل والجزيرة والحكام المعاصرين لهم فى الشرق

أولا : أتابكة الموصل والجزيرة

(أ) أتابكة الموصل

عمادالدين زنكى بن آقسنقر ٥٢١ هـ — ٥٤١ هـ (١١٢٧ — ١١٤٦ م)
سيف الدين غازى الأول بن زنكى ٥٤١ — ٥٤٤ هـ (١١٤٦—١١٤٩م)
قطب الدين مودود بن زنكى ٥٤٤ — ٥٦٤ هـ (١١٤٩ — ١١٧٠م)
سيف الدين غازى الثانى بن مودود ٥٦٤ — ٥٧٢ هـ (١١٨٠—١١٧٦م)
عز الدين مسعود الأول بن مودود ٥٧٢هـ—٥٨٩هـ(١١٧٦—١١٩٣م)
نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود ٥٨٩ هـ— ٦٠٧ هـ (١١٩٣— ١٢١١٠ م)
عز الدين مسعود الثانى بن أرسلان شاه ٦٠٧ هـ — ٦١٦ هـ (١٢١٠ — ١٢١٨ م)
نور الدين أرسلان شاه الثانى بن مسعود الثانى ٦١٦ — ٦١٦ هـ (١٢١٨ — ١٢١٩ م)
ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود الثانى ٦١٦ — ٦٣١ هـ (١٢١٩ — ١٢٣٣ م)
بدر الدين لؤلؤ ٦٣١ هـ — ٦٥٧هـ (١٢٣٣ — ١٢٥٦ م)
ركن الدين إسماعيل بن لؤلؤ ٦٥٧ — ٦٦٠ هـ (١٢٥٦ — ١٢٥٩ م)

(ب) أتابكة سنجار

عماد الدين أبو الفتح زنكى الثانى بن مودود ٥٦٦ — ٥٩٤ هـ (١١٧٠ — ١١٩٧ م).

قطب الدين محمد بن زنكى الثانى ٥٩٤ — ٦١٦ هـ (١١٩٧ — ١٦١٩م)
عماد الدين شاهنشاه بن محمد ٦١٦ هـ (١٢١٩ م)
جلال الدين محمود بن محمد ٦١٦ — ٦١٧ هـ (١٢١٩ — ١٢٢٠ م)

(ج) أتابكة الجزيرة :

معز الدين سنجر شاه بن غازى الثانى ٥٧٦ — ٦٠٥ هـ (١١٨٠٠ — ١٢٠٨ م)
معز الدين محمود بن سنجر ٦٠٥ — ٦٣٩ هـ (١٢٠٨ — ١٢٤١ م)
مسعود بن محمود ٦٣٩ — ٦٤٨ هـ ١٢٤١ — ١٢٥٠ م)

(د) أتابكة اربل :

زين الدين على كجك بن بكتكين بن محمد ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م)
زين الدين أبو المظفر يوسف على ٥٦٣ — ٥٨٦ هـ (١١٦٧ — ١١٩٠م)
مظفر الدين أبو سعيد كوكبورى بن على ٥٨٦ — ٦٣٠ هـ (١١٩٠ — ١٢٣٣٢ م)

(هـ) أتابكة حصن كيفا ثم آمد :

معين الدين سقمان الأول بن أرتق ٤٩٥ — ٤٩٨ هـ (١١٠١ — ١١٠٤م)
ابراهيم بن سقمان ٤٩٨ — ٥٠٢ هـ) ١١٠٤ — ١١٠٨ م)
ركن الدولة داود بن سقمان ٥٠٢ — ٥٣٩ هـ (١١٠٨ — ١١٤٤م)
فخر الدين أبو الحارث قرا أرسلان بن داود ٥٣٩ — ٥٦٢ هـ (١١٤٤ — ١١٦٦ م)
تسلم آمد سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م)
قطب الدين سقمان الثانى بن محمد، الملك المسعود ٥٨١ — ٥٩٧ هـ (١١٨٥ — ١٢٠٠ م)
ناصر الدين محمود بن محمد — الملك الصالح — ٦٩٧ هـ (١٢٠٠ — ١٢٢٢م)

ركن الدين مودود بن محمود ٦١٩ — ٦٢٩ هـ (١٢٢٢ — ١٢٣١ م)
الملك المسعود ، عزله الملك الكامل الثانى بن غازى صاحب ميافارقين
سنة ٦٢٩ هـ .

(و) أتابكة ماردين :

نجم الدين أيلغازى الأول بن أرتق ٥٠٠ — ٥١٦ هـ (١١٠٦—١١٢٢)
حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى ٥١٦—٥٤٧ هـ (١١٢٢—١١٥٢م)
نجم الدين ألبى بن تمرتاش ٥٤٧ — ٥٧٥ هـ (١١٥٢ — ١١٧٩ م)
قطب الدين ايلغازى الثانى بن ألبى ٥٧٥—٥٨٠ هـ (١١٧٩—١١٨٤م)
حسام الدين بولق أرسلان بن ايلغازى الثانى ٥٨٠ — ٥٩٧ هـ
(١١٨٤ — ١٢٠٠ م)
ناصر الدين أرتق أرسلان بن ايلغازى الثانى ٥٩٧ — ٦٣٧ هـ
(١٢٠٠ — ١٢٣٩ م)
نجم الدين غازى الأول بن أرتق أرسلان ٦٣٧ — ٦٥٨ هـ
(١٣٢٩ — ١٢٥٩ م)
قرا أرسلان بن غازى الأول ٦٥٨ — ٦٩١ هـ (١٢٥٩ — ١٢٩١ م)
شمس الدين داود بن قرا أرسلان — ١٢٩١ — ١٢٩٣ م)

(ز) أتابكة خرتبرت :

عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان ٥٨١ — ٦٠٠ هـ (١١٨٥ — ١٢٠٣م)
نظام الدين إبراهيم بن أبى بكر ٦٠٠ — ٦٣١ هـ (١٢٠٣—١٢٣٣ م)
الخضر بن إبراهيم ٦٣١ — ٦٦٠ هـ (١٢٣٣ — ١٢٦١ م)
نور الدين أرتق شاه ، الملك المعز بن الخضر ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م)

ثانياً : الخلفاء العباسيون :

أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدى ٤٨٧ — ٥١٢ هـ (١٠٩٤ — ١١١٧ م)

أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر ٥١٢ هـ — ٥٢٩ هـ (١١١٨ — ١١٣٤ م)

أبو جعفر المنصور الراشد بن المسترشد ٥٢٩ — ٥٣٠ هـ (١١٣٤ — ١١٣٥ م)

أبو عبد الله محمد المتقى لأمر الله بن المستظهر ٥٣٠ — ٥٥٥ هـ (١١٣٥ — ١١٦٠ م)

أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المتقى ٥٥٥ — ٥٦٦ هـ (١١٦٠ — ١١٧٠ م)

أبو محمد الحسن المستضىء بأمر الله بن المستنجد ٥٦٦ — ٥٧٥ هـ (١١٧٠ — ١١٧٩ م)

أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضىء ٥٧٥ — ٦٢٢ هـ (١١٧٩ — ١٢٢٥ هـ)

أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر ٦٢٢ — ٦٢٣هـ (١٢٢٥ — ١٢٢٦م)

أبو جعفر المنصـــور المستنصر بالله بن الظاهر ٦٢٣ — ٦٤٠ م (١٢٢٦ — ١٢٤٣ م)

أبو أحمد عبد الله المستعصم بن المستنصر ٦٤٠ — ٦٥٦هـ (١٢٤٢ — ١٢٥٨م)

ثالثاً : السلاجقة :

(أ) السلاجقة العظام :

ركن الدين طغرلبك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق ٤٢٩ — ٤٥٥ هـ (١٠٣٧ — ١٠٦٣ م)

ألب أرسلان بن دواد ٤٥٥ — ٤٦٥ هـ (١٠٦٣ — ١٠٧٢ م)
ملكشاه بن ألب أرسلان ٤٦٥ — ٤٨٥ هـ (١٠٧٢ — ١٠٩٢ م)
محمود بن ملكشاه ٤٨٥ — ٤٨٧ هـ (١٠٩٢ — ١٠٩٤ م)
بركيا روق بن ملكشاه ٤٨٧ — ٤٩٨ هـ (١٠٩٤ — ١١٠٤ م)
محمد بن ملكشاه ٤٩٨ — ٥١١ هـ (١١٠٤ — ١١١٨ م)
أحمد سنجر بن ملكشاه ٥١١ — ٥٥٢ هـ (١١١٨ — ١١٥٧ م)

(ب) سلاجقة العراق :

محمود بن محمد بن ملكشاه ٥١١ — ٥٢٥ هـ (١١١٧ — ١١٣١ م)
داود بن محمود ٥٢٥ — ٥٢٦ هـ (١١٣١ — ١١٣٢ م)
طغرل الأول بن محمد ٥٢٦ — ٥٢٧ هـ (١١٣٢ — ١١٣٣ م)
مسعود بن محمد ٥٢٧ — ٥٤٧ هـ (١١٣٣ — ١١٥٢ م)
ملكشاة بن محمود ٥٤٧ — ٥٤٨ هـ (١١٥٢ م)
محمد بن محمود ٥٤٨ — ٥٥٥ هـ (١١٥٣ — ١١٥٩ م)
سليمان شاه بن محمود ٥٥٥ — ٥٥٦ هـ (١١٥٩ — ١١٦١ م)
أرسلان شاه بن طغرل ٥٥٦ — ٥٧٣ هـ (١١٦١ — ١١٧٧ م)
طغرل الثانى بن أرسلان شاه ٥٧٣ — ٥٩٠ هـ (١١٧٧ — ١١٩٤ م)

(حـ) سلاجقة الشام :

تتش بن ألب أرسلان ٤٧١ — ٤٨٨ هـ (١٠٧٩ — ١٠٩٥ م)
رضوان بن تتش (حلب) ٤٨٨ — ٥٠٧ هـ (١٠٩٥ — ١١١٣ م)
دقاق بن تتش (دمشق) ٤٨٨ — ٥٠٧ هـ (١٠٩٥ — ١١١٣ م)
ألب أرسلان بن رضوان (حلب) ٥٠٧ — ٥٠٨ هـ (١١١٣ — ١١١٤ م)
سلطان شاه بن رضوان (حلب) ٥٠٨ — ٥١١ هـ (١١١٤ — ١١١٧ م)

رابعاً : أتابكة الشام :

(أ) البوريون أتابكة دمشق :

طغتكين – ٤٩٧ – ٥١١ هـ (١١٠٣ – ١١١٧ م)

تاج الملوك بورى (٥٢٣ هـ (١١٢٨ – ١١٣١ م)

شمس الملوك إسماعيل ٥٢٦–٥٢٩هـ(١١٣١ – ١١٣٤ م)

شهاب الدين محمد ٥٣٣ – ٥٣٤ هـ (١١٣٨ – ١١٣٩ م)

جمال الدين محمد ٥٣٣ – ٥٣٤ هـ (١١٣٨ – ١١٣٩ م)

مجير الدين محمد ٥٣٤ – ٥٤٧ هـ (١١٣٩ – ١١٥٢م)

(ب) أتابكة حلب ودمشق من بنى زنكى :

العادل نور الدين محمود بن زنكى

فى حلب ٥٤١ – ٥٧٠ هـ (١١٤٦ – ١١٧٤ م)

فى دمشق ٥٤٩ – ٥٧٠ هـ (١١٥٤ – ١١٧٤ م)

الصالح نور الدين محمود ين إسماعيل

فى حلب ٥٧٠ – ٥٧٧ هـ (١١٧٤ – ١١٨١ م)

ضم حلب إلى أتابكية الموصل وسبجار ٥٧٧ – ٥٧٩ هـ (١١٨١ – ١١٨٣ م)

خامساً : بنو أيوب :

(أ) فى مصر :

الناصر صلاح الدين يوسف ٥٦٤ – ٥٨٩ هـ (١١٦٨ – ١١٩٣ م)

العزيز عثمان ٥٨٩ – ٥٩٥ هـ (١١٩٣ – ١١٩٨ م)

المنصور محمد ٥٩٥ – ٥٩٦ هـ (١١٩٨ – ١١٩٩ م)

العادل الأول أحمد ٥٩٦ – ٦١٥ هـ (١١٩٩ – ١٢١٨ م)

الكامل الأول محمد ٦١٥ — ٦٣٥ هـ (١٢١٨ — ١٢٣٨ م)
العادل الثانى أبو بكر ٦٣٥ — ٦٣٧ — ١٢٣٨ — ١٢٤٠ م)
الصالح أيوب ٦٣٧ — ٦٤٧ هـ (١٢٤٠ — ١٢٤٩ م)
المعظم توران شاه الرابع ٦٤٧ — ٦٤٨ هـ (١٢٤٩ — ١٢٥٠ م
الملك الأشرف الثانى موسى بن يوسف بن محمد ٦٤٨ — ٦٥٠ هـ
(١٢٤٩ — ١٢٥٢ م)

(ب) الأيوبيون فى دمشق :

الأفضل نور الدين أبو الحسن على ٥٨٢ — ٥٩٢ — ١١٨٦ — ١١٩٥ م)
الملك العادل الأول — سيف الدين أبو بكر أحمد ٥٩٢ — ٦١٥ هـ
(١١٩٥ — ١٢١٨ م).
المعظم شرف الدين عيسى ٦١٥ — ٦٤٤ هـ (١٢١٨ — ١٢٢٧ م)
الناصر صلاح الدين ٦٢٤ — ٦٢٦ هـ (١٢٢٧ — ١٢٢٩ م)
الأشرف الأول مظفر الدين أبو الفتح موسى ٦٢٦ — ٦٣٤ هـ
(١٢٢٩ — ١٢٣٧ م).
الصالح عماد الدين اسماعيل (للمرة الأولى) ٦٣٤ — ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م)
الكامل الأول ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م)
العادل الثانى سيف الدين أبو بكر ٦٣٥ — ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ — ١٢٣٩ م)
الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٦ — ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م)
الصالح اسماعيل (للمرة الثانية) ٦٣٧ — ٦٤٢ هـ (١٢٣٩ — ١٢٤٥ م)
الصالح نجم الدين أيوب — صاحب مصر — ٦٤٣ — ٦٤٧ هـ
١٢٤٥ — ١٢٤٩ م)
المعظم توران شاه الرابع ومعه مصر ٦٤٧ — ٦٤٨ هـ (١٢٤٩ — ١٢٥٠ م)
الناصر الثانى صلاح الدين يوسف صاحب حلب ٦٤٨ — ٦٥٨ هـ
(١٢٥٠ — ١٢٥٩ م).

(ج) الأيوبيون فى حلب :

الملك العادل الأول سيف الدين أبو بكر أحمد ٥٧٩ – ٥٨٢ هـ (١١٨٣ – ١١٨٦م)

الظاهر غيـــاث الدين أبو الفتح غازى الأول ٥٨٢ – ٦١٣ هـ (١١٨٦ – ١٢١٦ م)

العزيز غياث الدين أبو المظفر محمد ٦١٣ – ٦٣٤هـ (١٢١٦ – ١٢٣٦ م)

الناصر الثانى صلاح الدين يوسف ٦٣٤ – ٦٥٨ هـ ١٢٣٦ – ١٢٦٠م)

(د) الأيوبيون فى حمص :

القاهر محمد بن شيركوه ٥٧٤ – ٥٨١ هـ (١١٧٨ – ١١٧٦م)

المجاهد شيركوه الثانى ٥٨١هـ – ٦٣٧ (١١٨٦ – ١٢٤٠م)

المنصور ابراهيم ٦٣٧ – ٦٤٤ هـ (١٢٤٠ – ١٢٤٦ م)

الأشرف موسى الثانى ٦٤٤ – ٦٦١ هـ (١٢٤٦ – ١٢٦٢ م)

(هـ) الأيوبيون فى حماه :

المظفر الأول عمر ٥٧٤ – ٥٨٧ هـ (١١٧٨ – ١١٩١ م)

المنصور الأول محمد ٥٨٧ – ٦١٧ هـ (١١٩١ – ١٢٢٠ م)

الناصر قلج أرسلان ٦١٧ – ٦٢٦ هـ (١٢٢٠ – ١٢٢٩ م)

المظفر الثانى محمود ٦٢٦ – ٦٤٢ هـ (١٢٢٩ – ١٢٤٤ م)

المنصور الثانى محمد ٦٤٢ – ٦٨٣ هـ (١٢٤٤ – ١٢٨٤ م)

(ز) الأيوبيون فى ميافارقين (وسنجار):

الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ٥٨١ هـ (١١٨٥ م)

العادل سيف الدين أبو بكر ٥٩١ – ٥٩٦ هـ (١١٩٤ – ١١٩٩ م)

الأوحد نجم الدين أيوب ٥٩٦ – ٦٠٧ هـ (١١٩٩ – ١٢١٠ م)

الأشرف الأول موسى ٦٠٧ — ٦١٧ هـ (١٢١٠ — ١٢٢٠ م)
المظفر شهاب الدين غازى ٦١٨ — ٦٤٢ هـ (١٢٢١ — ١٢٤٤ م)
الكامل الثانى ناصر الدين محمد ٦٤٢ — ٦٥٩ هـ (١٢٤٤ — ١٢٦٠ م)

الامراء والملوك الصليبيون فى بلاد الشام

سادساً : (ا) مملكة بيت المقدس

بلدوين الأول	٤٩٤ — ٥١٢ هـ	(١١٠٠ — ١١١٨ م)
بلدوين الثانى	٥١٢ — ٥٢٦ هـ	(١١١٨ — ١١٣١ م)
فولك الأنجوى	٥٢٦ — ٥٣٩ هـ	(١١٣١ — ١١٤٤ م)
بلدوين الثالث	٥٣٩ — ٥٥٨ هـ	(١١٤٤ — ١١٦٢ م)
عمورى الأول	٥٥٨ — ٥٦٩ هـ	(١١٦٢ — ١١٧٣ م)
بلدوين الرابع	٥٦٩ — ٥٨١ هـ	(١١٧٣ — ١١٨٥ م)
بلدوين الخامس	٥٨١ — ٥٨٢ هـ	(١١٨٥ — ١١٨٦ م)
جاى لوزجنان	٥٨٢ — ٥٨٨ هـ	(١١٨٦ — ١١٩٢ م)
كونراددى مونتفرات	٥٨٨ هـ	(١١٩٢ م)
هنرى دى شامبنى	٥٨٨ — ٥٩٣ هـ	(١١٩٢ — ١١٩٧ م)
عمورى الثانى	٥٩٣ — ٦٠٢ هـ	(١١٩٧ — ١٢٠٥ م)
مارى (ابنة كونراد تحت الوصاية)	٦٠٢ — ٦٠٧ هـ	(١٢٠٥ — ١٢١٠)
حنادى دى برين	٦٠٧ — ٦٢٢ هـ	١٢١٠ — ١٢٢٥ م
الإمبراطور فردريك الثانى	٦٢٢ — ٦٤٨ هـ	(١٢٢٥ — ١٢٥٠ م)
كونراد الرابع ملك ألمانيا (ملك اسمى)	٦٤٨ — ٦٥٢ هـ	(١٢٥٠ — ١٢٥٤ م)

كونرادين (ملك اسمى) ٦٥٢ — ٦٦٧ هـ ١٢٥٤ — ١٢٦٨ م)
هيو الثالث ملك قبرس (الثانى (٦٦٨ — ٦٨٣ هـ (١٢٦٩ — ١٢٨٤م)
حنا الأول ملك بيت المقدس ٦٨٣ — ٦٨١ هـ (١٢٨٤ — ١٢٨٥
هنرى الثالث ملك قبرس (الثانى) ٦٨٥ — ٦٩٠ هـ (١٢٨٦ — ١٢٩١) م

(ب) أمراء أنطاكية النورمان

بوهيموند الأول	٤٩٢ — ٤٩٨ هـ	(١٠٩٨ — ١١٠٤ م)
تنكرد	٤٩٨ — ٥٠٦ هـ	(١١٠٤ — ١١١٢) م
روجردى سالرنو	٥٠٦ — ٥١٣ هـ	(١١١٢ — ١١١٨ م)
بوهيموند الثانى	٥٢٠ — ٥٢٥ هـ	١١٢٦ — ١١٣٠ م)
ريموند دى بواتييه	٥٣١ — ٥٤٤ هـ	(١١٣٦ — ١١٤٩ م)
ريجنالد دى شاتيون (أرناط)	٥٤٨ — ٥٥٥ هـ	(١١٥٣ — ١١٦٠م)
بوهيموند الثالث	٥٥٩ — ٥٩٨ هـ	(١١٦٣ — ١٢٠١ م)
بوهيموند الرابع	٥٩٨ — ٦١٣ هـ	(١٢٠١ — ١٢١٦ م)
ريموند روبان	٦١٣ — ٦١٦ هـ	(١٢١٦ — ١٢١٩ م)
بوهيموند الرابع (مرة ثانية)	٦١٦ — ٦٣١ هـ	(١٢١٩ — ١٢٣٣ م)
بوهيموند الخامس	٦٣١ — ٦٤٩ هـ	(١٢٣٣ — ١٢٥١ م)
بوهيموند السادس	٦٤٩ — ٦٦٧ هـ	(١٢٥١ — ١٢٦٨ م)

(حـ) أمراء طرابلس:

ريموند الأول	٤٩٦ — ٤٩٩ هـ	(١١٠٢ — ١١٠٥ م
وليم جوردان	٤٩٩ — ٥٠٢ هـ	(١١٠٥ — ١١٠٨ م)
برتراند	٥٠٢ — ٥٠٧ هـ	(١١٠٨ — ١١١٣ م
بونز	٥٠٧ — ٥٢١ هـ	(١١١٣ — ١١٢٧ م
ريموند الثانى	٥٢١ — ٥٤٧ هـ	(١١٢٧ — ١١٥٢ م)

ريموند الثالث ٥٤٧ — ٥٨٣هـ (١١٥٢ — ١١٨٧ م

بوهيموند الرابع (+ أنطاكية) ٥٨٣ — ٦٣١هـ (١١٨٧ — ١٢٣٣ م)

بوهيموند الخامس (+أنطاكية) ٦٣١ — ٦٤٩هـ (١٢٣٣ — ١٢٥١م)

بوهيموند السادس (أنطاكية) ٦٤٩ — ٦٧٤هـ (١٢٥١ — ١٢٧٥ م)

بوهيموند السابع ٦٧٤ — ٦٨٦هـ (١٢٧٥ — ١٢٨٨ م)

سابعاً : أباطرة الدولة البيزنطية :

ألكسيوس الأول كومنين ٤٧٣ — ٥١٢هـ (١٠٨١ — ١١١٨م)

حنا الثاني كومنين ٥١٢ — ٥٣٨هـ (١١١٨ — ١١٤٣م)

مانويل الأول كومنين ٥٣٨ — ٥٧٦هـ (١١٤٣ — ١١٨٠م)

ألكسيوس الثاني كومنين ٥٧٦ — ٥٧٩هـ ١١٨٠ — ١١٨٣م)

أندرونيق الأول كومنين ٥٧٩ — ٥٨١هـ (١١٨٣ — ١١٨٥م)

اسحق الثاني انجيلوس ٥٨١ — ٥٩٢هـ (١١٨٥ — ١١٩٥م)

الكسيوس الثالث انجيلوس ٥٩٢ — ٦٠٠هـ (١١٩٥ — ١٢٠٣م

الكسيوس الخامس ٦٠١هـ (١٢٠٤)

مصادر الكتاب

أولا : المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة :

١ — إبراهيم على طرخان : (الاقطاع الإسلامى — أصوله وتطوره) .
(القاهرة — ١٩٥٧) .

٢ — ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ ، ١٢٣٧ م) على بن أحمد بن أبى الكرم
(ا) « الكامل فى التاريخ » (١٢ جزءا — القاهرة ١٣٠٣ هـ) .

٣ — (ب) التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية .
حققه عبد القادر أحمد طليمات (القاهرة — ١٩٦٣ م)

٤ — أسامة بن منقذ : (ت ٥٨٤ هـ ، ١٨٨٠ م) مؤيد الدولة أبو المظفر
أسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى .

(ا) « الاعتبار » نشره وحققه فيليب حتى (برنستون — ١٨٣٠ م)

٥ — (ب) « لباب الآداب » تحقيق أحمد محمد شاكر القاهرة — (١٩٣٥ م)

٦ — الأصفهانى . (ت ٩٥٧ هـ ، ١٢٠٠ م) عماد الدين محمد .

« الفتح القسى فى الفتح القدسى » تحقيق أحمد محمود صبح — (ت ٧٤٢ هـ)

٧ — ابن أبى أصيبعة (ت ٦٦٧ هـ ، ١٢٧٠ م) أبو العباس أحمد بن القاسم
ابن خليفة موفق الدين .

« عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » جزءان — القاهرة ١٢٩٩ —
١٣٠٠ هـ)

٨ — أمير على سيد

Ameer : Ali Sayed : « A Short Hist of the Saracens »

نقله إلى العربيه رياض رأفت باسم « مختصر تاريخ العرب والتمدن
الاسلامى . (القاهرة ١٩٣٨) .

٩ — ابن أيبك (ت ٧٤٤ هـ) محمد بن على بن أيبك السروجى أبو عبد الله
شمس الدين .

« الدر المطلوب فى أخبار بني أيوب »
مخطوط بدار الكتب المصرية ، تاريخ رقم ٢٥٧٨

١٠ — بارتولد : ف : Barthold' F .
(أ) تاريخ الحضارة الإسلامية .
نقله إلى العربية حمزة طاهر — القاهرة ١٩٤٣ ه

١١ — (ب) تاريخ الترك في آسيا الوسطى .
نقله إلى العربية د . أحمد السعيد (القاهرة — ١٩٥٨ م)

١٢ — باركر ارنست
« الحروب الصليبية » نقله إلى العربية د . السيد الباز العرينى
(القاهرة — ١٩٦٠)

١٣ — بيبرس الدوادار (ت ٧٢٤ ه) .
« زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة »
(مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٧)

١٤ — بروكلمان : كارل
Brockelman' Carl : Geschichte der Islamische . Volker usd Statem .
نقله إلى العربيه الدكتور نبيه فارس والأستاذ منير البعلبكى باسم
(تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٤٨)

١٥ — البندارى (توفى فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى)
الفتح بن على بن محمد .
« تاريخ دولة آل سلجوق » (طبع على نفقة شركة الكتب العربية
سنة ١٣١٨ ه ، ١٩٠٠ م) .

١٦ — ابن جبير (ت ٦١٤ ه ، ١٢١٧ م) محمد بن أحمد بن جبير « رحلة
ابن جبير » تحقيق للدكتور حسين نصار (القاهرة — ١٩٥٥ م)

١٧ — ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ - ١٣٠٠ م) أبو الفرج عبدالرحمن بن علی بن محمد بن علی بن الجوزی .
« المنتظم فی تاریخ الملوك والأمم » (حیدر أباد ١٣٥٨ هـ)

١٨ — حافظ أحمد حمدى
(ا) « الدولة الخوارزمية والمغول » القاهرة - ١٩٤٩ م)

١٩ — (ب) « الشرق الإسلامی قبل الغزو المغولی » (القاهرة - ١٩٥٠ م)

٢٠ — حتى ، فيليب
(ا) Hitti ,Philip .History of the Arabs.
نقله إلى العربية فيليب حتى وآخرون باسم « تاريخ العرب)
(بيروت — ١٩٥٣ م)

٢١ — (ب) (History of Syria)
نقله إلى العربية الدكتور كمال اليازجى باسم « تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين » .

٢٢ — حسن إبراهيم حسن
(ا) « تاريخ الإسلام السياسى » القاهرة — ١٩٦٢ م)
(ب) « تاريخ الدولة الفاطمية » القاهرة - ١٩٦٤)

٢٣ — حسن حبشى
(ا) « الحرب الصليبية الأولى » (القاهرة - ١٩٤٧ م)

٢٤ — (ب) « نور الدين محمود والصليبيون » (القاهرة - ١٩٤٨ م)

٢٥ — الحسن بن عبد الله : أبو على الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر ابن محاسن .
« آثار الأول فی ترتیب الدول » (القاهرة - ١٣٠٥)

٢٦ — حسين أمين : « تاريخ العراق فى العصر السلجوقى »
(بغداد ١٣٥٨هـ — ١٩٦٩ م)

٢٧ - الحسينى : عاش فى القرن السابع الهجرى) ناصر بن على الحسينى
« أخبار الدولة السلجوقية » حققه محمد اقبال (لاهور - ١٩٣٣)
٢٨ - ابن حوقل : (توفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى)
أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى
« المسالك والممالك »
(مجموعة المكتبة الجغرافية العربية . نشر دى غويه ١٧٨٠ م)
٢٩ - الخزرجى : (ت ٦١٣ هـ ١٢١٦ م) جمال الدين أبو الحسن على
ابن طاهر .
« أخبار الزمان فى تاريخ بنى العباس »
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ ، تاريخ)
٣٠ - ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ ، ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م)
عبد الرحمن بن محمد بن محمد جابر .
« العبر وديوان المبتدأ والخبر » (٧ أجزاء - بولاق ١٣٨٤ هـ)
٣١ - ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ ، ١٢٧١ م) شمس الدين أبو العباس
أحمد بن ابراهيم بن أبى بكر الشافعى .
« وفيات الأعيان » حققه محمد محي الدين عبد الحميد »
(القاهرة - ١٩٤٨
٣٢ - الدميرى : (ت ٨٠٨ هـ ، ١٤٠٥ م)
« حياة الحيوان الكبرى » (حزمان ١٣٠٩ هـ)
٣٣ - الذهبى : (ت ٧٤٨ هـ) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن عثمان بن قايماز .
« دول الاسلام » (حيدر أباد - ١٢٣٣ هـ)
٣٤ - الراوندى : (ت ٥٩٩ هـ ، ١٢١٢ م) محمد بن على بن سليمان
الراوندى .

« راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية » .
نقله إلى العربية ابراهيم أمين الشاوربى ، وعبد النعيم حسنين وفؤاد عبد المعطى الصياد . (القاهرة — ١٩٦٠) .
٣٥ — زامباور : ادوار فون
« معجم الأنساب والأسرات الحاكمة » .
نقله إلى العربية الدكتور زكى حسن ، وحسن أحمد محمود (جامعة القاهرة - ١٩٥١ م)
٣٦ — ابن الساعى : (٦٧٤ ، ١٢٧٥ م) أبو طالب على بن أنجب تاج الدين .
« الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير » .
نشر وتحقيق الدكتور مصطفى جواد ج ٩ (بغداد ١٩٣٤ م)
٣٧ — سبط ابن الجوزى (ت ٦٥٤ ﻫ ، ١٢٥٦ م) شمس الدين أبو المظفر يوسف قزوغلى .
« مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » .
القسمان الأول والثانى من الجزء الثامن (حيدر أباد — ١٩٥١) .
٣٨ — سعيد الديوه جى : « الموصل فى العهد الأتابكى » .
(الموصل ١٩٥٨) .
٣٩ — سعيد عبد الفتاح عاشور .
« الحركة الصليبية » (القاهرة — ١٩٦٣ م) .
٤٠ — السيد الباز العرينى .
(ا) الاقطاع فى الشرق الأوسط منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادى .
(فصل من حوليات كلية الآداب - جامعة عين شمس - العدد الرابع يناير سنة ١٩٥٧) .

٤١ — (ب) « مصر فى عصر الأيوبيين » (القاهرة — ١٩٦٠ م) .
٤٢ — (ح) « الشرق الأوسط والحروب الصليبية » .
(القاهرة — ١٩٦٣) .
٤٣ — السيوطى (ت ٩١١ ه ، ١٥٠٥ م) .
عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين .
(تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة) .
٤٤ — أبو شامة : (ت ٦٦٥ ه ، ١٣٦٦ م) شهاب الدين أبو محمد
عبد الرحمن اسماعيل ابراهيم المقدسى .
(ا) الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية .
(القاهرة — ١٣٧٨ ه) .
٤٥ — (ب) « تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجرى »
المعروف بالذيل على الروضتين .
تحقيق السيد عزت العطار الحسينى (القاهرة — ١٣٦٦ ه) .
٤٦ — ابن شاهنشاه (ت ٦١٧ ه ، ١٣٣٠ م) محمد بن تقى الدين عمر بن
شاهنشاه الأيوبى . صاحب حماه .
« مضمار الحقائق وسر الخلائق » .
تحقيق الدكتور حسن حبشى (نشره عالم الكتب — القاهرة ١٩٦٩م)
٤٧ — ابن الشحنة : محمد بن الشحنة .
« الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب » .
(بيروت — ١٩٠٩ م) .
٤٨ — ابن شداد : (ت ٦٣٢ ه ، ١٢٣٤ م) .
« النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » .
وفى ذيله منتخبات من كتاب التاريخ لتاج الدين شاهنشاه بن أيوب
صاحب حماه .

القاهرة — ١٣١٧ هـ) .

٤٩ — ابن طباطبا : (٧٠٩هـ) فخر الدين محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطق .

« الفخرى فى الآداب السلطانية » (القاهرة ١٩٢١م » .

٥٠ — عباس العزاوى : « تاريخ الضرائب العراقية من صدر الإسلام إلى آخر العهد العثمانى » (بغداد — ١٩٥٨ م) .

٥١ — عبد العزيز الدورى .

تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى .

(بغداد — ١٩٤٨ م) .

٥٢ — عبد النعيم حسين : « سلاجقة إيران والعراق » .

(القاهرة — ١٩٥٩ م) .

٥٣ — ابن العبرى: (ت ٦٨٤هـ) غريغوريوس أبو الفرج بن هرون الملطى

« تاريخ مختصر الدول . (بيروت — ١٨٩٠ م) .

٥٤ — ابن العديم : (ت ٦٦٠ هـ ، ١٣٦١ م) كمال الدين أبو القاسم عمر أحمد بن هبة الله بن العديم .

« زبدة الحلب فى تاريخ حلب » .

نشر وتحقيق سامى الدهان : (دمشق ١٩٥٤ م) .

٥٥ — ابن عساكر : (ت ٥٧١ هـ ، ١١٧٥ م) أبو القاسم على بن الحسين

« التاريخ الكبير » تحقيق عبد القادر بدران .

(دمشق ١٣٣٦ هـ) .

٥٦ — العظيمى : محمد بن على التنوخى الحلبى .

« تاريخ العظيمى » .

٥٧ — ابن العماد الحنبلى : (ت ١٠٩٨ هـ) أبو الفلاح بن عبد الحى ابن العماد الحنبلى .

« شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » .

(القاهرة ـ ١٣٥٠ هـ) .

٥٨ — العمرى : (ت ١٣٣٢ هـ) ياسين بن خير الله الخطيب العمرى .

« منية الأدباء فى تاريخ الموصل الحدباء » .

نشر وتحقيق سعيد الديوه جى (الموصل ١٣٧٤) .

٥٩ — ابن العميد : (ت ٦٧٢هـ ، ١٣٧٣ م) الشيخ المكين جرجس بن العميد

« تاريخ المسلمين » (ليدن ١٠٣٥ هـ ، ١٦٢٥ م) .

٦٠ — الفارقى : (٥٦٠ هـ ، ١١٩٣ م) أحمد بن يوسف بن على الأزرق

الفارقى : « تاريخ ميافارقين » .

تحقيق الدكتور بدوى عبد اللطيف عوض (القاهرة — ١٩٥٩م) .

٦١ — أبو الفدا : (ت ٧٣٢هـ) اسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماه .

« المختصر فى تاريخ البشر (القاهرة — ١٣٢٥ م) .

٦٢ — فؤاد عبد المعطى الصياد : « المغول فى التاريخ » .

(بيروت — ١٩٧٠ م) .

٦٣ — ابن الفوطى : (ت ٧٣٢ هـ) عبد الرزاق بن أحمد بن محمد

ابن أحمد الصابونى .

« الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة .

تحقيق الدكتور مصطفى جواد (بغداد ١٣٥١ هـ) ،

٦٤ — ابن قاضى شهبة : (ت ٨٧٤ هـ) بدر الدين محمد بن تقى الدين أحمد .

« الكواكب الدرية فى السيرة النورية » .

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٢٧ ، تاريخ .

٦٥ — القرمانى : (ت ١٠١٩ هـ) أبو العباس أحمد بن يوسف « أخبار

الدول » (بغداد ـ ١٣٨٢ هـ) .

٦٦ — القزوينى : (ت ٦٨١ هـ ، ١٣٨٢م) أبو عبد الله زكريا بن محمود

« آثار البلاد وأخبار العباد » (جوتنجن ١٩٤٨ م)

٦٧ — قطب الدين البعلبكى : (ت — ٧٢٦ هـ) قطب الدين أبى الفتح موسى ابن محمد بن أحمد بن قطب الدين البعلبكى
« ذيل مرآة الزمان »
(حيدر أباد — ١٩٥٤ م)

٦٨ — ابن القفطى : (ت ٦٤٦ هـ — ١٢٤٨ م) جمال الدين على بن يوسف ابن ابراهيم بن عبد الوهاب .
« إخبار العلماء بأخبار الحكماء » (القاهرة — ١٣٢٦ هـ)

٦٩ — ابن القلانسى : (ت ٥٥٥ هـ — ١١٦٠) أبو يعلى حمزة بن أسد ابن على .
« ذيل تاريخ دمشق » (بيروت ١٩٠٨ م)

٧٠ — القلقشندى : (ت ٨٢١ — ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد
« صبح الأعشى فى صناعة الانشا » نشر وزارة الثقافة والارشاد المصرية .

٧١ — ابن كثير . (ت ٧٧٤ هـ ١٣٧٣ م) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل ابن عمر بن كثير القرشى الدمشقى .
« البداية والنهاية » (القاهرة — ٩٣٢ م)

٧٢ — كرد على : « خطط الشام » (مصر — ١٩٢٧ م)

٧٣ — الكرملى : أنستاس
« النقود العربيه وعلم النميات »
(القاهرة — ١٩٣٩ م)

٧٤ — لسترنج : « بلدان الخلافة الشرقية »
نقله إلى العربية ، بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد
(المجمع العلمى العراقى ١٩٥٤ م)

٧٥ — الماوردى : (ت ٤٥٠ - ١٠٥٧ م) أبو الحسن على بن محمد بن حبيب
البصرى البغدادى .
« الأحكام السلطانية » .
٧٦ — متز : آدم
Mez'Adam : Die Renaissance des Islam .
نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده باسم :
« الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى »
(القاهرة - ١٩٤٠ - ١٩٤١ م)
٧٧ — أبو المحاسن : (ت ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م) جمال الدين يوسف
ابن تغرى بردى « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة »
(نشر دار الكتب المصرية)
٧٨ — محمد أمين زكى
(ا) خلاصة تاريخ الكرد والكردستان من أقدم العصور التاريخية
حتى الآن »
نقله إلى العربية محمد على عونى (القاهرة — ١٩٣٩ م) .
٧٩ — (ب) تاريخ الدول والأمارات الكردية فى العهد الإسلامى »
تعريب محمد على عونى (القاهرة ١٩٤٥ م)
٨٠ — محمد باقر كاظم الحسينى
« العملة الإسلامية فى العهد الأتابكى »
(بغداد ١٩٦٦)
٨١ — محمد جمال الدين سرور
(ا) دولة بنى قلاوون فى مصر « القاهرة — ١٩٤٧)
٨٢ — (ب) « تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق (القاهرة — ١٩٨٥م)
٨٣ — محمد فريد أبو حديد : « صلاح الدين الأيوبى وعصره »

القاهرة - ١٩٢٧ م)

٨٤ — المقريزى : (ت ٨٤٥ هـ ، ١٤٤١ م) تقى الدين أحمد بن على .

(ا) « السلوك لمعرفة دول الملوك » .

نشره وحققه الدكتور محمد مصطفى زيادة حتى نهاية الجزء الثانى فى

ستة مجلدات - (القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨ م)

٨٥ — (ب) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار »

« جزءان - بولاق ١٢٧٠ هـ

٨٦ — ابن ميسر : (ت ٦٧٧ هـ ، ٢٢٧٨ م)

« أخبار مصر » اعتنى بتصحيحه هنرى ماسية .

(المعهد العلمى الفرنسى ١٩٢٩ م)

٨٧ — ناصر خسرو : (ت ٤٨١ هـ — ١٠٠٨ م)

« سفر نامة .

نقله من الفارسية إلى العربية الدكتور يحيى الخشاب

القاهر - ١٩٤٥ م)

٨٨ — النسوى : محمد بن أحمد

« سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى »

نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدى (القاهرة — ١٩٥٣ م)

٨٩ — النويرى : (ت ٧٣٣ هـ)

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

« نهاية الأرب فى فنون الأدب »

مخطوط بدار الكتب المصرية من ٢٥ إلى ٣٠

٩٠ — الهمذانى : رشيد الدين فضل الله

(ت ٧١٦ هـ ، ١٣١٦ م)

تاريخ المغول ، نقله من الفارسية إلى العربية محمد صادق نشأت ، وفؤاد عبد المعطي الصياد

القاهرة - ١٩٦٠ م)

٩١ — ابن الوردى : (ت ٧٦٨ هـ)

أبو حسن زين الدين عمر

« تتمة المختصر فى أخبار البشر »

٩٢ — اليافعى : (ت ٧٦٨ هـ ١٣٦٧ م)

عبد الله بن اسعد بن على

« مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان »

(حيد راباد - ١٣٣٧ هـ)

٩٣ — ياقوت : (ت ٦٢٦ هـ ، ١٢٢٩ م) شهاد الدين أبو عبد الله الحموى الرومى .

« معجم البلدان » (١٠ اجزاء - القاهرة ١٩٠٦)

٢ ـ المصادر الأوروبية

1 — Archer (T.), Kingsford (C.): "The Crusades". (London, 1894).

2 — Browne (E. D.) . "Literary History of Persia." (London 1906).

3 — Cahen (L.) : "La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades" (Paris, 1940).

4 — Cambridge Med. Hist. (Cambridge, 1957)

5 — Chalandon (F.) : "Histoire de la Premiere Croisades". (Paris, 1925)

6 — Der Nersessian (S) : "Armenia and the Byzantine Empire" (Cambridge, 1945)

7 — Duggan, (A) : "The Story of the Crusades". (London,1965)

8 — Gibb(H,A.R.) : "The Damascus Chronicle of the Crusades" (London, 1932)

9 — Grousset . "Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem". (Paris, 1902)

10 — Howorth : "Henery H. : "History of the Mongols". (London, 1876)

11 — Lamb, (Harold) : "The Crusades".

12 — La Monte (J) : "Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem".

13 — Lane-Poole (S.) (A) : "Saladin and the Fall of the Kingdom (London, 1898)

14 — (B) : "Coins of the ortki Turkamans", (London, 1875)

15 — (C.) : "The Muhammadan Dynasties". (paris, 1925)

16 — Muir : "The Caliphate, Its rise, decline and Fall". (London, 1924)

17 — Nicholson, (A) Reynold : "Literary History of the Arabs". (Cambridge, 1930)

18 — Runciman : "A History of the Crusades". (Cambridge, 1957)

19 — Setton, (K. M.) : "A History of the Crusades". (Pensylvanie, 1958)

20 — Stevenson; (W. B.) : "The Crusaders in the East".

21 — Vasiliev, (A. A.) : "History of the Byzantine Empire". (Madison, 1952)

22 — Vincent, (H.) : "Jerusalem".

23 — Zoe Olden Bourg : "Les Croisades". (paris, 1962)

فهرس موضوعات الكتاب

صفحة

التقديم : بقلم الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور . . . .

المقدمة ٣

بحث فى مصادر الكتاب ٧

تمهيد : قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة ١٢

الباب الأول

الموقف السياسى الداخلى فى دول أتابكة الموصل والجزيرة . . ٢٥

١ — سياسة أتابكة الموصل والجزيرة فى توطيد سلطانهم . . ٢٥

٢ — الأحداث الداخلية فى دول الأتابكة ٣١

٣ — انحلال دول أتابكة الموصل والجزيرة وزوالها . . . ٤٤

استيلاء المغول على الموصل ٤٤

سقوط سنجار فى أيدى المغول ٤٥

غارات المغول على إربل وامتلاكها ٤٦

دخول ماردين فى طاعة المغول ٤٧

استيلاء صلاح الدين يوسف بن أيوب على ميافارقين . . ٤٨

دخول خرتبرت فى طاعة سلاجقة الروم ٤٨

الباب الثانى

موقف أتابكة الموصل والجزيرة من حكام البلاد الاسلامية المجاورة ٤٩

١ — الخلفاء العباسيون فى بغداد ٤٩

٢ — السلاجقة ٦٣

٣ — أتابكة المشرق الاسلامى ٧٩

٤ — الأيوبيون ٩٩

صفحة

الباب الثالث

العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة ١١٨
١ — مع البيزنطيين ١١٨
٢ — مع الصليبيين ١٢٦
أسباب الحروب الصليبية ١٢٦
الحملة الصليبية الأولى ١٢٨
بلدوين والرها ١٣١
سقوط أنطاكية فى أيدى الصليبيين ١٣٤
استيلاء الصليبيين على بيت المقدس ١٣٥
وقوف الأميرين سقمان بن أرتق وجكرمش فى وجه الخطر الصليبى ١٣٨
حملة الأميرين إيلغازى بن أرتق ومودود على الامـــارات الصليبية فى
بـلاد الشام ١٣٩
مقتل مودود بدمشق ١٤٥
جهود آق سنقر البرسقى فى درء الخطر الصليبى عن بلاد الشام ١٤٦
تفرق كلمة أتابكة الموصل والجزيرة وهزيمتهم ١٤٦
انتصار إيلغازى بن أرتق — أمير ماردين — على الصليبيين فى موقعة
ساحة الـدم ١٥٠
موقف بلك بن بهرام الأرتقى من الصليبيين ١٥١
مواصلة البرسقى الحرب ضد الصليبيين ١٥٤
جهود عماد الدين زنكى فى درء الخطر الصليبى ١٥٦
سقوط الرها فى أيدى عماد الدين زنكى ١٦٥
الحملة الصليبية الثانية على بلاد الشام وفشلها ١٧٤
انضمام أتابكة الموصل والجزيرة إلى نور الدين محمود بن زنكى فى مجاهدة
الفرنجـــة ١٧٧
موقف صلاح الدين يوسف بن أيوب من الصليبيين ١٧٩

صفحة

استيلاء صلاح الدين على بعض ممتلكات الصليبيين فى الشام . . . ١٨٠
صلاح الدين وأرناط ١٨٠
موقعة حطين ١٨٠
استيلاء صلاح الدين على طبرية وعكا ١٨٤
استيلاء صلاح الدين على معظم المدن والقلاع الساحلية فى جنوب بلاد الشام ١٨٦
استرداد المسلمين لبيت المقدس ١٨٧
الحملة الصليبية الثالثة ١٩٠
الحملات الصليبية على مصر ١٩١
نهاية الحروب الصليبية ١٩٣
٣ — المغول ١٩٤
نشأة المغول ١٩٤
ظهور جنكيز خان ١٩٤
قيام الدولة الخوارزمية ١٩٥
تدهور العلاقات المغولية الخوارزمية ١٩٦
زحف المغول إلى البلاد الخوارزميه ١٩٧
هجمات المغول على بلاد الموصل والجزيرة ١٩٨
دخول أتابكة ماردين والموصل فى طاعة المغول ٢٠٠
هولاكو والخلافة العباسية ٢٠٢
سقوط بلاد الجزيرة فى أيدى المغول ٢٠٦
زحف المغول إلى بلاد الشام ٢٠٦
موقعة عين جالوت ٢٠٩

الباب الرابع

بعض مظاهر الحضارة فى بلاد الجزيرة
أولا : التنظيمات الادارية والمالية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة ٢١٥

صفحة

ــ التنظيم الادارى	٢١٥
ا ــ التقسيم الادارى لدول أتابكة الموصل والجزيرة	٢١٥
١ ــ ديار ربيعة	٢١٥
٢ ــ ديار مضر	٢١٨
٣ ــ ديار بكر	٢١٨
البلدان التى اشتملت عليها أتابكيات الموصل والجزيرة . .	٢١٩
الوظائف والدواوين الادارية	٢٢٢
ا ــ الوظائف	
١ ــ النائب	٢٢٢
٢ ــ الوزير	٢٢٥
٣ ــ الشحنة	٢٢٦
٤ ــ الوالى	٢٢٨
ب ــ الدواوين التى اهتمت بالشؤون الادارية	٢٢٨
١ ــ ديوان الرسائل	٢٢٩
٢ ــ ديوان الجيش	٢٣٠
٣ ــ ديوان البريد	٢٣٢
٤ ــ الادارة المالية	٢٣٢
الموارد المالية الثابتة لدول الأتابكة	٢٣٢
نظام إنفاق الموارد المالية فى هذه الدول	٢٣٣
المعاملات المالية	٢٤٢
ثانيا : الحياة الثقافية فى بلاد الجزيرة فى أواخر العصر العباسى	٢٤٩
جداول بأسماء أتابكة الموصل والجزيرة والحكام المعاصرين لهم فى الشرق	٢٦٥
مصادر الكتاب	٢٧٧
فهرس موضوعات الكتاب	٢٩١

تطلب جميع منشوراتنا من فروعنا

الفرع الرئيسي

٦-أ شارع جواد حسني - القاهرة

ت : ٧٥٠١٦٧

فرع مدينة نصر

٩٤ شارع عباس العقاد - المنطقة السادسة

فرع الدقي

٢٧ شارع عبد العظيم راشد - متفرع من

شارع الدكتور شاهين - بالعجوزة

ت : ٧١٧٤٩٨

مؤسسة

دار الكتاب الحديث

للطبع والنشر والتوزيع

الكويت شارع فهد السالم عمارة السوق الكبير

بجوار المخازن الكبرى محل رقم ٢٥٠ أرضي

ت : ٤٣٦٧٦٥ ص ٠ ب ٢٢٧٥٤